

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية **قسم التاريخ وعلم الآثار**

جوانب من الحياة الاجتماعية للبربر في الأندلس من الفتح إلى دخول المرابطين

مذكرة لنيل شهادة الماجستير
في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالبة إشراف الأستاذة

فتيحة تريكي د. فاطمة بلهواري

أعضاء لجنة المناقشة

محمد بن معمر	أستاذ	جامعة وهران	رئيسا
فاطمة بلهواري	أستاذة محاضرة أ	جامعة وهران	مشرفا
سليمان بوعصبانة	أستاذ محاضر أ	جامعة وهران	عضوا مناقشا
عبيد بوداود	أستاذ محاضر أ	جامعة معسكر	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 1430-1431هـ/2009-2010م

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين



إهداء

إليك يا حبيبة القلب... أطيب خلق ا ... إليك يا من لا تختزل حنيتك الكلمات
والدتي الغالية حفظها ا

إليك ياقدوتي...مثلي الأعلى...مصدر طموحي.... سندي في الحياة.

إليك يا من تنازع أنفاسه أهات الألم، راجية من المولى عز وجل أن ترعاك عيون القدر، حتى أكون على وعدي.....

إليك يا من سابقت الزمن متفانية غير مكلة، من أجل أن أضع بين يديك ثمرة جهد نفيس فداك أنت.

والدي الغالي تمنياتي لك بالشفاء العاجل



كلمة شكر:

بعد شكر ا تعالى على توفيقه، أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة الدكتورة المشرفة فاطمة بلهواري على قبولها الإشراف على هذه المذكرة ورعايتها خطوات هذا البحث في محتلف مراحله، وعلى متابعة لما ورد في محتويات هذه المذكرة تصويبا وتعديلا وإرشادا وتشجيعا.

كما أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان للأستاذ الفاضل الدكتور عبد القادر بوباية الذي أعانني للمضي قدما في خطوات هذا البحث في مختلف مراحله من خلال نصائحه ودعمه وتشجيعه وعلى ما أفادني به من معلومات ومصادر نفيسة، كما لا يفوتني أن أنوه بالإقتراحات والإنتقادات العلمية والقيمة للأستاذ الدكتور الفاضل محمد بن معمر، وتزويده لي بالدراسات التي جدت على الساحة العلمية ودعمه وتشجيعه لي.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى جميع أساتذتي الأفاضل الذين تابعوني في الليسانس ومرحلة مابعد التدرج، كما أتوجه بالشكر والامتنان لكل زملائي ورفقائي في البحث العلمي في مرحلة ما بعد التدرج.

لسيادتهم جميعا أكرر شكري وامتناني وعرفاني بالجميل، جزاهم ا عني خير الجزاء

المقدمة

المقدمة: شكل البربر كمجموعة إثنية اجتماعية طرفا فاعلا ومؤثرا في صنع تاريخ أحداث بلاد الأندلس، فقد تجشّموا أعباء فتح هذه البلاد سنة 92هـ/ 711م، وساهموا بقسط كبير في تعمير المنطقة ونشر الدين الإسلامي بها، كما ساهموا في مجريات الأحداث التي عاشتها العدوة الأندلسية على امتداد مرحلة عصر الولاة من سنة 95هـ/714م إلى سنة 138هـ/755م، كما كان لهم مسعى طيبًا في إقامة الإمارة الأموية على يد مؤسسها عبد الرحمن بن معاوية، وكان لهم تأثير مباشر في صنع أحداث القرن الخامس الهجري، والتي كان من نتائجها انحلال الخلافة الأموية في قرطبة وابتداء مرحلة اضطرابات وتمزقات سياسية اصطلح عليها باسم فترة ملوك الطوائف، ومنهم البربر الذين أسسوا دويلات مستقلة استمر وجودها إلى جواز يوسف بن تاشفين سنة 479هـ/1086م، الذي وضع حدا لتلك الانقسامات والتشرذمات.

لقد شكلت الأندلس قبلة للباحثين والدارسين المهتمين بسبر أغوار تراثها الإسلامي، ورغم اهتمام جل الدارسين لتاريخ الأندلس على معالجة مواضيع سياسية في معظمها، إلا أن البحث التاريخي في الآونة الأخيرة شهد حركة دؤوبة من طرف باحثين متخصصين، انصب جهدهم على معالجة قضايا اجتماعية[1] أو ما يعرف بالتاريخ الاجتماعي، ممعنين النظر والفكر في فهم دينامية المجتمع المكون من شرائح وطبقات وعناصر مختلفة ومتفاوتة، لها فعاليتها في رصد التطورات والمتغيرات في المجتمع، كما أنها مثّلت قوة اجتماعية وسياسية ما فتئ دورها ينمو،

1-حظي التاريخ الاجتماعي في الأندلس بعناية خاصة، وخصصت له أعمال كثيرة من طرف الباحثين المغاربة، ونخص منهم بالذكر:أطروحة دكتوراه دولة تقدم بها القادري بوتشيش الموسومة بـ "الحياة الإجتماعية في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين"، نوقشت بكلية الأداب والعلوم الإنسانسية بمكناس سنة 1991، وهي مرقونة تتألف من ثلاثة أجزاء، وقد صدر منها جزء منها المعنون بـ: المغرب والأندلس في عصر المرابطين(المجتمع,الذهنيات، الأولياء)، دار الطليعة، بيروت، ط1993،1، وجزء آخر معنون بـ مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1998/ امحمد بن عبود، التاريخ السياسي والإجتماعي لإشبيلية في عهد دول الطوائف، مطابع الشويخ، تطوان، 1983./ ، أحمد الطاهري، عامة إشبيلية في عصر بني عباد، أطروحة دكتوراه مرقونة في التاريخ الإسلامي، نوقشت بكلية الأداب بمكناس، 1955,/ أحمد الطاهري، طبقة العامة في المجتمع الإسلامي إمكانية البحث من خلال النموذج الأندلسي، ضمن دراسات ومباحث في تاريخ الأندلس عصري الخلافة والطوائف، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1993، ص11/إبراهيم القادري بوتشيش، تاريخ العوام في مغرب العصر الوسيط بين فقر الوثائق وإمكانية التجاوز، ضمن تاريخ الغرب الإسلامي، قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1994، ص28.

وتأثيرها يزداد داخل النسيج المجتمعي لبلاد الأندلس واضعين بذلك حدا لطغيان التاريخ الرسمي المنصب على دراسة تاريخ الأمراء والأفراد والقواد ...إلخ.

وضمن هذا السياق؛ فإن موضوع الدراسة الموسوم بـ"**جوانب من الحياة الاجتماعية للبربر في بلاد الأندلس من الفتح إلى دخول المرابطين**" جاء لوضع أرضية عملية في دراسة تاريخ الإثنيات في الأندلس خلال العصر الوسيط، ولا سيما أنَّ الأندلس تمثل حقلا نموذجيا لمعاينة هذه الحقيقة، لاحتضانها خريطة اجتماعية متعددة الأجناس تتضمن العرب والبربر والمولدين والصقالبة واليهود والنصارى ...إلخ.

لقد كان تناول العصر الإسلامي للأندلس كموضوع لهذه الدراسة الممتد من الفتح إلى دخول المرابطين كمجال زماني لها، المتميز بطول فترته ليساعد على رصد الواقع الاجتماعي للمنطقة، المستخلص من خلال تشبع بطيء بالاستجواب المتواصل لإشكالات الدراسة على امتداد القراءة من أجل فهم ظاهرة الإثنية في الأندلس من خلال نموذج البربر الذي احتفظ لنا بملامحه أثناء هذه الفترة.

وعليه فإن الإشكالات الرئيسة لهذا الموضوع قد تمحورت حول اندماج البربر داخل النسيج الاجتماعي الأندلسي أو بالأحرى ما هي درجة ومستوى بقاء البربر محافظين على عناصر التميز في تلك الفترة على الرغم من أنهم ما يزالون يحافظون على كثير منها في كامل العدوة المغربية إلى يومنا هذا؟ وهل الاستقرار السياسي الذي عرفته الأندلس في مرحلة معينة من تاريخها أسهم في اندماجهم وتبنيهم للهوية الأندلسية؟ وما مدى تأثير حركات الانشقاق والاستقلال التي عرفت بحكم الطوائف على التكوين العرقي وعلى مشكلة الاندماج والانصهار؟

لقي موضوع البربر في الأندلس اهتماما متواصلا من قبل باحثين متخصصين، حيث أفردت له دراسات أكاديمية وأبحاث متخصصة تناولت قضايا سياسية وثقافية، ومن أبرز الدراسات التي ظهرت حول موضوع البربر بالأندلس

لدينا "**ثورات البربر في عصر الإمارة الأموية**"[1]، وتكمن أهمية هذه الدراسة أنه عرض عرضا مفصلا لجميع الثورات التي قامت في الأندلس أثناء هذه الفترة، وبالتالي لها دور كبير في تذليل الصعوبات لمن يتناولون الجانب السياسي والعسكري لهذه الشريحة في بلاد الأندلس، والدراسة المعنونة بـ" **Identidad y Onomastica de los Bereberes en al Andalus**[2]، (هوية وأسماء البربر بالأندلس) والتي اهتمت فيها صاحبتها برصد تراجم لأبرز البيوتات البربرية في بلاد الأندلس، ودراسة أخرى معنونة بـ"**البربر في الأندلس،** دراسة لتاريخ مجموعة إثنية منذ الفتح حتى سقوط الخلافة الأموية"[3]، وهي دراسة ذات قيمة كبيرة أبرز فيها صاحبها الإسهامات السياسية والعسكرية والثقافية والاجتماعية للبربر في بلاد الأندلس، كما توصل إلى نتائج ذات أهمية كان لها دور في إنجاز بحثنا هذا، معتمدا في ذلك على التروي والتقصي من خلال استعمال تقنية تحديد الميول والإتجاهات في كل ظاهرة من الظواهر قد يحل مشكلة قلة الأخبار التفصيلية

بالإضافة إلى دراسة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها والموسومة بـ"**البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن 5هـ/11م**[4]، التي تتألف من بابين خصص الأول منهما لأهم الهجرات التي قام بها البربر إلى الأندلس، ومناطق استقرارهم بها، إضافة إلى دورهم في المجالات السياسية والعسكرية والثقافية، وتناول في الباب الثاني من هذه الدراسة الفتنة الأندلسية وأسبابها وتطورها، ودور البربر في أحداثها، وحاول الباحث خلال ذلك تحديد المسؤوليات فيما جرى من أحداث جسام بالأندلس في بداية القرن الخامس الهجري، كما أورد مختلف الآراء حول الفتنة بين المؤرخين القدامى والمعاصرين، ملتزما الموضوعية العلمية في تحديد المسؤول عن قيام الفتنة

1- حمدي عبد المنعم حسين، ثورات البربر في عصر الإمارة الأموية، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، د.ت

2-De Felipe Helena- Identidad y Onomastica de los Bereberes en al Andalus- CSIC- Madrid- 1997.

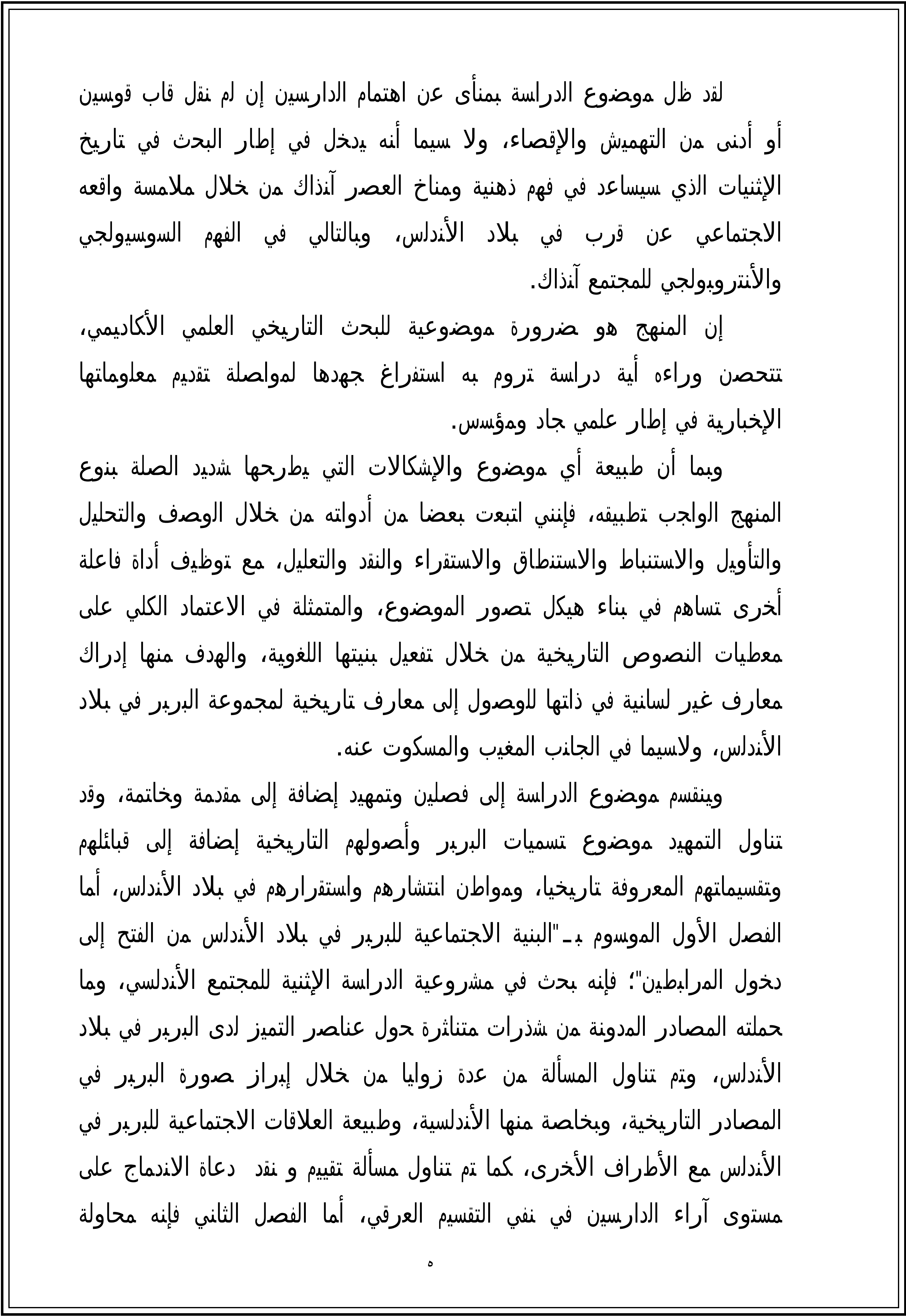
3- محمد حقي، البربر في الأندلس دراسة لتاريخ مجموعة إثنية منذ الفتح حتى سقوط الخلافة الأموية (92هـ/ 711م/ 422هـ)، شركة النشر والتوزيع دار المدارس، الدار البيضاء، 1422هـ/2001م

4- عبد القادر بوباية، البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، أطروحة دكتوراه دولة مرقونة، قسم التاريخ جامعة وهران، 2002

الأندلسية، ليستأنف البحث مجددا في إطار مشروع دراسة ما بعد تدرج موضوعه "**البربر في تاريخ وحضارة الأندلس**"، الذي أنجزت في إطاره دراسات جادة سلطت الضوء على الإسهام السياسي والعلمي للبربر في بلاد الأندلس كدراسة الباحث عمر بخاري الموسومة بـ"**الإمارات البربرية الصغرى في جنوب الأندلس على عهد ملوك الطوائف**"[1]، ودراسة الباحث حميد زيدور الموسومة بـ"**البربر بين المعارضة والموالاة في عهد الإمارة الأموية بالأندلس**(138-316هـ/756-928م)"[2]، ودراسة الباحث عبد القادر يخلف الموسومة بـ"**الإسهام الفكري للبربر بالأندلس من العهد العامري إلى نهاية الوجود المرابطي**(371-539/981-1144م)"[3]، ودراسة الباحثة عدالة مليكة الموسومة بـ"**الإسهامات العلمية للبربر في الأندلس من خلال كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي**"[4]، ودراسة الباحث الحبيب حاكمي الموسومة بـ"**الإسهامات العلمية للبربر في الأندلس على عهد الموحدين مابين القرنين 6-7هـ**(12-13م)"[5].

إن أهمية الدراسات سالفة الذكر التي خصصت لموضوع البربر، والتي تلامس جوانب عديدة من هذه الدراسة، وأهمية متون المصادر الأندلسية لما توفره من مادة معرفية لبناء لبنة هذا البحث، والاحتكاك المتواصل بالدارسين ذوي التحصيل المنهجي والمعرفي، والاطلاع على بعض الدراسات الاجتماعية المتخصصة ذات البعد المنهجي والمعرفي على مستوى الكتابة التاريخية، شجعتنا على اقتحام موضوع دراستنا ذات الطابع الاجتماعي الإثني في الأندلس، حيث لا نكاد نقف على دراسة مستقلة تعنى بموضوع البربر في الأندلس من الناحية الاجتماعية.

1- مذكرة ماجستير مرقونة، قسم التاريخ جامعة وهران، 2009
2- مذكرة ماجستير مرقونة، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2009.
3- مذكرة ماجستير مرقونة، قسم التاريخ ، جامعة وهران، 2009.
4- مذكرة ماجستير مرقونة، قسم التاريخ ، جامعة وهران، 2010م.
5- مذكرة ماجستير مرقونة، قسم التاريخ ، جامعة وهران، 2010م.



لقد ظل موضوع الدراسة بمنأى عن اهتمام الدارسين إن لم نقل قاب قوسين أو أدنى من التهميش والإقصاء، ولا سيما أنه يدخل في إطار البحث في تاريخ الإثنيات الذي سيساعد في فهم ذهنية ومناخ العصر آنذاك من خلال ملامسة واقعه الاجتماعي عن قرب في بلاد الأندلس، وبالتالي في الفهم السوسيولجي والأنتروبولجي للمجتمع آنذاك.

إن المنهج هو ضرورة موضوعية للبحث التاريخي العلمي الأكاديمي، تتحصن وراءه أية دراسة تروم به استفراغ جهدها لمواصلة تقديم معلوماتها الإخبارية في إطار علمي جاد ومؤسس.

وبما أن طبيعة أي موضوع والإشكالات التي يطرحها شديد الصلة بنوع المنهج الواجب تطبيقه، فإنني اتبعت بعضا من أدواته من خلال الوصف والتحليل والتأويل والاستنباط والاستنطاق والاستقراء والنقد والتعليل، مع توظيف أداة فاعلة أخرى تساهم في بناء هيكل تصور الموضوع، والمتمثلة في الاعتماد الكلي على معطيات النصوص التاريخية من خلال تفعيل بنيتها اللغوية، والهدف منها إدراك معارف غير لسانية في ذاتها للوصول إلى معارف تاريخية لمجموعة البربر في بلاد الأندلس، ولاسيما في الجانب المغيب والمسكوت عنه.

وينقسم موضوع الدراسة إلى فصلين وتمهيد إضافة إلى مقدمة وخاتمة، وقد تناول التمهيد موضوع تسميات البربر وأصولهم التاريخية إضافة إلى قبائلهم وتقسيماتهم المعروفة تاريخيا، ومواطن انتشارهم واستقرارهم في بلاد الأندلس، أما الفصل الأول الموسوم بـ"البنية الاجتماعية للبربر في بلاد الأندلس من الفتح إلى دخول المرابطين"؛ فإنه بحث في مشروعية الدراسة الإثنية للمجتمع الأندلسي، وما حملته المصادر المدونة من شذرات متناثرة حول عناصر التميز لدى البربر في بلاد الأندلس، وتم تناول المسألة من عدة زوايا من خلال إبراز صورة البربر في المصادر التاريخية، وبخاصة منها الأندلسية، وطبيعة العلاقات الاجتماعية للبربر في الأندلس مع الأطراف الأخرى، كما تم تناول مسألة تقييم و نقد دعاة الاندماج على مستوى آراء الدارسين في نفي التقسيم العرقي، أما الفصل الثاني فإنه محاولة

لدراسة مظاهر الواقع الاجتماعي للبربر، ومدى تفاعله مع المجتمع الأندلسي، وقد انصب بحثنا فيه على الواقع الاجتماعي لخاصة البربر وعامتهم في الأندلس، وبعض مظاهر الحياة الاجتماعية مثل التنظيم القبلي والمرأة وأنواع الطعام واللباس، إضافة إلى موضوع الخصوصية الثقافية للبربر، أما الخاتمة فقد خصصتها لذكر أبرز النتائج المتوصل إليها.

وقد واجهتنا في إنجاز بحثنا هذا صعوبات جمة أبرزها ندرة المادة العلمية في المصادر المغربية عامة، والأندلسية منها على وجه الخصوص، وتحامل المؤرخين على عنصر البربر، وصعوبة استقصاء ملامح الحياة الاجتماعية للبربر بسبب تشابه الموجود بينهم وبين بقية العناصر الاجتماعية الأندلسية، وبخاصة منهم العرب.

عرض ونقد مصادر البحث: إن موضوع الدراسة ابتلي بآفة ندرة المادة الإخبارية الخاصة به، مما استدعى الأمر تجاوز مستوى البحث عن المادة الخبرية في المصادر التقليدية إلى الانفتاح على مختلف المصادر بتنوعها الموضوعي والزماني والمكاني، وبما أن المجال لا يتسع على ذكرها كلها فسنقتصر على نماذج وعينات من هذه المصادر.

أولاً: كتب الأنساب والتاريخ العام:

1. جمهرة أنساب العرب: لابن حزم الأندلسي وهو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي المتوفى سنة 456هـ -1064م في بادية لبلة بالقرب من إشبيلية.

ينحدر ابن حزم من أسرة إسبانية الأصل، وكان أبوه أحمد وزيرا للمنصور بن أبي عامر، وحينما تداعت الخلافة الأموية بقرطبة نفي ابن حزم إلى مدينة المرية ثم إلى مدينة شاطبة في شرق الأندلس.

نجح منها في تولية صديقه عبد الرحمن الخامس الملقب بالمستظهر عرش الخلافة الأموية، وصار حاجبا له إلا أن الخليفة الجديد لم يلبث أن قتل بعد شهرين من توليه المنصب (415هـ/1024م)، وعلى إثر ذلك اعتزل السياسة وتفرغ للعلم والتأليف. ابن

سجل ابن حزم في كتاب الجمهرة أنساب القبائل العربية الثلاث، وهي عدنان وقحطان وقضاعة، وألحق بها ذيولا لعناصر أخرى من بينها أنساب قبائل البربر[1]، وتكمن استفادتي من هذا المصدر في حصر مواطن استقرار البربر بالأندلس، ورصد مكانتهم الاجتماعية من خلال أبرز بيوتاتهم.

2. كتاب المقتبس لابن حيان القرطبي: وهو أبو مروان حيان بن خلف بن حسين ابن حيان المتوفى سنة 469هـ/1076م، والذي يعتبر من كبار مؤرخي الأندلس.

كان أبو مروان بن حيان كما يقول عنه ابن بشكوال "فصيحا في كلامه، بليغا فيما يكتبه بيده، وكان لا يعتمد كذبا فيما يحكيه في تاريخه من القصص والأخبار، وذكره أبو علي الغساني في شيوخه فقال: "كان قوي المعرفة، مستبحرا في الآداب، بارعا فيها، صاحب لواء "التاريخ بالأندلس"، ووصفه بالصدق فيما حكاه في تاريخه.

امتازت روايات ابن حيان بالدقة والعمق، والنظرة التحليلية الصائبة إذ لم يكن مجرد ناقل فقط بل كان يبدي رأيه فيما يعرض من أحداث وقضايا، ويبحث عن أسبابها وعواملها، ويقوم بمناقشتها عن علم ودراية وفهم وذكاء

وعلى الرغم من ذلك نجده في بعض الأحيان لا يخفي نزعته الأموية وكراهيته الكبيرة للعناصر المغربية المقيمة بالعدوة الأندلسية، متهما إياها بالهمجية والتطاول على أولي الأمر، ومنددا بقسوتها وحقدها الدفين على الدولة القائمة بالأندلس.

عاصر ابن حيان عظمة الخلافة الأموية كما عايش الأحداث الدامية التي أدت إلى سقوطها، وعايش أيضا معظم الأحداث الواقعة على عهد ملوك الطوائف، وبذلك كان

1- حزم الأندلسي- جمهرة أنساب العرب- تحقيق لجنة من العلماء بإشراف الناشر- دار الكتب العلمية- بيروت- 1421هـ- 2001م- ص ص 1- 494. 495

شاهد عيان لحقبة طويلة من تاريخ العدوة الأندلسية تمتد من سنة 377 إلى سنة 469هـ (987-1076م).

وتكمن أهمية هذا الكتاب في كونه أفاد الدراسة في جميع عناصرها من خلال الصورة السلبية التي قدمها عن البربر مما يكشف غياب عقلية نقدية فاحصة للأخبار حولها.

3. **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** لمؤلفه أبي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن عذاري المراكشي الذي كان بقيد الحياة عام 712هـ - 1312م[1].

يعتبر هذا المؤلف من أهم مصادر تاريخ الغرب الإسلامي نظرا لما يتضمنه من معلومات ذات قيمة تاريخية كبيرة أغلبها لم تصل إلينا مثل كتاب الرقيق القيرواني والوراق وابن حيان وغيرهم، ولهذا السبب جاء الكتاب حافلا بمعلومات تاريخية قيمة ينفرد بها عن غيره من المصادر، وبناء على ما سبق ذكره؛ تشكل مادته الخبرية الأساس الرئيس لتناول تاريخ الأندلس والمغرب، فإن كتاب البيان المغرب يعتبر من المصادر المهمة والأساسية في دراسة تاريخ الأندلس والمغرب، ومن أكثرها جدارة بالثقة.

وتكمن أهمية الكتاب في كونه يستوعب فترة زمنية مهمة من تاريخ الغرب الإسلامي تمتد من الفتح إلى بداية عصر بني مرين، ولذلك أفاد البحث في جميع جوانبه وبخاصة في تبيان الواقع الاجتماعي للبربر.

4. "**مفاخر البربر**" لأبي عبيد ا صالح بن عبد الحليم الإيلاني المصمودي الذي كان بقيد الحياة عام 712هـ -1312م[2]. ويكتسي الكتاب أهمية بالغة نظرا لاعتماده على مقتبسات تعود إلى القرنين الرابع والخامس الهجريين، ويتضمن الكتاب مزيجا من الأخبار المتعلقة بالأنساب والتراجم فضلا عن إدراجه ضمن كتب التاريخ العام.

1- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار أهل الأندلس و المغرب، ج1،ج2،ج3، تحقيق ومراجعة ج.س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1980.

2- أبو عبيد ا صالح بن عبد الحليم الإيلاني المصمودي، مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق، الرباط، ط2، 2008.

يعتبر كتاب "مفاخر البربر" وثيقة تاريخية في غاية الأهمية، تخص بلاد المغرب الإسلامي، ويركز المؤلف في كتابه على أنساب البربر فيورد أسماء أغلب القبائل البربرية بالمغرب، كما يذكر أبرز البيوتات البربرية بالعدوة الأندلسية، ويفرد فصلا مطولا لذكر علمائهم حيث يترجم لاثنين وسبعين عالما من أصول بربرية، وهي العناصر التي وظفناها في بحثنا هذا.

5. بيوتات فاس الكبرا: لابن الأحمر، وهو أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد ابن الأمير أبي سعد فرج أمير مالقة ابن يوسف الخزرجي الأنصاري المدعو بالأحمر، وهو الجد الأعلى لأسرة بني الأحمر ملوك غرناطة، نزيل فاس والمتوفى بها سنة 807هـ/1405م[1].

وضع ابن الأحمر المشروع الأول لهذا الكتاب، وأكمله من جاء بعده، ويتضمن الكتاب ذكر 83 بيتا من بيوتات فاس وأعيانها، يعود قسم منها إلى العائلات القادمة من الأندلس، ويبدو أن الدافع إلى هذا التأليف هو رغبة المؤلف في التعريف بالعوائل الأندلسية الوافدة إلى فاس حفاظا على هويتها للأجيال القادمة.

يتضمن الكتاب أيضا معلومات في غاية الأهمية عن الجوانب الاقتصادية والاجتماعية بالعدوة الأندلسية، ومنها ذكر العناصر المختلفة التي شكلت المجتمع الأندلسي ومناطق استقرارها، وكذا الحرف التي اشتغل بها كل عنصر من هذه العناصر، ومن هنا تكمن استفادتنا من هذا الكتاب.

6. كتاب "**التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة**" لمؤلفه الأمير المظفر أبو محمد عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد، آخر ملوك دولة بني زيري بغرناطة بعد سنة 488هـ/1095م[2].

يكتسي كتاب التبيان أهمية كبرى لدارسي تاريخ الأندلس في الفترة الممتدة من سقوط الدولة العامرية (399هـ-1008م) إلى خلع آخر ملوك الطوائف

1- اسماعيل ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرا، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م
2- عبد الله بن بلقين، كتاب التبيان، تحقيق أمين توفيق الطيبي، منشورات عكاظ، الرباط، 1995م.

(487هـ-1094م) حيث يغطي الثلاثين السنة التي تلت نهاية تاريخ ابن حيان كما يساعد على التثبت مما ورد في رواية ابن حيان أو يزودنا بمادة جديدة.

لا يزودنا كتاب التبيان بوجهة نظر أحد ملوك الطوائف فحسب، بل إنه كذلك رواية ملك من أصل بربري في حين أن جلّ الكتابات المتوفرة لدينا إلى الآن عن هذه الفترة من التاريخ الأندلسي تمثل وجهة نظر جانب واحد مشايع للأمويين، ويمثله كتّاب أندلسيون كابن حيان وابن حزم عرفوا بعدائهم الشديد لملوك الطوائف عامة، وللبربر على وجه الخصوص، ومن بين النقاط المهمة التي يؤكدها الكتاب انقسام الأندلس في بداية القرن الخامس الهجري إلى جماعتين عرقيتين متنافرتين: الأندلسيين والبربر.

7. كتاب **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** للعلامة ابن خلدون، وهو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي المتوفى عام 808هـ/1406م[1].

شرع ابن خلدون في تأليف كتابه في قلعة بني سلامة، ثم أتمه بتونس بعد عودته إليها، وظلّ مواظبا على ضبطه وتنقيحه طيلة حياته، ويكتسي الكتاب أهمية بالغة من حيث احتفاظه بروايات عن أصول البربر نقلا عن نسابة البربر.

ثانيا: الكتب الجغرافية والرحلة

تكتسي كتب الجغرافيا والرحلات أهمية بالغة في موضوع بحثنا، وتتجلى أهميتها في كونها أمدتنا بمادة غزيرة حول مواطن استقرار البربر في الأندلس، فضلا عن الإشارات المهمة حول نشاطاتهم المهنية وبالتالي التعرف عن قرب عن ملامح حياتهم الاجتماعية ومن أهم الجغرافيين الذين استفدنا منهم:

1. كتاب "**ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك**" لمؤلفه أحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن

---

[1]- ابن خلدون عبد الرحمن (ت 808هـ/1406م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمان والسعودية، د.ت

الدلائي المتوفى سنة 478هـ -1085م[1].

لم تصلنا من هذا المؤلف سوى بعض النصوص المتعلقة بالأندلس، والتي تعتبر من أحسن ما نشر من الأصول الأندلسية، وهي تسد ثغرات كثيرة في جغرافية الأندلس وتاريخها حتى عصر المؤلف.

ولم يقتصر كاتبها على المعلومات الجغرافية فقط بل ضمن كتابه الكثير من الأخبار المتعلقة بالتاريخ، وهو أمر لم يسبق إليه أحد من الذين ألفوا في مادة الجغرافية في بلاد الغرب الإسلامي.

يتميز العذري بوصفه الجغرافي المسهب الذي نهج فيه منهجا سليما، فهو يقسم كتابه إلى ما يشبه الفصول، ويدور كل فصل منها حول كورة من كور الأندلس معتمدا في ذلك على ما اقتبسه من أحمد الرازي وما أضافه بنفسه مما يدل على اطلاع ومعرفة ومشاهدة، كما يعتبر كتابه من أجود الكتب وأحسنها في الحديث عن الثغور الإسلامية، وعن الأسر المستقلة بها، وعلاقتها بقرطبة من جهة، وبالنصارى من جهة أخرى.

إضافة إلى ما سبق، أفادني هذا المؤلف في استبيان النظام القبلي لدى البربر، ومدى تطوره واستجابته للنظام الإداري الذي أوجده أمراء وخلفاء بني أمية.

2. **كتاب الجعرافية** لأبي عبد ا محمد بن أبي بكر الزهري المتوفى بعد سنة 546هـ/1151م، و"معنى كلمة جعرافية في الأصل خريطة، ويؤكد هذا المعنى قول الكاتب مرارا: صورنا أو رسمنا"[2]

يتناول المؤلف في كتابه وصف العديد من أقاليم المشرق والمغرب، وقد خصص الجزء الأكبر لبلاده الأندلس، وقد اعتمد في كتابه هذا على مشاهداته الشخصية وعلى ما سمعه من المعاصرين له، وبخاصة فيما تعلق ببلاد العدوة الأندلسية، كما اعتمد على بعض المؤرخين والجغرافيين السابقين له من أمثال

---

[1]- العذري أبو العباس أحمد بن عمر ابن أنس الدلائي(ت 478هـ/1085م)، نصوص على الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965م

[2]- الزهري أبو عبد ا محمد بن أبي بكر (ت أواسط القرن6هـ/12م) ، كتاب الجعرافية، تحقيق محمد حاج صادق، المركز الإسلامي للطباعة، د.ت

المسعودي وابن حيان القرطبي والعذري، وقد أفاد هذا الكتاب البحث من خلال احتفاظه بملامح وخصائص الحياة الاجتماعية للبربر.

3. **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**: لمؤلفه الشريف أبي عبد ا الإدريسي المولود بمدينة سبتة سنة 493هـ-1100م، والمتوفى حوالي سنة 558هـ/1163م.

درس أبو عبد ا الإدريسي في مدينة قرطبة، ثم وطاف بأنحاء العالم الإسلامي وأوروبا حيث زار كثيرا من نواحي الأندلس والمغرب ومصر وآسيا الصغرى، وصقلية التي اتصل فيها بملكها النورماندي روجار الثاني الذي أعجب بعلمه، وطلب منه أن يؤلف له كتابا عن صورة الأرض[1]، فلبى طلبه وألف له كتابا سماه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، كما رسم له خريطة للعالم المعروف آنذاك.

يكتسي الكتاب أهمية خاصة بالنسبة لموضوع البحث حيث يعرفنا بأسماء المواضع ذات الأصول البربرية.

الكتب الأدبية:

1. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لمؤلفه أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني الذي ولد في بلدة شنترين، وهي معدودة في كور باجة، ويفصلها عن بطليوس أربع مراحل، وعقب سقوط هذه البلدة في يد النصارى غادرها ورحل إلى أشبونه سنة 477هـ-1084م، ثم انتقل منها إلى قرطبة عام 494هـ-1100م، وكانت وفاته بها سنة 542هـ-1148م. صنف ابن بسام كتاب "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" سنة 502هـ-1109م بمدينة إشبيلية حيث استقر وعاش من قلمه، ويشتمل على 154 ترجمة مسهبة لأعيان الأدب والسياسة ممن عاصرهم أو تقدموه قليلا"[2]

1- الإدريسي أبو عبد ا بن محمد بن عبد ا الشريف (ت 558هـ/1162م)، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م- ص10-11/السيد عبد العزيز سالم- التاريخ والمؤرخون العرب- ص 193.

2 – الشنتريني أبو الحسن علي بن بسام(ت 542هـ/1147م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ،1998م

يعرض ابن بسام في كتاب الذخيرة لتاريخ الملوك والوزراء والأمراء عرضا دقيقا، ويزن آثارهم الأدبية وزنا صحيحا، وقد قسم المؤلف كتابه إلى أربعة أقسام.

وقد أفادني ابن بسام في مرحلة مهمة من هذا البحث، وتكمن في طبيعة العلاقات بين البربر وبقية عناصر المجتمع الأندلسي.

2. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب: الذي ألفه أبو العباس أحمد بن محمد بن العباس بن أحمد بن يحي بن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد الشهير بالمقّري التلمساني المتوفى في جمادى الآخرة سنة 1041هـ/1631م[1].

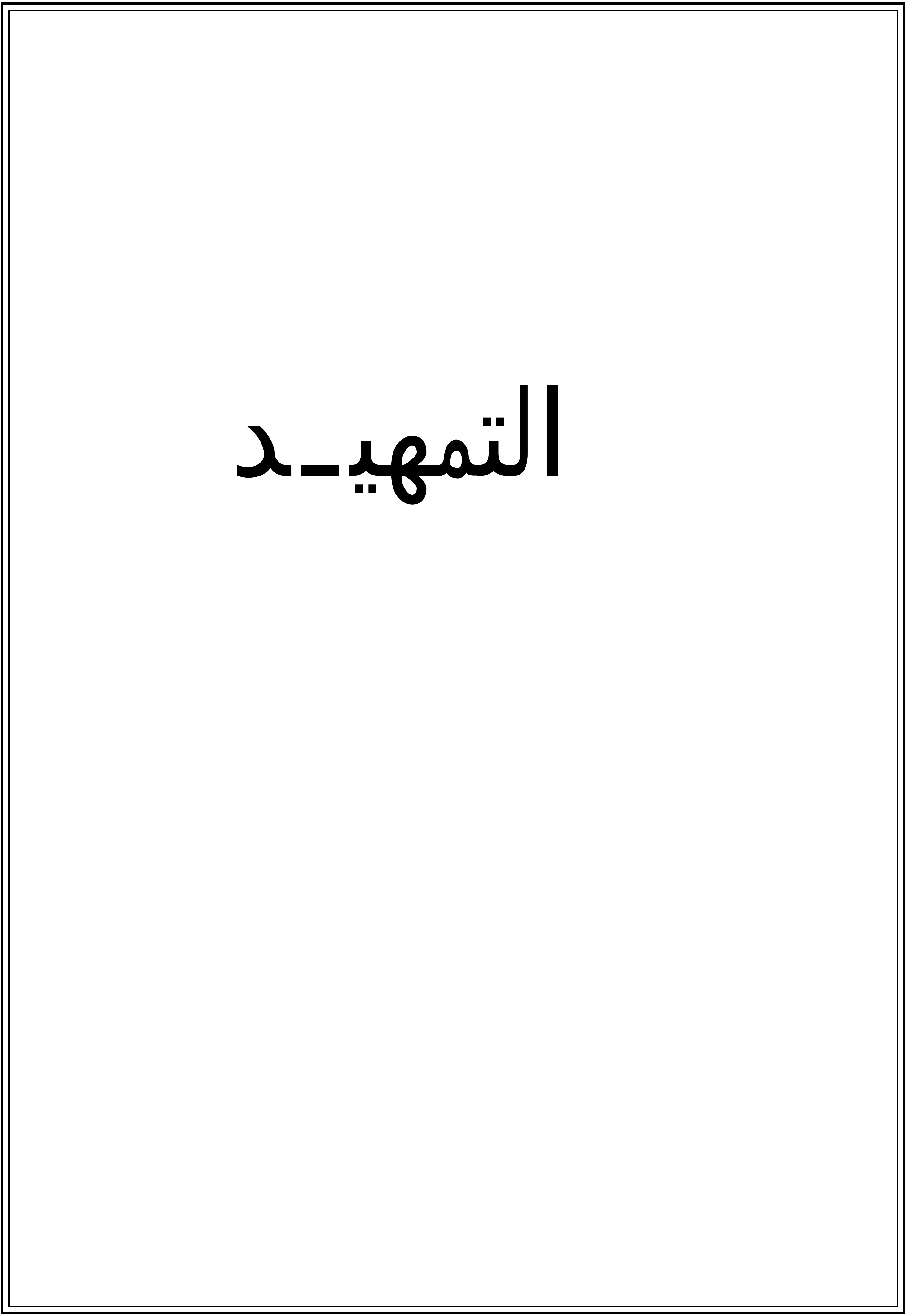
يعتبر هذا الكتاب موسوعة للحياة الفكرية والأدبية والاجتماعية، ويحتوي على تراجم الرجال في الأندلس، كما يعتبر مصدرا أساسيا لجميع الباحثين في تاريخ الأندلس والمغرب، وقد تجلت أهمية هذا الكتاب في توضيح طبيعة العلاقات الاجتماعية التي كانت تربط البربر والقوط قبل الفتح، وكذا صورة البربر من خلال روايات المؤرخين الذين اقتبس منهم مادته التاريخية.

كتب الحسبة: تعد كتب الحسبة من أهم مصادر أساسية التي تحمل مادة قانونية من الزاوية الشرعية وضعت لتفنين وتنظيم حياة المجتمع، إلا أنها قد تضمنت إشارات هامة، تخص الحياة الاجتماعية للبربر في بلاد الأندلس من أكل ولباس، فضلا عن مظاهر أخرى تخص أحوال المرأة البربرية.

ومن أهم كتب الحسبة التي عولنا عليها كثيرا كتاب "رسالة في القضاء والحسبة" لأبي عبدون أبي عبد ا محمد بن أحمد المتوفى في أواخر القرن الخامس الهجري، وكتاب "في آداب الحسبة" لأبي عبد ا محمد السقطي المالقي الذي عاش خلال القرن السادس الهجري.

1- المقري التلمساني أبو العباس أحمد- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب- تحقيق يوسف طويل ومريم قاسم طويل- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1415هـ-1995م- ج1 ص و.

هذه هي أهم المصادر التي عولنا عليها في انجاز هذا العمل، كما اعتمدنا على مصادر ومراجع أخرى سترد في ثبت المصادر والمراجع، كما سبق وان نوهت بأهم الدراسات الحديثة التي كان لها الفضل في متابعة هذا العمل بناء لما توصلت إليه من نتائج.



التمهيـد

عُرف سكان شمال إفريقيا، بتسميات متعددة في مختلف المصادر التاريخية كالأفارقة والليبين والأمازيغ والبربر، وإن كان اسم البربر يعد المشهور والمتفق عليه في المصادر الوسيطية الإسلامية.

وإذا كانت أغلب الدراسات تذهب إلى أن هذا الاسم قد ألصق بسكان هذه المنطقة على يد الرومان والإغريق الذين يطلقونه على كل أجنبي وغريب عن حضارتهم وثقافتهم، فإن شارل أندري جوليان يرى البربر لم يطلقوا على أنفسهم هذا الاسم بل أخذوه من دون أن يروموا استعماله، عن الرومان الذين كانوا يعتبرونهم أجانب عن حضارتهم، وينعتونهم بالهمج ومنه استَعمل العرب كلمة برابر وبرابرة [1]، وإن حاول شارل أندري جوليان أن يكْشف النقاب عن حقيقية البربر الذين لم يكونوا كذلك إلا من حيث التسمية، لكن إن حاولنا أن نثبت الجذور الحقيقية والإرهاصات الأولى لهذا الاسم عن طريق تأصيل هذا الاسم في المصادر الإغريقية والرومانية، نجدها أنها لا تشير لا من قريب أو من بعيد إلى هذه التسمية، بل إن من التسميات التي ترددت في فقرات هيرودوت لدينا هي "الليبيين والماكسيس[2]" ويشير كامبس أن سالوست كان يسميهم بالجيتوليين والليبيين[3].

في حين يقدم المؤرخون العرب تفسيرات عديدة فيما يتعلق باشتقاق اسم البربر. فابن خلكان يرى أن إفريقش بن صيفي الحميري لما غزا إفريقية وسمع كلام أهلها لم يفهمه، فقال لهم: ما أكثر بربرتكم، فسموا بربرا[4]، غير أن ابن خلدون دحض هذه الرواية، واعتبرها من الأخبار الواهية للمؤرخين بقوله " وما كان لحمير

1- تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي والبشير سلامة، الدار التونسية، تونس، ط3، 1978م، ص12.

2- أحاديث هيرودوت (487/489-425 ق.م)عن الليبين (الأمازيغ)، ترجمة وتعليق وشرح: مصطفى أعشي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2009، ص 76.

3- CAMPS (GABRIEL), *Les berbères, mémoire et identité*, Éditions Errance, collection des hespéridés, 1987, p83.

4- ابن خلكان، وفيات الأعيان، دار الثقافة ، بيروت، د.ت،ج1، ص55

طريق إلى بلاد البربر إلا في تكذيب مؤرخي اليمن[1]"، إلا أنه يربط التسمية بلغة التي يتكلمون بها بقوله "ولغتهم من الرطانة الأعجمية متميزة بنوعها، وهي التي اختصوا من أجلها بهذا الاسم"[2]، إلا أن ما هو ملفت للانتباه في هذه المسألة رغم أن هذه التسمية اقترن معناها بمعاني هجينة كالتوحش والهمجية، والتي اقترنت إلى حد كبير بمصادر الفترة الوسيطية، إلا أن البربر في حد أنفسهم لم يرفضوا هذه التسمية رغم ما لهذه الأخيرة من تلفيق وقدح وتنقيص من شأنهم، ويعد محمد حقي من الباحثين المختصين في هذا الميدان، والذي قدم تفسيرا مقنعا في المسألة عندما قال "قد يكون هذا ناتجا من عدم الاهتمام ما دام البربر ينتسبون في أغلب الأوقات إلى قبائلهم وعشائرهم،[3] ورغم أهمية هذا التفسير لكن ثمة إشارة مهمة يمكن أن نهتدي إليها تبدد لنا هذا الغموض حول قبول هذه التسمية الهجينة التي لا تعبر إلا عن مرحلة بدائية من التنظيم الاجتماعي.[4]

1- تسمية أمازيغ

أورد لنا صاحب مفاخر البربر خبرًا في شأنهم لما دخلوا على عمر بن الخطاب رضي ا عنه قال لهم " ما اسمكم الذين تعرفون به في الأمم، قالوا:بني مازيغ"[5]، وإذا استنطقنا دلالاتها اللغوية نجدها تعني ما يلي: أمازيغ، جمعه ئمازيغن: هو الإسم الذي ينتسب إليه البربري كما سماه العرب نقلا عن الروم، والصيغة

1- أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الأشبيلي التونسي القاهري المالكي الشهير بابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمان والسعودية، د.ت، ص 1600/ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، راجع النسخة نخبة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ/2001،ص495.

2- ابن خلدون، نفسه، ص 1597./ تم تناول هذه المسألة بقليل من التفصيل في عنصر اللسان البربري في بلاد الأندلسي من هذه الدراسة.

3- محمد حقي، المرجع السابق، ص 27.

4- موسى لقبال، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية النشر والتوزيع، الجزائر،ط2، 1981،ص16.

5- مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الدار البيضاء، 2005،

الأصلية هي "أمازاغ، اسم فاعل للفعل "يوزغ" الذي بمعنى أغار، فالمعنى الأقدم إذن هو المغير الذي لا يغار عليه ومن ثم معناه الإنسان الشهم، النبيل، الحر، الشريف[1].

وفي المقابل إذا نقبنا عن أصل التسمية في المصادر القديمة، نجد أن هيرودوت يحتفظ لنا بلفظة ماكسيس، بقوله: "نجد أن الليبيين المزارعين ببيوتهم غرب نهر تريطون الذين يسمون الماكسيس"[2]، ويتساءل الباحث محمد أعشي من باب قطع الشك باليقين لما قال "هل الماكسيس الذين يذكرهم هيرودوت هم مازييس ومازازاس لدى الكتاب الآخرين تحريف لكلمة أمازيغ أو مشواش يبدو أنهم كذلك، لأن هناك حرفين يتكراران في هذه الأسماء وهما الميم والزاي"[3].

وبناء على الإشارتين السابقتين التي وردتا في مرحلتين مختلفتين بين هيرودت وصاحب مفاخر البربر اللتان تؤكدان على أن مصطلح "أمازيغ" أطلق على كل سكان البربر، وليس فئة معينة تلك التي احتلت رتبة اجتماعية المكونة من الشرفاء والمرابطين كما ذهب إلى ذلك الباحث محمد حقي[4].

وابن خلدون يفصل في هذه المسألة بصريح العبارة لما يعتبر "أمازيغ"، هو الأب الروحي للبربر بقوله: "والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح كما تقدم في أنساب الخليقة، وأن اسم أبيهم مازيغ"[5]، ويبدو أنه في هذا النص يحاول هنا الفصل في أمرين مهمين: أولهما يتعلق بأصل الأمازيغ[6]، وثانيهما أن تسميتهم ارتبطت باسم أبيهم، ولكن تبقى ذكر تسمية "مازيغ" في المصادر الوسيطية، مقصورة على كتابي مفاخر البربر وتاريخ ابن خلدون ـ على قدر المصادر المتاحة ـ لتفسح المجال لكلمة البربر رغم حمولتها المعنوية التي

1- محمد شفيق، الدارجة المغربية مجال توارد بين الأمازيغية والعربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،1999،ص56./ محمد شفيق، المعجم العربي الأمازيغي، أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة معاجم، الرباط، 1996،ج2، ص100.

2- أحاديث هيرودوت، فقرة،191،ص76.

3- المصدر نفسه، هامش المحقق رقم: 99، ص76.

4- البربر في الأندلس، المرجع السابق، ص28

5- تاريخ ابن خلدون، المصدر السابق، ص 1600

6- لقد أورد ابن خلدون في نسب البربر وأصلهم أقوالاً وأراءً كثيرة فعرضها عرضا وتفسيرا ونقدا ليخلص في آخر المطاف " أن هذه المذاهب مرجوحة وبعيدة من الصواب" لا يمكن الأخذ بها والإعتبار بصحتها، ليثبت أخيرا الرأي المذكور أعلاه على أن البربر حاميين الأصل./ المصدر نفسه، ص1600.

شاع ذكرها في المصادر الوسيطية ولم يعترض عليها ناعتوها، وبما أن كل فترة زمنية تختص بمصطلحاتها، سنعمد على استعمال هذا المصطلح " البربر" طوال مدة البحث، بما أنه ينتمي إلى الفترة الوسيطية.

2- تقسيمات البربر:

ومن جهة أخرى فإن البربر ينقسمون بدورهم إلى جذمين رئسيين وهما البتر والبرانس، إذ ورد عند ابن خلدون في هذا الشأن في قوله: "وأما شعوب هذا الجيل وبطونهم فإن علماء النسب متفقون على أنهم يجمعهم جذمان عظيمان وهما: برنس ومادغيس، ويلقب بالأبتر فلذاك يقال لشعوبه البتر ويقال لشعوب برنس البرانس وهما معا ابنا برنس"[1]، كما أنه ظهرت عدة آراء ودراسات حول تفسير لفظتي البتر والبرانس اللتين جاءتا للتمييز بين اللباس القومي الذي ترتديه هذه الجماعات. فالبرانس كانوا يقطنون الجبال فكانوا يرتدون برنسا كاملاً، أي بغطاء الرأس، ومن هنا جاءت لفظة برانس، بينما لم يكن للفرع الثاني، أي سكان السهول، أن يلبسوا هذا اللباس، فاكتفوا بالبرنس من غير غطاء الرأس أي أبتر، ولهذا سموا بالبتر[2]، إلا أن الباحث القادري بوتشيش يرفض هذا الرأي تماما، ويعتبر أن معيار اللباس الذي تبناه أصحاب هذا الإتجاه لا يقوم على أي أساس منطقي، معتمدا في ذلك على الإنتقادات التي قدمها غوتي حين أكد أن هذا الإفتراض لا ينطبق على القبائل البربرية برمتها، ويصعبُ معه إدراج صنهاجة اللثام في طائفة من الطائفتين[3].

كما أننا نعتقد أن الحجة التي قدمها غوتيه وتبناها القادري بوتشيش تحتاج إلى نظر، فاللثام هو اللباس القومي الزائد المميز للصنهاجيين، حيث أن المصادر التاريخية لا تشير لا من قريب ولا من بعيد لعدم ارتدائهم للبرنس سواءً كان كاملا أو مبتورا، كما أن المصادر في حد ذاتها لم تشر على الإطلاق على أن البربر أو فرع منهم ارتدوا برنسا مبتورا ولعل ابن حيان كان جد واضح في تبيان هذه المسألة

1- ابن خلدون، نفس المصدر، ص1597.

2- أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1978،ص 27-29

3- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1998، ص11.

لما قال: "وكان البربر في المغرب والأندلس يقبلون على ارتداء الأقبية* التي تنتهي من أعلى بغطاء للرأس والعنق وهو ما يعرف بالبرنس"[1]، إن ما يمكن الإستفادة منه من هذا النص أن البربر بفرعيهم سواءٌ كانوا برانس أو بترا ارتدوا البرنس المزود بغطاء الرأس، ولم يكن مقصورا على البرانس فقط.

وعليه فإن التفسير اللغوي للفظتي البتر والبرانس لا تقوم على أية حجة منطقية تاريخية. ولعل إثارة جدلية البربر بين البتر والبرانس لا تبرز أهميتها إلا من خلال ربطهما بالواقع التاريخي الذي صنعاه سواءً كان في المغرب أو الأندلس وهذا ما سيتم استبيانه لاحقا.كما أن كل فرع من هذين الجذمين يضم قبائل عديدة، وقد حصرها المؤرخون النسابون فيما يلي:

البرانس: أزداجة، مصمودة، أوربة، عجيسة، كتامة، صنهاجة، أوريغة، لمطة، هسكورة، جزولة، مسطاسة[2].

البتر: لواتة، نفوسة، نفزاوة، مغراوة،زناتة، مطغرة، مغيلة، مكناسة، مديونة، زواغة[3].

---

*- القب: هو غطاء الرأس من الجلباب المغربي أو من البرنس ويقال للتصغير أقبو، تاقبوت، هو الجلباب المغربي ذو غطاء الرأس، ويتساءل محمد شفيق إن كان للفظة علاقة باللاتينية الرأس= Caput/ محمد شفيق، الدارجة المغربية مجال توارد بين الأمازيغية والعربية، المرجع السابق، ص148.

1- ابن حيان القرطبي، المقتبس في أخبار بلاد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، 1965، ص 118.

2- ابن خلدون، المصدر السابق، ص1597-1625

3- نفسه، ص1597/ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب،ص 495-498/ ومن أهم الدارسين الذين اهتموا برصد القبائل البترية والبرانسية لدينا: عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1318هـ - 1968./ بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية (أدوارها، مواطنها، أعيانها)،ج1،دار الكتاب العربي، الجزائر، 1999.

3- مواطن استقرار البربر في بلاد الأندلس:

ينتمي البربر الذين هاجروا إلى الأندلس واستقروا فيها إلى العديد من القبائل سواءً كانوا من البتر أو من البرانس، ولعل الإشارات التي احتفظ لنا بها ابن خلدون تؤكد ذلك في قوله: "لما استوسق الإسلام في البربر أجازوا إلى فتح الأندلس وأجازت منهم أمم واستقروا هنالك"[1]، وبما أن البربر انتشروا واستقروا في جميع أصقاع شبه الجزيرة الأندلسية، سيتم التركيز على تتبع أهم مواطن استقرارهم في بلاد الأندلس.

أ- الجنوب:

تعد المنطقة الجنوبية أهم مناطق استقرار البربر بحكم القرب الجغرافي، ولأنها تعد من أولى المناطق التي فتحها المسلمون بقيادة طارق بن زياد، ومن أهم المدن والمناطق التي استقر فيها البربر تتمثل فيما يلي: الجزيرة الخضراء، شذونة، قرطبة، مورور، إلبيرة.

الجزيرة الخضراء: تَواجد البربر بأعداد كبيرة في هذه المنطقة، حيث كان لهم إقليم خاص بهم يسمى جزء البربر[2]، والمعلوم أن كلمة جزء كانت تستعمل لتشير إلى الإقليم حيث يشير ياقوت الحموي "أن الأجزاء كانت تقوم مقام الإقليم"[3]، ويبدو أنهم كانوا يتفوقون حتى على العرب بأعدادهم في مدينة الجزيرة الخضراء نفسها، ويؤكد ذلك اليعقوبي بقوله:"وبغربي شذونة مدينة يقال لها الجزيرة، نزلها البربر وأخلاط من البربر قليل"[4].

1- تاريخ ابن خلدون، ص 1613.

2- العذري أحمد بن عمر ابن الدلائي، نصوص على الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الأثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965،ص120

3- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1404هـ -1984، ج3، ص23./ عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي في شمال إفريقيا والأندلس، المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2004، ص174.

4- أحمد اليعقوبي، كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، هـ1408-1988م، ص110.

كما أن ثورة الحبيب البرنسي التي كانت سنة 236هـ انطلقت من جبال الجزيرة التي تدل على كثرة العناصر البربرية بهذه المنطقة[1].

شذونة: استقر فيها بنو إلياس، رهط الوزير* أحمد بن إلياس[2]، حيث يشير العذري لأحد بنيه هو عبد الكريم بن إلياس البربري الذي كانت سكناه بمغيلة من كورة شذونة[3]، ويشير ابن عذاري إلى جمع من زناتة التي استقرت بهذه المنطقة بقوله "وكان بشذونة جمع من البربر، عليهم رجل من زناتة"[4]، ومن أهم البيوتات التي استوطنت بهذه المنطقة بيت بني نبيه وبيت بني الأخطل من ملزوزة البترية[5].

مورور: استقر بها جمع من البربر، كإبراهيم بن شجرة البرنسي الذي كان رئيسا في قومه، إذ أيد عبد الرحمن الداخل في قضيته حيث يشير صاحب فتح الأندلس بقوله "ارتحلنا إلى كورة مورور فبايعه كبيرها إبراهيم بن شجرة مع جميع أهلها"[6]، ومن زناتة أيضا استقر بنو دمر بمورور[7].

إشبيلية: استقر فيها بنو الليث من زناتة الذين أقاموا في شنت فيلة الواقعة على الطريق الواقع بين أشبيلية وقرطبة[8]، كما استقر قوم من البربر في حصن شذْفيلة من أقاليم إشبيلية[9]، ومن هوارة استقر فرع منهم المتمثل في بني جهور المرشانيين الواقعة على نحو ثلاثين كيلومتر إلى الشرق من إشبيلية[10].

1- إبن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س كولان وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط2 1980،ج2،ص 90.

*- هو أحمد بن محمد بن إلياس المغيلي الوزير القائد، ولي الولاية الجليلة لعبد الرحمن الناصر أمير المؤمنين، وكان جده إلياس أحد أعلام البربر الداخلين إلى الأندلس مع طارق في الفتح الأول/ مفاخر البربر، ص188.

2- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 499./ العذري، ترصيع الأخبار، ص113.

3- نفس المصدر، ص113.

4- ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص31.

5- ابن حزم، المصدر السابق، ص500.

6- مؤلف مجهول، فتح الأندلس، تحقيق لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1994،ص86.

7- ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار أهل الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س كولان وإ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط2 1980،ج3 ص 113.

8- ابن حزم، المصدر السابق، ص499.

9- العذري، ترصيع الأخبار، ص109-176.

10- ابن حزم، المصدر السابق، ص500/ عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي، المرجع السابق، ص264.

ومما يدل على كثرة التواجد البربري بمنطقة إشبيلية ما ذكره إبن عذاري حين تكلم عن التمرد الذي قام به عبد الغافر اليماني سنة 142هـ/759م لما قال: "ثار على الأمير عبد الرحمن بإشبيلية وتغلب على ما جاور قرطبة"[1] ومن أجل أن يتغلب عليه "داخل الإمام عبد الرحمن البربر وكانوا العدد الوافر الأكبر، فنزع الأكثر منهم إليه وصاروا في حزبه وأيديه"[2].

استجة: استقر بأشونة التي تقع بنواحي استجة[3]، بنو عبد الوهاب الصنهاجيين، وهم من ولد ميمون بن أبي جميل، ابن أخت طارق بن زياد، وبنو الطاهر بن مناع الصنهاجيين[4]، وبنو طريف المصموديين[5].

تاكرنا: شهدت هذه المنطقة مشاركة فعالة من قبل البربر حيث كان لهم دور كبير في قيام دولة بني أمية في الأندلس، مما يدل على أنهم شكلوا عنصرا مهمًا ضمن سكان هذه المنطقة حيث ورد عند ابن القوطية قوله: "ووصل الخبر إلى بني خليع من مديونة وكانوا في تاكرنا، فأقاموا في أربع مائة فارس"[6]، كما أن ابن حزم يوكد هذا القول على أن بني خليع من مديونة استوطنوا بتاكرنا[7]، ويشير ابن عذاري عذاري أن هذه المنطقة شهدت فتنة قام بها البربر سنة 178هـ/794م بقوله " وهاجت الفتنة بتاكرنا وخالف بربرها، وغاروا على الناس وقتلوا وسبوا[8].

ورغم أن تاكرنا شهدت هجرة مهمة من طرف البربر إلى مناطق أخرى مثل طلبيرة وترجيلة، نتيجة القسوة الشديدة التي استخدمها الأمير هشام بن عبد الرحمن في القضاء على تمردهم[9]. إلا أن المنطقة شهدت عدة تمردات وثورات قام بها البربر في القرن الثالث الهجري، كالتمرد الذي قام به طوريل البربري سنة

1- ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص50-51.
2- نفسه، ج2، ص51.
3- ابن حزم، المصدر السابق، ص502./ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص222.
4- ابن حزم، نفس المصدر، ص500.
5- نفسه، ص500.
6- أبو بكر بن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989،ص36.
7- جمهرة أنساب العرب، ص500.
8- ابن عذاري، البيان المغرب، ج2،ص64.
9- نفسه، الصفحة نفسها

211هـ/826م[1]، وثورة يحي الجزيري الذي ثار وتاكرنا سنة 265هـ/875م[2] مما مما يدل على أن المنطقة مازالت تشهد تواجدًا بربريًا بها.

قرطبة: تعد قرطبة من أهم مراكز استيطان البربر في المنطقة الجنوبية لشبه الجزيرة الأندلسية، ومن أهم القبائل التي استوطنتها نجد مصمودة وهوارة وكتامة ومغيلة[3]. فكان منهم بنو القرامطي الهواريين القاطنين بالجانب الغربي بقرطبة[4]، ومن مصمودة بنو يحي بن كثير صاحب مالك بن أنس[5]، ويشير صاحب مفاخر البربر أنه "كانت لهم ثروة وعدد"[6]. ومن وزداجة بنو دُليم الفقهاء[7]، حيث أجازوا إلى إلى الأندلس بقيادة أبو دليم بن الخطاب، الذي كان لبنيه بها ذكر، وفي فقهاء قرطبة مكان على حسب قول ابن خلدون[8]، ومن كتامة سكن بنو مشرف بقرية شقندة[9]، التي التي تقع بعدوة نهر قرطبة قبالة قصرها[10]، وبيت الحسن بن مسعد، وبيت بن رحيق السماتي[11].

أما خارج قرطبة فإن أهم منطقة استقطبت من طرف ساكنة بربرية هي منطقة فحص البلوط التي تقع في الشمال الغربي من قرطبة، حيث ورد عند ياقوت الحموي قوله "يسكنه البربر وسهله منتظم بجبال منها جبل البرانس"[12]،

1- ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص82

2- نفسه، ص103.

3- عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي، ص264./ عبد القادر بوباية، البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، 300-422هـ/ 912-1031م، رسالة دكتوره مرقونة، جامعة وهران، 2002، ص90.

4- جمهرة أنساب العرب، ص500.

5- نفسه، ص500/ أبو عبد ا بن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، د.ت، القسم الأول ص188-190.

6- مفاخر البربر، ص189.

7- ابن حزم، جمهرة، ص498.

8- تاريخ ابن خلدون، ص 1625.

9- ابن حزم، المصدر السابق، ص501.

10- أبو عبد ا محمد بن عبد ا بن عبد المنعم الحميري، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إ.ليفي بروفنصال، دار الجيل، بيروت، ط2، 1988،ص104.

11- ابن الأبار (أبو عبد ا محمد بن عبد ا بن أبي بكر القضاعي البلنسي ت 658هـ)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار المعرفة، الدار البيضاء، د.ت، ج1، ص16.

12- معجم البلدان، ج1، ص492.

ونفس الإشارة وردت عند الحميري[1]، وتعد مكناسة ومديونة ومصمودة ونفزة وجراوة من أثر القبائل التي كانت تقطن في هذه المنطقة[2]، ويوجد إقليم لواتة في منطقة فريش التي تقع في الغرب من فحص البلوط ومدينة قرطبة[3]

ب- مواطن استقرار البربر بوسط الأندلس:

تمتد منطقة استقرار البربر في وسط الأندلس أو ما يسمى بالثغر الأوسط عبر وديان نهر تاجة من شمال طليطلة وطلبيرة شمالاً إلى وادي آنة في الجنوب، حيث تقع ماردة ومادلين التي كانت عاصمته مدينة سالم ثم طليطلة[4]، وتعود بواكر استقرار البربر في مدينة طليطلة إلى عهد فتح طارق بن زياد لها، بعد أن ضم اليهود،وخلى معهم بعض رجاله وأصحابه بطليطلة"[5]، ،و يقول اليعقوبي عن طليطلة طليطلة "مدينة منيعة جميلة، ليس في الجزيرة أمنع منها وأهلها يخالفون على بني أمية وهم أخلاط من العرب والبربر والموالي"[6]، ومن أبرز المواجهات التي حدثت بين بربر طليطلة وبين الحكم الأموي هي مساندتهم عبد الرحمن بن يوسف الفهري والتي تدل على كثرتهم لما نقض عهده وخرج سنة 141هـ/ 759م على عبد الرحمن الداخل ولحق بطليطلة "واجتمع إليه زهاء عشرين ألف من البربر"[7].

ويشير الدارسون أن غالبية البربر في طليطلة كانت من البرانس[8]، كما استقرت

1- الحميري، المصدر السابق، ص142.

2- يمكن العودة إلى الأدلة التي وردت حول الاستيطان البربري بهذه المنطقة كل من دراسة محمد حقي، البربر في الأندلس، ص 72/ عبد القادر بوباية، البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري، ص91/ عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي، ص265.

3- ابن غالب الأندلسي، قطعة من كتاب "فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس"، نشر لطفي عبد البديع- مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة- المجلد الأول، الجزء الثاني، ربيع الأول 1375هـ- نوفمبر 1955م. ص279.

4- عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص269./ عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص92./ عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92- 897هـ(711-1492م)،دار القلم، دمشق،ط5، 1997،ص38.

5- ابن عذاري، المصدر السابق ، ج2، ص13.

6- اليعقوبي أحمد، كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م ص110.

7-المقري التلمساني أحمد، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، ج3، ص329.

8- عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار، ص269./ عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص92.

جماعات نفزية من بني راشد على وادي أنة"[1]، واستقر أيضا قوم من أزداجة في حصن مسطاسة، في الإقليم الذي يسمى باسمهم إقليم مسطاسة[2]، الواقع بالقرب من أوريط في منطقة قلعة رباح الواقعة بين قرطبة وطليطلة[3].

وتشير المصادر إلى قاطنة بربرية والمتمثلة في بربر طلبيرة[4] ، كما استقر البربر بكثرة في منطقة قورية القريبة من ماردة[5]، وينتمون في أغلبيتهم إلى قبائل مختلفة من "البرابر، من أوربة وصنهاجة ومصمودة وغيرهم[6].

ج- مواطن استقرار البربر في غرب الأندلس:

تواجد العديد من البربر في المنطقة الغربية التي كانت تشمل غرب الأندلس على المناطق الواقعة بين نهر الدويرو شمالا، عند التقائه بنهر تاجة ووادي آنة عند مدينتي ماردة وبطليوس في الجنوب الشرقي، يمتد إلى سواحل البحر المحيط ليضم العديد من المدن الأندلسية[7]، إذ استقر الكثير من البربر في المناطق الغربية، حيث كانت تسمى بأرض الجوف، وللدلالة على أهمية الاستيطان البربري بهذه المنطقة نجد أن ابن حيان يطلق عليها اسم بلاد البربر بقوله: " أرض الجوف بلاد البربر"[8]،

ويزودنا ابن حزم ببعض العناصر البربرية التي أقامت في حصن أم جعفر من بلد الجوف المتمثلة في مديونة ونفزة[9]، وكانت كل من ماردة ومدلين الواقعتين على ضفاف نهر وادي أنة من أكثر المناطق استقطابا للسكان ذوي الأصول البربرية، ففي عهد والي الأندلس ثعلبة بن سلامة العاملي، ثار البربر في أيامه بماردة سنة 124هـ، "فقتل منهم خلقا كثيرا وأسر منهم نحو الألف"[10].

1- ابن حيان القرطبي، المقتبس في تأريخ رجال الأندلس، نشر وتحقيق ملشورم أنطونية، يولس كتنر الكتبي، باريس، 1937م، ص137.
2- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص498.
3- الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص33، 163.
4- ابن عذاري، المصدر السابق،ج2، ص69
5- الحميري، المصدر السابق، ص164.
6- ابن حيان، المقتبس، السفر2، ص445.
7- عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص38.
8- ابن حيان، المقتبس، نشرة ملشورم، ص139.
9- ابن حزم، المصدر السابق، 500/ ابن حيان ، نفسه، ص22.
10- ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص23.

وفي عهد الحكم الأول (180–206هـ) ثار بماردة أصبغ بن عبد ا بن وانسوس على السلطة القائمة، وقد أيده في هذا التمرد بربر منطقة ماردة، إذ استطاع أن يسيطر على المنطقة لما يقرب من سبع سنوات[1] مما يدل على السيطرة الكاملة للبربر على هذه المنطقة. ومن القبائل البربرية التي استقرت بغرب الأندلس نجد هوارة من خلال بني فرفرين الذين أقاموا في كل من ماردة ومدلين، إلا أنهم كانوا أكثر ثروة ونفوذا في المدينة الثانية، حيث يشير ابن حزم قوله: بنو فرفرين، ولاة مدّلين، وكان لهم ثروة وعدد، منهم خطار بن سعيد بن فرفرين، وأبو عمرو بن هاشم بن فرفرين وعمهما خير بن فرفرين، كلهم ولى مدّلين"[2].

كما استقر من مصمودة مسعود بن تاجيت بن محمد بن تاجيت بن مناع ابن مسعود بن الفرج بن الراشد، كانوا أصحاب قورية ولجدانية القريبتان من ماردة[3]. ومن مصمودة أيضا استقر بنو أدانس بن عوسجة في منطقة قلنبيرة التي تقع في الأقسام الجنوبية من البرتغال، وكان لهم في هذه المنطقة مكان يدعى قصر أبي دانس، حيث ورد عند ابن حزم قوله" بني دانس بن عوسجة كانوا أصحاب قلنبيرة من بلاد برتقال، بينها وبين شنترين ثلاث مراحل وإلى جدهم ينسب قصر أبي دانس في الجوف ويسمى حاليا قصر الملح[4]، ويفسر ذنون طه أن هذا الموقع هو عبارة عن مدينة صغيرة لأن قصر في المفهوم الجغرافي تعني عادة مدينة[5].

ويشير ابن خلدون إلى أنه ثمة حصونا للبرابرة كانت موجودة ببطليوس[6]، ويحتفظ لنا الإدريسي بتسمية أحد الحصون البربرية المسمى بحصن زواغة[7]، ويبدو

ويبدو

1- ابن عذاري، نفس المصدر، ص 72.
2- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص500.
3- نفسه، ص501/ الحميري، المصدر السابق، ص164.
4- ابن حزم، نفس المصدر، ص500/ ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985 ج2، ص272/ الحميري، الروض المعطار، ص164.
5- ذنون طه، المرجع السابق، ص274.
6- تاريخ ابن خلدون، المصدر السابق، ص985.
7- أبو عبد ا الشريف الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص307.

أنه أطلق على العشيرة التي احتضنت هذا الحصن الذي كان بالقرب من بطليوس[1].

ويشير الدارسون أنه تواجدت جماعات بربرية من قبيلتي مغيلة وزناتة في منطقة بطليوس، ويدل على ذلك أماكن مازالت تحمل نفس الإسم مثل Ginita) والتي تعني زناتة، و(Maguilla) التي تعني مغيلة[2]. هذه هي أهم مواطن الاستقرار بالمنطقة الغربية التي يبدو أنها استقطبت ساكنة بربرية مهمة كان لها دور كبير في تاريخ المنطقة.

د- مواطن استقرار البربر بشرق الأندلس:

قليلة هي الإشارات التي وردت عن استيطان البربر للمنطقة الشرقية من بلاد الأندلس، حتى عد أحد الدارسين أن "الجنس البربري كان قليلاً جدا في شرق الأندلس وأكثرهم كانوا في الجبال فكانت العروبة التامة غالبة على الشرق"[3]. إلا أن البعض من الباحثين يقرون بوجود ساكنة بربرية في شرق الأندلس ولكنها ليست بالمهيمنة[4].

ويبدو أن عدم ذكر المصادر لمواطن الاستيطان في هذه المنطقة ناتج عن سياسة الإقصاء والتغييب ولاسيما أن المنطقة عرفت تمردا دائما على السلطة القائمة ويؤكد ذلك اليعقوبي عندما يتكلم عن بلنسية الواقعة في شرق الأندلس[5]، بقوله "وهو بلد واسع جليل نزله قبائل البربر، ولم يعطوا بني أمية الطاعة"[6]، ولعل من أهم الإشارات التي تدل على مواطن الاستقرار البربري في منطقة الشرق، ما مورد عند ما ورد على لسان ابن الأبار في ترجمة الحاجب المصحفي في فترة الحكم المستنصر (350- 366هـ) فيقوله "جعفر بن عثمان بن نصر بن قوى بن عبد ا

1- ذنون طه، المرجع السابق، ص274./ عبد القادر بوباية، ص97.
2- عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص275.
3- الأمير شكيب أرسلان، الحلل السندسية في أخبار والأثار الأندلسية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، ص402.
4- ذنون طه، المرجع السابق، ص275/ بوباية عبد القادر، المرجع السابق، ص75/ محمد حقي، المرجع السابق، ص75.
5- الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص47.
6- اليعقوبي، المصدر السابق، ص111.

بن كسيلة من برابر بلنسية"[1]، كما أنه وجد في المنطقة موضعًا يعرف بمغراوة نسبة إلى قبيلة زناتة، الواقع في منطقة طرطوشة القريبة من مدينة بلنسية مشتركة على نهر ابره[2]، ومن أقاليم بلنسية التي ذكرها العذري لدينا إقليم زناتة وجزء مصمودة[3]،كما استقر فرع من كتامة من خلال بني قاسم الذين كانوا أصحاب البونت[4] وهي ناحية من أعمال بلنسية التي تبعد عنها بمائة كيلومتر[5].

كما استقر البربر الزناتيون من بني الخروبي مدينة لقنت[6]، وآل صبرون بن شبيب المنتسبين إلى قبيلة أوربة مدينة إلش الواقعتين في إقليم بلنسية[7].

وما يمكن أن نستخلصه عن المنطقة الشرقية أنها تميزت بقلة العنصر البربري في هذه المنطقة، إلا أن الإشارات التاريخية رغم قلتها إلا أنها تثبت أن البربر تواجدوا بأعداد هامة، وكان استقرارهم منذ بداية الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس.

هـ- مواطن استقرار البربر في الشمال الشرقي والغربي:

تعرف هذه المنطقة بالثغر الأعلى، تمتد من جبال البرت أو البرتات إلى وادي نهر دويرو، ومن أهم مدنه لاردة، ووشقة وقلعة رباح وقلعة أيوب ومدينة سالم وتطيلة وسرقسطة التي تعد من أهم أعمال هذا الثغر[8]، التي تتميز بكثافة التواجد العربي بها، إذ سُكنت في الغالب من طرف عشائر عربية ويؤكد صاحب أخبار مجموعة عندما تكلم عن ثورة البربر سنة 123هـ/740م بقوله: " إلا ما كان من عرب سرقسطة وثغرهم فإنهم كانوا أكثر من البربر فلم يهج عليه البربر"[9]، مما

1- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص257.
2- زكريا بن محمد بن محمود القزويني، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1979، ص544.
3- العذري، المصدر السابق، ص20.
4- ابن حزم، المصدر السابق، ص501.
5- شكيب أرسلان، المرجع السابق، ج3، ص179.
6- ابن حزم، المصدر السابق، ص499.
7- نفسه، ص499
8- الحجي، التاريخ الأندلسي، ص38./ عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص277.
9- مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم ا والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، بيروت، القاهرة، ط2، 1989،ص 42.

يدل على ضعف الاستيطان البربري بهذه المنطقة، كما أنها إشارة تدل على تغلب البربر في المناطق الأخرى من الثغر الأعلى.

وقد شهدت منطقة سرقسطة تعميرا مهما من طرف البربر في فترات لاحقة بفعل الأحداث التي مرت بها الأندلس، حيث شكلوا عبئا كبيرا على الحكم الأموي، وسندا مهما للثائرين ضد سلطة هؤلاء، ويؤكد ذلك ابن حيان لما أخرج الناصر لدين ا (300- 350هـ) القائد ممد بن سعيد بن المنذر القرشي إلى حصن ورشة سنة 323هـ /934م التابع لمحمد بن هاشم التجيبي المنتزي بسرقسطة وكان فيه أخوه إبراهيم بن هشام "فنازله وضيقه عليه، ولاذ من كان حوله من البربر بالطاعة وأفْردوه، فافْتَتَحُه محمد بن سعيد قسرًا"[1]، فالقائد الأموي لم يكن ليتمكن من افتتاح هذا الحصن لولا الانسحاب الذي قام به البربر، مما يدل على كثرة البربر المساندين لهذا الثائر، وبالتالي إلى وجود قاطنة بربرية مهمة بالمنطقة. كما تواجدت عناصربربرية أخرى في كل من مدن وادي الحجارة ومدينة سالم وقلعة أيوب، إذ يشير اليعقوبي عن وادي الحجارة قوله "كان عليها رجل من البربر يقال له منتيل بن فرج الصنهاجي وأهلها يخالفون على بني أمية ثم صار ولده وذريته بعده إلى هذه الغاية في البلد"[2]، وتعد مغيلة من أوائل القبائل البربرية التي سكنت هذه المنطقة، وقد وقد أصبح محمد بن إلياس المغيلي أحد زعمائها والذي دخل الأندلس بمعية طارق بن زياد وأصبح قائدا للحامية الإسلامية التي أقيمت في هذه المدينة[3]، كما استقرت جماعات بربرية من مغيلة أيضا في المنتانية وشنتبرية الواقعتين في الجنوب الشرقي من وادي الحجارة، ومنهم بنو إلياس الذين جاءوا من شذونة إلى شنتبرية[4]، ومن زناتة بنو زروال الذين استقروا بالمنتانية[5]. واستقر عدد من مصمودة في منطقة

1- ابن حيان، المقتبس، ج5، نشر وتحقيق: بدرو شالميتا، ف. كورينطي، م.صبح، المعهد الإسباني العربي للثقافة كلية الآداب بالرباط، مدريد، 1979، ص361.

2- بوبابة عبد القادر، نفس المرجع ص94.

3- مفاخر البربر، ص153./ ذنون طه، المرجع السابق، ص278/ بوبابة عبد القادر، المرجع السابق، ص100.

4- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص499.

5- نفسه، ص499.

وادي الحجارة أيضا التي أصبحت تحمل اسم مدينة الفرج في منطقة وادي الحجارة التي أصبحت تحمل اسم مدينة الفرج نسبة إلى جد بني سالم*، ويدعى الفرج بن مسرة بن سالم الذي تنسب إليه مدينة سالم الواقعة في شمال وادي الحجارة[1]، كما تواجد بنو الفرج أيضا في الشمال من هذه المنطقة في طرسونة[2] الواقعة بالقرب من تطيلة[3].

ويعد فرع هوارة من جملة المستقرين الأوائل في الشمال الشرقي، حيث تشير المصادر التاريخية إلى مجموعتين من هؤلاء سكنت في هذه المنطقة، تتمثل المجموعة الأولى في بني ذي نون* بقيادة السمح بن ورد بن حيقن الهواري الحميري الداخل إلى الأندلس في زمن الفتح وقد استقر هو وأتباعه في منطقة شنتبرية بقرية أقاقلة[4]، فكان هذا القائد الجد الأعلى لبني ذي النون الذين كان لهم دورًا هاما في تاريخ هذه المنطقة، حيث شيدوا حصونا قوية مثل وبذة وأقليش، وكانوا الأمراء بها[5]. أما المجموعة الثانية فتتمثل في أسرة بني رزين التي سكنت قرطبة حيث سكن جدهم الأعلى رزين[6]، ثم انتقلوا فيما بعد إلى الشمال الشرقي عقب عقب الثورة التي قاموا بها سنة 123هـ/740م، وأقاموا في مكان يدعى السهلة ينسب إليه فيقال سهلة بني رزين وأصبحوا أمراء هذه المنطقة[7]. كما استقطنت عناصر بربرية من نفزة أيضا في الشمال الشرقي، ومنهم بنو عميرة وبنو غزلون وبنو نعمان وبنو بلال، إذ كانوا مقيمون في كل من شنتبرية ووادي الحجارة

---

*- هو سالم ابن ورعمال بن وكذات بن أكلله بن مقر بن أكلله بن مسالة بن ناكور بن يوطافان بن مسقاط بن مضاد بن مصمود/ ابن حزم، نفس المصدر، ص501.

1- إبن حزم، نفسه، ص501./ ابن حيان القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973، ص91.

2- ابن حزم، المصدر السابق، ص501.

3- نفسه، ص501.

*- هو ذو النون بن سليمن بن طوريل بن الهيثم بن إسماعيل بن السمح بن ورد حيقن الهواري / ابن حيان، نشر: ملشور، ص18.

4- المصدر نفسه، ص18.

5- ابن حزم، المصدر السابق، ص500.

6- ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص234.

7- ابن حزم، المصدر السابق، ص499-500./ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص286.

وتيروال[1]، ومن مديونة استقر بنو هذيل وكانوا أمراء في الثغور في منطقة شنتبرية ووادي الحجارة ومنهم ثابت بن عامر المديوني[2]، ومن الأمراء الثغريين أيضا لينا بنو أران وبني مضى من مصمودة[3].

ومن القرائن التاريخية التي تدل أيضا على تواجد البربر بكثافة في أحواز شنتبرية ما ورد عند صاحب فتح الأندلس حول العصيان والتمرد الذي عرفته هذه المنطقة بقيادة أحد الثائرين من البربر سنة 151هـ/768م في قوله "ثار على عبد الرحمن بن معاوية رجل من البربر يسمى شقنا بن عبد الواحد الفاطمي، وينسب إلى أمه فاطمة، وكان مكناسيا ثار بجانب شنتبرية وبايعه كثير من البربر"[4].

يتضح لنا جليا من خلال تتبع مراكز الاستيطان البربري في المنطقة الشمالية الشرقية أنها كانت من أكثر المناطق الأندلسية التي استقر فيها البربر، ولاسيما الأسر القوية منها بني ذي النون وبني رزين وبني هذيل، ولم يكن هؤلاء ليصلوا إلى تلك المناصب لولا الدعم الرئيسي الذي قدمه لهم أبناء جنسهم.

أما عن المنطقة الشمالية الغربية فيشير الباحثون أن البربر من البرانس، يؤلفون الأغلبية فيها وقد اختار هؤلاء الاستقرار في هذه المنطقة الجبلية لأنها تناسبهم أكثر من غيرها من المواقع بسبب التشابه الكبير بينها وبين أماكن سكناهم الأصلية في شمال إفريقيا[5].

ومن خلال عرض مواطن البربر في بلاد الأندلس يتضح جليا أن هؤلاء توزعوا واستقروا في جميع جهات الأندلس، ولا تخلو منطقة من ساكنة بربرية، إلا أنها اتسمت بعدم التكافؤ فقد شهدت مناطق كثافات سكانية عالية على حساب مناطق أخرى.

1- ابن حزم، نفسه، ص499-500/ مفاخر البربر، ص188.
2- ابن حزم، نفسه، ص499-500/ مفاخر البربر، ص188
3- نفسه،ص499.
4- مجهول، فتح الأندلس، المصدر السابق، ص102.
5- عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص284/ عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص76-78-105.

الفصل الأول:

قراءة في البنية الاجتماعية للبربر في بلاد الأندلس من الفتح إلى دخول المرابطين

1- صورة البربر في الكتابات التاريخية
2- تقييم ونقد دعاة الاندماج
أ- مرحلة الفتح
ب- مرحلة الحكم الأموي
ج- مرحلة حكم ملوك الطوائف

1- صورة البربر في المصادر التاريخية:

إن المادة المقدمة إلينا عن صورة البربر في المصادر الوسيطية المكتوبة بصورة عامة سواء كانوا في الأندلس أم في المغرب، لا تخلو من دلالات التحقير والإذلال، وكأن الشغل الشاغل للمؤرخين آنذاك هو السعي والمبالغة في الحط من مكانتهم الاجتماعية والدينية والمغالاة في تجريدهم من كل الفضائل الإنسانية مما حدا بالقول لأحد المؤرخين في بني جنسه:" إنّه لما كانت البربر عند كثير من جهلة الناس أخس الأمم وأجهلها، وأعراها من الفضائل، وأبعدها عن المكارم، رأيت أن أذكر ملوكهم في الإسلام ورؤسائهم وثوارهم وأنسابهم، وبعض أعلامهم وتواريخ أزمانهم"[1].

فإذا تتبعنا صورة البربر من المنظور الديني، نجد أن المصادر الوسيطية حددت واقعا دينيا يمتاز بالاستهتار والانغماس في المعاصي والمباينة عن القيم الدينية الإسلامية ومن الروايات التي قيلت في ذم البربر منها ما ورد عن المالكي قولـه: "يروى عن شيخ من أهل الإسكندرية أن سليمان بن داود صلّى ا عليهما أرسل بربريا مع شيطان في حاجة، فرجع الشيطان يتعوذ با عز وجل من البربري[2].

كما اتهم البربر بالتقصير في القيام بواجباتهم الدينية لكون أن طباعهم مائلة وزائغة عن الحق حيث ورد عند ياقوت الحموي بقوله:" والبربر أجفى خلق ا وأكثرهم طيشا وأسرعهم إلى الفتنة وأطوعهم لداعية الضلالة وأصغاهم لنمق الجهالة،.. صارت طباعهم إلى الباطل مائلة وغرائزهم ضد الحق جائلة، فكم من ادعى فيهم النبوة فقبلوا وكم زاعم فيهم أنه المهدي الموعود به فأجابوا داعيه

1- مجهول، مفاخر البربر، ص 91.
2- المالكي أبو عبد ا بن محمد (ت 453هـ/1061م) ،كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم و نساكهم من سير أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير البكوش ومراجعة: المطوي محمد العروسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت1983، ج2، ص354.

ولمذهبه انتحلوا[1]. وفي ذات السياق اتهم البربر بشدة التهور والطيش والفساد " فإنهم قوموا إذا غضبوا قتلوا أو جرحوا"، بل إن "قتل الإنسان عندهم كذبح العصفور... وكـم قتيل عندهم على كلمة، فإنهم بالقتل يفخرون"[2]، فهم في نظرهم إلا نكد و شؤم "وهوان الدماء عليهم"[3] ،من الغريب حقا أن تثبط روحهم القتالية بهذه الفظاعة والوصف الشنيع بهذه الكيفية.

ويعد ابن حزم القرطبي من أكثر المؤرخين الأندلسيين المتحاملين على البربر وأشدهم وطأة و نقمة في ذمهم لدرجة أنه يتهمهم بالكفر بقوله:" كفار البربر كانوا أشر كفار، فإنهم أشر كفار، فإنهم ليسوا أهل كتاب، ولا ارتباط لهم بشرع، كذلك مسلموهم، شرار المسلمين وأكثرهم غائلة"[4]، فابن الحزم في هذا القول كأنما خرج عن ثوابت الكتابة التاريخية الموضوعية، و لاسيما أنه ينتمي إلى جيل عايش أحداثا جساما حمل فيها مسؤولية الخراب والدمار بكامله للبربر[5]، وهو ما ولد مشاعر الحقد والضغينة في الضمير الأندلسي إزاء العنصر البربري.

وكثيرا ما نجد الكتابات التاريخية التي ظهرت في القرن الخامس الهجري وما بعدها تَشي بعمق دلالات التنافر والتباعد بين الأندلسيين والبربر في التاريخ الأندلسي حتى أضحت من الأمور العادية فاصطلح عليها بـ "النفرة الطبيعية بين الأندلسيين والمغاربة"[6].

1- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 369.
2- القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي(ت 821هـ/ 1413م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تقديم: فوزي محمد أمين، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب الخدوية، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، 2005، ج5، ص 178.
3- عبد الواحد محي الدين بن علي المراكشي(ت 647هـ/1250م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العلمي، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط7، 1978، ص145.
4- مجهول، فتح الأندلس، المصدر السابق، ص 55.
5-يعد ابن حيان في طليعة المؤرخين للقرن الخامس في تحميل مسؤلية الفتنة و تبعياتها كاملة لعنصر البربر فكثيرا ما تردد على لسانه "الفتنة البربرية الشنعاء المدلهمة، المفرقة للجماعة، الهادمة للمملكة المؤثلة، المغربة الشأو على جميع ما مضى من الفتن الإسلامية"/ أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني(ت 542هـ)، الذخيرة في محاسن الجزيرة، تحقيق: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ق1، مج1، ص 358.
6- ابن الخطيب لسان الدين، أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام أو تاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، 1956 ، ص 227.

ولعلّ مقياس المفاضلة والضغينة بين الأجناس في العصور الوسطى بلغ أشده بين هذين الجنسين، وقد فسر ابن رشد هذه الظاهرة بعبارة بليغة الأثر لما قال:" وأما البغضة والعداوة، فإنها تكون للجنس،فإنّا نبغض البربر و يبغضوننا"[1]، ولا يختلف الحجاري لما قال: "وأهل العدوة بالطبع يكرهون أهل الأندلس"[2]، فنكبة ابن رشد كانت بسبب قوله في بعض مصنفاته " وقد رأيتها عند ملك البربر[3]".

ولم تقتصر حملة التهكم المرير بالبربر على المؤرخين فقط وإنما طالت أيضا أفواه الشعراء و يعد خلف بن فرج السميسر الإلبيري[4] من ألذع الشعراء في مهاجمة مهاجمة البربر، ومما قاله:

رأَيتُ آدم في نَومي فقلتُ لـه   أَبا البرية إن النّاس قَد حكَموا
أن البرابر نَسلٌ منْك قالَ إذًا   حواء طالقة إن كاّن ما زعموا[5]

كما يورد لنا المقري أبياتا للمستعين حليف البربر يهجو فيها البربر بقوله:

فَوا عجبا من عبشمي مهلك   يزعم العوالِي و المعاٰلِي تَبربرا
فَلو أَن أَمرِي بالخيارِ نَبذتُهم   وحاكمتُهم للسيف حكْما محررا
فإما حيـاةٌ تُستلذُ بِفقدهـم   وإما حمام لا نَرى فيه ماٌ وراٌ

ويحتفظ لنا المقري أيضا بأبيات لشاعر آخر يهجو المستعين لأنه حالف البربر:

لاَ رحـم ا سلَيـمـانَكُـم   فإنهِ ضـد سلَيمـاٰن
ذَاك بِـه غلَـتْ شَيـاطنُهـْا   وحل هذَا كل شَيطَان
فَبِاسمه سـاحتْ علَى أَرضنَاْ   لَهاَك سكان وأوطَان[6]

أما ابن عمار الذي يقول مهنئا المعتضد ابن عباد بانتصاره على البربر:

1- ابن رشد، تلخيص الخطابة، تحقيق: محمد سليم سالم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1967، ص 211- 212.
2- المقري، نفح الطيب، ج6، ص 12.
3- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص384/ابن سعيد المغربي(ت 685هـ/ 1286م)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1417هـ/1997م، ج1، ص62.
4- هو أبو القاسم خلف بن فرج الإلبيري المعروف بالسميسر، شاعر هجاء، أدرك الدولة العامرية وانقراضها، توفي سنة 480هـ/ 1087م./ خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط8، 1989، ج2، ص 311.
5- المقري، المصدر السابق، ج1، ص 405.
6- نفسه، ج2، ص 126.

شقيت بسيفك أمـة لـ ـم تعتقـد إلا اليهود و إن تسمت بربرا
أَثْمرتَ رمحكَ ِمن رؤوس كُماتهم لما رأيتُ الغُصن يشقُ مثْمرا
وخضبت سيفك من دماء نُحورهم لما عهدت الحسن يلبس أحمرا[1]

فما هو واضح من الأبيات الشعرية الأنفة الذكر أنها تنوعت وتفننت في السخرية والتهكم على البربر، فجردتهم من إنسانيتهم ومثلت بهم على أنهم من غير جنس البشر، وأنهم شياطين وبل ويهودا..إلى غير ذلك من المعاني الوضيعة.

ولم يسلم البربر أيضا من ألسنة كبار الأندلسيين من وجهاء وأمراء، ومن أمثلة ذلك أن عبد الرحمن الداخل أراد أن يمازح المرأة البربرية التي خبأته تحت ثيابها أيام شدته فأشار إلى ما يعرف عن الزنوج من نتن الأباط وكيف أنه تأذى من تلك الرائحة، فقال لها: "لقد عذبتني بريح إبطيك يا تكفات، على ما كان بي من الخوف وسعطتني بأتن من ريح الجيف، فكان جوابها له مسرعة: بل ذلك كان وا يا سيدي منك خرج ولم تشعر به فرط فزعك"[2]، فما يلاحظ من هذا النص أن المرأة كانت ذكية و انتقمت لنفسها و لجأت إلى الرد بالمثل وأكدت للأمير أن الرائحة النتنة التي ملأت أنفه قد خرجت منه نتيجة فزعه ورعبه. فجوابها كان أمضى سلاح مما " أغضى الأمير عن مواجهتها وهذا من آفات المزاح"[3]. فهو كما يقال الثأر السلمي العادل لجماعة الضعفاء[4].

وبما أن الأمثال الشعبية كانت مرآة عاكسة لأحوال المجتمع، والبربر جزء من هذا المجتمع المتباين في تركيبته الإثنية، فإن الأندلسيين لم يفوتوا على أنفسهم فرصة التنكيت والتندر على كل ما هو بربري، ولاسيما أن تلك الأمثال بمثابة الذات الجماعية الرافضة لعنصر البربر نتيجة العداء والكراهية المستحكمة بين الطرفين فجاء على لسانها:

1- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 173
2- المقري، نفح الطيب، ج1، ص 333.
3- نفسه، ص 344.
4- رياض قزيحة، الفكاهة في الأدب الأندلسي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1418هـ-1998م، ص 276.

" البربري والفار لا تعلم باب الدار"[1] و روي في مصدر آخر " الغازي و الفار لا تعلمهم باب الدار"[2] والمعنى واحد لأن الغازي في اصطلاح أهل غرناطة هو الجندي البربري على حسب قول الباحث بنشريفة[3].

وقد عبرت العامة في ذات السياق أيضا عن تضايقها من العنصر البربري لجشعه وكثرة طلباته بقولها: "عطي للبربري شبر، طاب مرى فاش يتمتاع"[4]، وورد في ذات السياق أيضا بقولها: " كل ما يجي من الغرب مليح إلا ابن آدم والريح"[5] وأغلب الظن أنها قيلت في أولئك الذين كانوا يفدون عليهم برسم الجهاد. ومما تردد على لسان العامة قي حق البربر بسبب تهاونهم في الحراسة والدفاع " بيدم اتمق حسى الرامي ُأخذ الحصن"[6]، والمقصود، أن معنى كلمة حسى صيغة بربرية في حسين، وما تزال شائعة في المغرب، والمعنى أنه لم يكد حسين الرامي يلبس اتماقه (أخفافه) و يأخذ عدته حتى كان حصن قد أخذه العدو[7].و جاء على لسانها أيضا: " عَمزتْ البربر في سوق الغزل"[8]. ما يلاحظ في هذه الأمثال وغيرها نقدمها في أوانها أن صورة البربر في الأندلس ظهرت بكثير من الاحتقار إذا ما قورنت بالعناصر الأخرى.رغم هذه الصورة السلبية إلا أننا لم نجد موقفا أو رد فعل واضحا من طرف البربر أو من مؤرخين من أصول بربرية تغير هذه الصورة القاتمة باستثناء صاحب مفاخر البربر الذي فيما يبدو لم يقدم مادة كافية و جديدة تترجم على الأقل عنوان الكتاب الذي وضعه لمؤلفه، باستثناء عبارة جوفاء وردت على هامش

1- أبو يحي عبد ا الزجالي (694هـ/1294م)، رى الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص و العوام، المنشوربـ" تاريخ الامثال والأزجال في الاندلس والمغرب،تحقيق: محمد بنشريفة، منشورات وزارة الثقافة، دار المناهل، الرباط، 2006، ج2، رقم: 175، ص 248.

2- القاضي ابن بكر بن محمد ابن عاصم الغرناطي، حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات و النوادر، تحقيق همام عبد اللاطيف عبد الحليم، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت، 1992م، ص343.

3- محمد بنشريفة، تاريخ الأمثال والأزجال، منشورات وزارة الثقافة، دار المناهل، الرباط، 2006 ،ج1، ص 248-249.

4- ابن عاصم، حدائق الازاهر، المصدر السابق، ص 554.

5- الزجالي، المصدر السابق ، ص 249/ ابن عاصم، ص 314.

6- بنشريفة، المرجع السابق، ج1، ص 248. ؟

7- نفسه، ص 248.

8- مجموع أبي مدين الفاسي،(القرن الثاني عشر) ، تاريخ الأمثال و الأزجال، تحقيق: محمد بنشريفة، منشورات وزارة الثقافة دار المناهل، الرباط،2006، ج3، رقم: 303، ص 202.

مقدمة المخطوط لم تُدرج في المتن لما قال: إني أرى أن جميع ما يوجد من ذم البربر أو جل ما يوجد هو من وضع شياطين الأندلس"[1] أو بعض الأحاديث النبوية الموضوعة التي حاول أن يضفي عليها دلالة وأحقية مشروعة[2].

في حين يورد ابن خلدون حديثا يبدد تلك الصورة القاتمة للبربر بقوله: "وأما تخلقهم بالفضائل الإنسانية وتنافسهم في الخلال الحميدة، وما جبلوا عليه من الخلق الكريم مرقاة الشرف والرفعة بين الأمم ومدعاة المدح والثناء من الخلق من عز الجوار وحماية النزيل، ورعي الأذمة والوسائل والوفاء بالقول والعهد والصبر على المكاره والثبات في الشدائد وحسن الملكة والإغضاء عن العيوب والتجافي عن الإنتقام ورحمة المكسين بر الكبير والإعانة على النوائب وحمل الكل وكسب المعدوم...إلخ[3].

إن الانطباع الذي نستخلصه من هذا الجزء من الدراسة، هو أن المصادر التاريخية الوسيطية والأندلسية بالأخص رسمت صورة جد سلبية عن الإنسان البربري حيث انتقدته وهاجمته في مختلف مجالات حياته الدينية والثقافية والاجتماعية والأخلاقية، مما سيكون له أثر كبير في تحديد وضعيته في بلاد الأندلس، كما أن هذه الصورة ستشكل منعطفا حاسما في عقلية ومزاج الأطراف المكونة للمجتمع الأندلسي تجاه عنصر البربر. وعليه فإن الإثبات الواضح للمصادر التاريخية والأدبية، لوجود البربر بالأندلس ضمن إطار خاص مهما كان هذا الإطار، فهو تعبير عن موقف صار ملازما لصورة نمطية عن البربري، الذي كان يتقاسم مع مختلف الأعراق كل شروط الحياة، إلاّ أنه بقي متميزا وموضوعا ضمن إطار خاص.

1- مجهول، مفاخر البربر، مخطوط رقم ك1275، الخزانة العامة، الرباط، ورقة 58.
2- مجهول، مفاخر البربر، المصدر السابق، ص 201-202-203
3- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 1532.

2– تقييم ونقد دعاة الاندماج:

والظاهر أن البربر رغم تحملهم أعباء الفتح وتوطيد عزة الإسلام في بلاد الأندلس إلا أن هذا العمل لم يشفع لهم أمام النظرة الدونية التي يراها العرب لهم وما هي في الحقيقة إلاّ لتكريس التمايز العرقي بين الأجناس المكونة للمجتمع الأندلسي ولاسيما بين الطائفتين التقليديتين عرب وبربر الأندلس. وهو الإشكال الذي تحاول الدراسة تتبع جوانبه والإلمام بتفاصيله تدريجيا وفق منهج علمي أقر سلفا.

واستجابة للأمانة العلمية في البحث التـاريخي، لا يمكن أن نتجاوز أو نغفل الآراء التي تنافي الطرح الإثني، خصوصا أنها تتبنى طرحا ومنهجا تدعي أنه أثبت رجحانه على كافة العلوم الإنسانية ألا وهو المنهج الاجتماعي التاريخاني لرؤية شمولية تحيط بكافة الظواهر، ألا وهي الرؤية المادية[1].

وهو المنهج نفسه الذي اشتغل به الباحث القادري بوتشيش الذي يرى بدوره أن نمط الإنتاج وحيازة الأرض هما الأساس الموضوعي للتصنيف الاجتماعي[2]؛ رغم أن الباحث يخطئ التصنيف الاجتماعي على أساس عنصري إلاّ أنه في الوقت نفسه يقر إن النعرات العصبية التي ظهرت بشكل بارز كانت سببا ومعوقا في استقصاء البناء الطبقي[3]. ولم يختلف عنه زميله أحمد طاهري عندما توصل لنفس النتيجة حين أشار أن التخلي عن نظام الخلافة كان إيذانا ببداية عصر الطوائف فعادت النعرات الطائفية والعنصرية لِتكرس من جديد التمزق السياسي وتُغْرِق البلاد في سلسلة لا مخرج لها من الصراعات والحروب[4].

في حين نجد أن هناك من الدارسين المحدثين والمتمثل في امحمد بن عبود من ينفي هاته النتيجة بتاتا وينفي تأثر كل من العلاقات الاجتماعية لدى العامة مع

1- أحمد الطاهري، عامة قرطبة في عصر الخلافة، منشورات عكاظ ، الرباط، 1989،ص3.

2- أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي من منتصف القرن الثالث الهجري حتى ظهور الخلافة (250هـ-316هـ)، منشورات عكاظ 1992، ص 135-136.

3- نفسه، ص 136.

4- أحمد، الطاهري، عامة قرطبة، ص 249.

باقي المجتمع بالعصبية خلال عصر الطوائف بالدرجة الأولى[1]، بل يؤكد أن المجتمع رغم فوارقه الطبقية والاجتماعية يشكل مجتمعا يتركب من عناصر عرقية تتصف بالتحام اجتماعي[2].

وما انتقاء الدراسة لهذه النماذج إلا لكونها تمتاز بالجدية العلمية في الطرح، إلا أن هؤلاء تناولوا معالجة مواضيعهم في حماسة زائدة تم فيها تغليب المنهج على المضمون التاريخي وهذا جراء الانسياق وراء المادية التاريخية[3]، حتى حدا بالقول من طرف أحد الباحثات بقولها "من الصعوبة بمكان انجاز دراسات حول التاريخ الإسلامي الوسيط بالاقتصار على مفاهيم المادية التاريخية"[4]

أما دراسة الباحث امحمد بن عبود التي تعد أنموذجا نقديا على مستوى الكتابة التاريخية إذ قدم الباحث من خلالها تصورا مرهونا بالواقع الاجتماعي يهدف من خلاله حصر مناقشة غياب العصبية في المجتمع الطائفي[5].

إن هذه المسألة أثارت جدلا تاريخيا بينه وبين بيار قيشار الذي أعطى تصورا قبليا لعصر الطوائف أدى في آخر المطاف إلى تعديل فكرة الباحث قيشار عندما قال: "بأن العصبية اندثرت على المستوى السياسي رغم احتفاظ المجتمع الطائفي ببعض ملامح المجتمع القبلي"[6]. مع العلم أن الباحث ابن عبود لم يتطرق إلى طبيعة المجتمع البنيوية والاقتصادية المحركة له ليترك المسألة مفتوحة وقابلة للنقاش، ومن هنا تأتي أهمية هذا العنصر في معالجة مسألة بربر الأندلس على المستوى الاجتماعي.

1- أمحمد بن عبود، جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، ط2، 1999، ص 22.

2- المرجع نفسه، ص 49.

3- حول المادية التاريخية ينظر محمود إسماعيل، سوسيولجيا الفكر الإسلامي، ج1، دار الثقافة، دار البيضاء، ط1، 1980.

[4]- دلال لواتي، عامة القيروان في العصر الأغلبي، رسالة ماجستير مرقونة في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة، 2002، ص 28,

5- التجديد المنهجي والمجتمع الطائفي، التراث المغربي والأندلسي التوثيق والقراءة، منشورات الكلية ندوات4، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، أفريل، 1991، ص348.

6-امحمد بن عبود، المرجع السابق، ص 347.

إن محاولة بعض الباحثين تفسير التاريخ الاجتماعي وفق رؤى ومناهج فكرية منتجة سلفا، والتأكيد على نفي التقسيم الإثني والتمايز العرقي للمجتمع الأندلسي، والعودة إلى مرحلة سابقة من الناحية الزمنية وتصفح مصادرها المدونة، يمكن أن يكون كفيلا بإعادة النظر في النتائج التي تم التوصل إليها.

أ- مرحلة الفتح :

إذا اتفقت أغلب المصادر التاريخية حول عدد الفاتحين من البربر الذي قدر بإجماع باثني عشر ألف جندي،[1] فإن الدارسين اختلفوا حول ما إذا كان الفاتحون قد دخلوها جماعات فردية من دون نساء، ثم اتخذوا النساء من أهل البلاد[2]، أم دخلوها جماعات أسرية بصحبة ذراريهم ونسائهم[3]، ويعد الطرح الثاني أكثر فعالية، ولاسيما أن الباحث قيشار أعطى عناية خاص للموضوع ومن أهم النتائج التي توصل إليها هذا الأخير: تفنيد الطرح الشائع على أن المحاربين المسلمين إنما دخلوا الأندلس أفرادا دون أسرهم لأن ذلك لا يتفق مع العادات وذهنية العصر آنذاك، كما أن العرب والبربر الذين استقروا في اسبانيا لمدة طويلة قد تصل إلى قرنين من الزمن، كانوا يحتفظون بتنظيماتهم القبلية بدليل أنّ أفراد كل قبيلة كانوا يتضامنون فيما بينهم لمواجهة القبائل الأخرى المعادية لهم[4]، ليستطرد في القول "أنه لا يمكن تفسير هذه

1- الطبري أبو جعفر، تاريخ الرسل و الملوك، تقديم و مراجعة صدق جميل العطار، دار الفكر ، بيروت، ط1، 1418-1998، ج8، ص35./ أخبار مجموعة، مصدر سابق، ص 17./ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مراجعة وتعليق نخبة من العلماء دار الكتاب العربي، بيروت، ط5، 1985، ج4،ص19/ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، في أخبار الأندلس والمغرب، ج2، ص6./ عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي، دار القلم، دمشق، ط4، 1415هـ- 1994م، ج1، ص46-47./ حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1416-1996، ج1، ص17-18./ ر ينهارت دوزي، تاريخ مسلمي اسبانيا، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1414هـ- 1994.ج1، ص156. ذنون طه، التنظيم الاجتماعي في الأندلس في عصر الولاة، ضمن كتاب دراسات أندلسية، دار المدار الإسلامي، بيروت،ص 93.

2 - PIERRE GHICHARD, « Les Arabes ont bien envahi l'Espagne », *in Annales, Économie, civilisation et Sociétés*, N° 6, Années 1979 ,pp 1486/1502, p1502

3- حسين مؤنس، فجر الأندلس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1959، ص365.

4 - PIERRE GHICHARD, *Structures sociales et orientales et occidentales dans l'Espagne Musulmane*, Mouton, Paris, 1977, p137_138.

السلوكيات إلاّ على أساس وجود روابط اجتماعية قبلية[1]، ومن الطبيعي أن هاته التنظيمات القبلية في الأندلس لم تكن لتقوم على الذكور فقط.

وقد أيدت بعض الدراسات التي اهتمت بموضوع البربر وتناولت هذه المسألة فكرة الباحث قيشار وأكدت بدورها أن البربر استطاعوا أن يحتفظوا بلغتهم وأنظمتهم الاجتماعية وتقاليدهم[2]، مدللين على ذلك بالمضي في القول أنه لا يمكن أن يحافظوا على موروثهم الاجتماعي لو تزوجوا بالنساء الإسبانيات[3]، ورغم ما لهذا القول من دلالة في الكشف عن الهوية والأنظمة القبلية الاجتماعية للبربر، وصحته على مستوى المصادر المتاحة، إذ لا يوجد من النصوص ما يفنده ، إلا أن هذا القول يستدعي شيئا من التحفظ لأنه يبقى بالشكل الذي طرح به مبتورا وعاجزا عن تقديم قناعات علمية تساير المنطق التاريخي لما يحمله من ثغرات في بعض معطياته ، إذ يصعب أن نجزم بصورة قطعية على أن البربر استطاعوا أن يحتفظوا بهويتهم وأنظمتهم وتقاليدهم الاجتماعية لكونهم لم يرتبطوا بالنساء الإسبانيات .

فما هو ثابت تاريخيا وما عززته المصادر أن العرب هم أيضا استطاعوا الاحتفاظ بتنظيماتهم القبلية العشائرية والاجتماعية لفترة طويلة من الزمن على غرار البربر[4]، بحكم أن موروثهم الاجتماعي يتميز بالأصالة والعراقة والثبات والاستقرار.

وتثبت لنا المصادر التاريخية بأدلة نصية أن العرب كانوا أكثر اختلاطًا وارتباطًا بالنساء الإسبانيات ولاسيما إبان فترة الفتح الإسلامي، فقد تزوج معظم القادة الفاتحين العرب من النساء القوطيات كزواج عبد العزيز بن موسى بن نصير من "امرأة لذريق المكناة بأم عاصم، وكانت قد صالحت على نفسها في وقت الفتح وبآت بالجزية فأقامت على دينها"[5]. كما أن زياد بن النابغة التميمي تزوج امرأة

1 - PIERRE GHICHARD, op .cit, p140.

2- محمد حقي، البربر في الأندلس، المرجع السابق،ص 35./ عبد القادر بوباية، البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن5هـ ، المرجع السابق، ص 21.

4- نفس المرجع،ص34/ نفس المرجع، ص21.

4- فما الإصلاح الذي قام به المنصور بن أبي عامر إلا لكسر شوكة هذا التنظيم / يراجع الصفحات التالية من البحث.

2- مؤلف مجهول، فتح الأندلس ، المصدر السابق، ص 42./ المقري، ج1، ص 281./

قوطية كانت "من بنات ملوكهم"[1] بخلاف البربر الذي تنعدم فيه الإشارات والقرائن في المصادر العربية التي تدل على حدوث مثل هذه الزيجات، رغم أن كلاً من العرب والبربر دخلوا الأندلس حاملين معهم الدين الإسلامي الذي يسمح دون غيره من الأديان، بتعدد الزوجات، كما أن البربر لم يدخلوا الأندلس "حتى حسن إسلامهم[2]".

يغدو الجدل عميقا بالتمعن في خلفية هذه المفارقات، فلماذا إذن لم يقترن البربر الفاتحين بالدرجة الأولى بالنساء الإسبانيات على غرار غيرهم من الفاتحين العرب، آخذين بعين الاعتبار أن هذه الزيجات تسهل مهمة المحاربين الفاتحين وهو نشر الدين الإسلامي، ومن شأنها في أن تساهم في توطين أقدامهم وبالتالي الحصول على نفوذ وثروات أكثر ولاسيما أراضي عقارية منها عن طريق زوجاتهم، ونخص بالذكر القادة منهم حيث "تنافس حيوة بن ملامس المذحجي* وعمير بن سعيد اللخمي على الزواج من سارة القوطية بعد أن توفي عنها زوجها ابن عيسى بن مزاحم[3]". و نذكر أن سارة هذه هي ابنة ألمند بن غيطشة الذي "صار له من الضياع ألف ضيعة بغربي الأندلس[4]"، تدر بالمثل أو أكثر- بحكم أنهم المغلوب عليهم- على القوطيين وذلك بالحفاظ على ممتلكاتهم، وعلى وضعيتهم الاقتصادية والاجتماعية السابقة كسعي تدمير[5] من تزويج إحدى بناته من أحد القادة الفاتحين وهو عبد الجبار الجبار بن نذير[6].

1- أخبار المجموعة، ص 28.

2- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 1613.

*- حيوة بن ملامس الحضرمي كان من أشراف إشبيلية ورؤسائها وكانت له منزلة لطيفة عند عبد الرحمن بن معاوية/ ابن الأبار أبي عبد ا محمد بن عبد ا بن أبي بكر القضاعي البلنسي ، التكملة لكتاب صلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار المعرفة، دار البيضاء، ج1، ص232./ الحميدي، المصدر السابق، رقم 391، ص195.

3- افتتاح الأندلس، المصدر السابق،ص21.

4- نفس المصدر، ص 20.

5- هو تدمير بن غندريس أحد العلوج على قاعدة تدمير، وبفضل حنكته و حيلته استطاع أن يصلح على منطقته على اتاوة يؤديها/ العذري، المصدر السابق، ص04.

6- عبد الجبار بن بن نذير يعد من النازلين في طالعة بلج في الجانب الغربي ثم انتقل إلى شرق الأندلس/ العذري، المصدر نفسه، ص 15.

فإذا سلمنا بالنقطة الأخيرة وهي أن القوطيين الغالب على أمرهم يسعون في مختاف الأحوال ضمان حياة كريمة عن طريق الحفاظ على ممتلكاتهم، والزيجات المختلطة تعد أحد السبل لتحقيق هذه الغاية، فيتوجب أن تكون عملية اقتران الإسبانيات بالبربر على حد سواء بالعرب أو أكثر بحكم أن البربر هم الفاتحون الأوائل الذين وطئت أقدامهم بلاد الأندلس، وللعامل الجغرافي، كما سبقت الإشارة له أثر بالغ في إقبال عدد كبير من البربر نحو هذه العملية في فترات الأولى من الفتح الإسلامي.

والملاحظ أن القرائن والدلائل التاريخية لا تصرح بوجود أدلة عن زيجات مختلطة حدثت على المستوى الواسع بين رجال البربر والنساء الإسبانيات. كما أنه لم نتابع المسألة فقط من زاوية التحقيق في الروايات التاريخية، وإنما حاولنا أن نضبط المسألة من خلال النتائج المترتبة عن هذه الزيجات، فمعظم الأسر المولدية التي ظهرت في هذه الفترة تعود جذورها العرقية إلى أصول عربية كأسرة بني سيد وبني حجاج وبني مسلمة وبني الجرز الذين يعودون إلى جدهم حبيب بن عمير[1]، وعمير هذا هو ابن سعيد اللخمي زوج سارة القوطية[2]، والذي أنجب كذلك أولادا من زوجات أخريات[3].

ولم ندرج هذه المعطيات إلا لنصل إلى إحداث تكامل بين فجوات النصوص الموجودة في ثنايا المصادر التاريخية التي تصل في آخر المطاف إلى نتيجة لا تقبل الجدل تتمثل في أن البربر والعرب دخلوا الأندلس بصحبة أسرهم تحت تجمعات قبلية أو عشائرية ولكن هذا العامل لم يمنع العرب في أوساطهم من تفشي زيجات مختلطة بينهم وبين النساء القوطيات الإسبانيات، رغم أن كلاً من العرب والبربر شديدو الحرص على الحفاظ على موروثهم الاجتماعي وتنظيماتهم القبلية.

ولنعاود طرح الإشكالية بشكل يستوعب جميع ظروفها التي طرحت:

1- ابن القوطية ، افتتاح الأندلس، ص21 .
2- المصدر نفسه، ص21
3- نفسه، ص21.

هل فعلاً أن البربر الفاتحون لم يرتبطوا بالنساء الإسبانيات فقط من أجل أن يحافظوا على تنظيماتهم القبلية، أم أنّه ثمة خلفية احتجبت عنّا تستدعي الكشف عنها من خلال معرفة طبيعة الروابط السائدة بين البربر والقوطيين قبل الفتح الإسلامي على مستوى السلوكيات والذهنيات حسا وممارسة، لعل وعسى أن تعطي للمـوضوع بعدا آخـر ونفسا معرفيا، وذلك باستكناه الجيوب النصية للمرحلة الخفية لهذه المسألة على قدر المظان المتاحة .

سبق وأن أشرنا في غير هذا المكان أنه كان للبربر معرفة طبوغرافية بأرض الأندلس قبل أن تطأ أرضها أقدام الفاتحين ، بحكم القرب الجغرافي للعدوتين ، كما أن القرائن والإشارات التاريخية وإن قلت إلا أنها تفصح بجلاء أنه ثمة علاقات تجارية وثيقة كانت تربط الضفتين، مما شجع أحد الدارسين بالقول أنه كان من السهل على طارق بن زياد أن ينفذَ خطة الفتح والعبور بفضل السفن التجارية التي كانت موجودة بشكل كبير في منطقة المضيق[1]. ومن الأدلة التي تثبت صحة هذا القول هو أن يليان كان يحمل البربر في مراكب التجار ولا يشعر بهم أهل الأندلس ولا يظنون إلا أنها تختلف بمثل ما كانت تختلف به من منافعهم ومعايشهم ومتاجرهم[2].

وبناء على هذه المستجدات فأنه ثمة مصالح مهمة تساعد على تطور العلاقات الاجتماعية بين الجنسين – أي البربر و القوط ـ ـ لتوفر أبرز شروطها العامل الجغرافي والعامل الاقتصادي. إلا أن العلاقة التي كانت تربط القوطيين بالبربر لا تعكس هذه العلاقة تماما، بل كثيرا ما كانت علاقتهما تتسم بالحذر والحيطة ، وهذا ما يمكن أن نستشفه من خلال النص الآتي "وكان أهم الأمور عندهم تحصينها عمن يتصل به خبرها من الأمم، فنظروا فإذا هو أنه لا يحسدهم على رغد العيش إلا أرباب الشظف والشقاء والتعب وهم يومئذ طائفتان: العرب، والبربر، فخافوهم على جزيرتهم العامرة، فعزما على أن يتخذوا لهذين الجنسين من الناس طلسما، فرصدوا

1- عبد الواحد ذنون طه ، الفتح و الاستقرار العربي في شمال إفريقيا والأندلس، المرجع السابق، ص 58.
2- أبو إسحاق بن القاسم الرقيق، تاريخ إفريقية و المغرب، تحقيق: عبد ا العلي الزيدان ، عز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990، ص42/ أخبار مجموعة، المصدر السابق، ص 15.

لذلك أرصادا، ولما كان البربر بالقرب منهم وليس بينهم سوى تعدية البحر ويرِد عليهم طبائع منحرفة الطباع خارجة عن الأوضاع إزدادوا منهم نفورا وكثر تحذرهم منه نفورا، وكثر تحذرهم من نسب أو مجاورة، حتى ثبت ذلك في طبائعهم، وصار بعضه مركبا في غرائزهم، فلما علم البربر عداوة أهل الأندلس وبغضهم لهم أبغضوهم وحسدوهم، فلم تجد أندلسيا إلا مبغضا بربريا ، و بالعكس[1]".

فرغم تحفظنا على الطابع الأسطوري لهذه الرواية، إلا أنها تحمل خلفية ومغزى اجتماعيا لا يمكن تجاهله، نفهم من خلالها تطور وتداعيات البنى الاجتماعية للبربر وعلاقته بأي طرف كان مكونا للنسيج العرقي الاجتماعي لبلاد الأندلس وتظهر ملامحه جلية من خلال الحقد والكره الذي يكنه القوطيون أو الأسبان للبربر قبل الفتح الإسلامي، رغم أنه ثمة مصالح اقتصادية وعلاقات تجارية إلا أنهم كانوا شديدي الحذر من "أي نسب أو مجاورة حتى ثبت ذلك في طبائعهم ، وصار بعضه مركبا في غرائزهم[2]"، ولكن هذا لا ينفي وجود خصوصيات مميزة لكل مرحلة في سياق تطور المجتمع الأندلسي نتج عنه روابط دموية بين الطرفين والتي يمكن وصفها بالمحدودة نظرا لقلتها واحتشامها، إذ أن المصادر التاريخية تحتفظ لنا بعينة بأسماء أشخاص المولدين تعود عروقهم الدموية إلى أصول بربرية،على الرغم مرور فترات طويلة من الفتح واستقرار البربر واختلاطهم، إلا أن الذهنية والذاكرة الجماعيتين للمجتمع الأندلسي تحتفظ لنا ببصمات تدل على الخجل والاحتقار والدونية، والتي تحاول أن تذكر بها دوما ، فرغم المكانة التي كان يتميز يها أذوفنش بن اردن في السلم الاجتماعي في بني جنسه إلا أنه كان يلقب بابن البربرية"[3] وابو إبراهيم ابن العربي الفقيه الذي سافر إلى برقة و"سأل عن نسبه بها فعرف أنه من العجم، فكتب إلى بعض إخوانه بالجزيرة كتابا : قد كنت انتسبت عندكم إلى البربر

1- المقري، نفح الطيب، ج1، ص 244.
2- نفسه، ص 244.
3- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص5

فتقصيت في بلادي عن نسبي، فإذا بي من العجم، فنحمد ا تعالى إليكم الذي لم يجعلني من البربر"[1].

وبالمثل، وردت عبارة أكثر تصريحا عن ظروف وأسباب الاغتيال الذي تعرض له يحي بن منذر التجيبي من طرف بني عمه بسبب أمه التي كانت من أصول بربرية يشير إليه إلى ذلك بصريح العبارة بقوله:"وذلك أن أمر سرقسطة وذواتها كان إلى رجل من التجيبين يقال له منذر بن يحي ...فورث ابنه يحي بن منذر وسنّه فيما ذكر تسع عشرة سنة فتسمى بالحاجب معز الدولة وكانت أمه بنت عبد الرحمن بن ذي النون أخت المأمون يحي بن ذي النون فاحتقره بنو عمه وتواطئوا على قتله"[2].

إن ظهور مثل هذه المواقف في ثنايا المصادر التاريخية دليل على أزمة الواقع الاجتماعي للبربر الذي لم تلتئم وتلتحم بنيته الاجتماعية مع العناصر الأخرى.

ب - مرحلة الحكم الأموي

في ظل شح المادة والقراءات المؤدلجة للنصوص التاريخية شجعت العديد من الدراسات على تبني فكرة الاندماج والتجانس الاجتماعي بين مختلف الأصول العرقية المكونة للمجتمع الأندلسي خصوصا إبان الخلافة الأموية(316هـ - 422هـ)[3]. إذ تميز القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي بانحلال جميع العناصر التي كان المجتمع الأندلسي بوجه عام والمجتمع القرطبي بوجه خاص يتكون منها، والتي استطاعت الخلافة الأموية أن تجعل منها جميعا كتلة واحدة

1- المالكي :المصدر السابق، ج2، ص 354.

2- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص221-222./ مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية ـ بيروت، 2007 ،ص 254.

3- أحمد بدر، تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري(عصر الخلافة)، دمشق، 1974،ج2،ص 127-128./ أحمد الطاهري ، عامة قرطبة، ص 142./ طبقة العامة في المجتمع الإسلامي إمكانية البحث من خلال النموذج الأندلسي، ضمن دراسات و مباحث في تاريخ الأندلس عصري الخلافة والطوائف مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1993،ص13. / القادري بوتشيش، أثر الإقطاع،ص 136.

Isdro de las Cagigas , Minorias etnico(religios de la edad media los mozarabos) –c.s.i.c- Madrid,1948, T2-38

ومجتمعا متماسكًا[1]، لاسيما أن المنطقة عرفت هدوءا واستقرارا على المستوى السياسي والعسكري، حيث "لم يدع الناصر لدين ا مع ذلك إزعاج من وجب ترحيله...فأزعجوا جميعا إلى قرطبة دار الجماعة وألزموا سكناها تحت جناح الخليفة كيما يعود الناس أمة واحدة غير رئيسة ومحتكما عليها غير حاكمة[2]".

باستثناء الباحث "قيشار" "PIERRE GHICHARD" الذي يرى" أن تلك العناصر تمثل مجموعات متجاورة أكثر مما هي منصهرة في خليط اجتماعي معقد من جراء التناقضات[3]" .

وضمن أدبيات العصر الوسيط نجد أحد النصرانيين قد تفطن للوضع الحقيقي للأندلس آنذاك وهو ابن مامة النصراني الذي قال قولا في غاية الأهمية عن أهل الأندلس" كنا نظن أن الدين والشجاعة والحق عند أهل قرطبة فإذا القوم لا دين لهم ولا شجاعة فيهم ولا عقول لهم إنّما اتفق لهم ما اتفق من الظهور والنصر بفضل ملوكهم فلما ذهبوا تكشف أمرهم[4]، وذلك أن قوة خلافة الأمويين قد ارتبطت بقوة شخصية حكامها وليس بقوة نظامها إذ يشير الباحث عبد القادر بوباية أن إعلانها جاء منسجما مع الموقع القوي الذي بلغه عبد الرحمن الناصر في الأندلس التي أصبحت مرتبطة بشخصيته، وبالتالي فقد ولدت معه وغابت مع غيابه، ولئن استمرت خلال عهد ابنه الحكم المستنصر فذلك لأنه استمد رصيده السياسي من أبيه وليس من قوة النظام[5]

1- عبد الوهاب محمد خلاّف ، قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر – الخامس الهجري(الحياة الإقتصادية والاجتماعية) ، الدار التونسية للنشر، تونس ، 1984، ص 234

2- ابن حيان، المقتبس، تحقيق بدرو شالميتا،ج5، المصدر السابق ص 220.

3- بيار قيشار ، التاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين (من بداية القرن الثامن إلى بداية القرن الثالث عشر)، ترجمة: مصطفى الرقي، الحضارة العربية في الأندلس، جمع سلمى الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1999، ج2، ص 973.

4- ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق :ج بروفنسال، دار الثقافة،بيروت، لبنان ، ط2، 1980،ج3، ص 90.

5- عبد القادر بوباية ، البربر في الأندلس و موقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري، المرجع السابق، ص 268.

وعليه فعملية التداخل والتجانس الإثني، ليست مقتصرة على فترة زمنية دون غيرها، أو تكون مقترنة بالقوة والقهر والتعسف بقدر ما هي مرتبطة بعملية التطور التاريخي للمنطقة في ظل التعايش الذهني للعقليات، لمختلف الأصول تحت كيان واحد. فمن يقر أن الأندلس شهدت ذوبانا وانصهارا حقيقيا فعليه أن ينكر أنها لم تشهد فتنة على أرضها أو حكما طائفيا؛ فالذوبان والانصهار الذي تحول إلى فتنة وانشقاق يمكن أن نصطلح عليه اندماج هش من الدرجة الأولى،"إزاء البنية المفكّكة للمجتمع الأندلسي، الذي لم يلتئم نهائيا بل ظلت صلة قرابة العصب هي الرابطة الرئيسية بين السلالات الأرستقراطية والمجموعات العرقية[1].

وللدفاع عن نظرية الاندماج والانصهار بالنسبة للعناصر العرقية يمضي أحد الباحثين في تتبع الألفاظ التي تدل على انحلال المنظومة القبلية وعن التراجع عن أهمية النسب[2]، ومن الأدلة التي ساقها ما ورد عند صاحب الحال الموشية بقولـه: "فإنا نحن العرب في هذه الأندلس قد تلفت قبائلنا، وتفرق جمعنا، وتغيرت أنسابنا ...فصرنا فيها شعوبا لا قبائل وأشتاتا لا قرابة ولا عشائر"[3].

إن هذا الدليل يؤخذ بحذر شديد، فمعطيات النصوص ليست دائما المنفذ الوحيد لبناء آراء والخروج بطروحات سليمة، إذا لم تخضع للفحص من خلال استبيان الملابسات والظروف التي سيقت فيها، فأصل النص مقتبس من رسالة وجهها المعتمد بن عباد سنة 479هـ الذي هو من أصل عربي[4]، يستنجد فيها بأمير المسلمين وزعيم المرابطين يوسف بن تاشفين الذي هو من أصل بربري[5]، فأمر طبيعي أن يختار المعتمد بن عباد ألفاظ وعبارات محنكة تكون بعيدة البعد عن كل

---

1 PIERRE GHICHARD, *Structures sociales et orientales et occidentales dans l'EspagneMusulmane ,Mouton ,Lahaye,1977, p* 351

2- أحمد الطاهري، عامة قرطبة، المرجع السابق، ص142.

3- مؤلف مجهول، الحال الموشية في ذكر الأخبار المراكشية،تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1979، ص45-46.

4- المعتمد بن عباد: هو محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل اللخمي أبو القاسم المعتمد على ا / أبي نصر الفتح بن خاقان، تاريخ الوزراء و الكتاب و الشعراء في الأندلس، تحقيق: مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط2، 2007، ص 69.

5- هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن تورقت بن ورتاقطن بن منصور بن مانية بن ونمالي الصنهاجي الحميري/ الحال الموشية، المصدر السابق، ص 24.

الحساسيات العرقية الإثنية والعنصرية التي أوصلت الأندلس إلى هذا الشرخ الاجتماعي السياسي.

كما أن هذا النص يقودنا إلى نقطة أخرى تستدعي الوقوف عندها هي فكرة الانتماء إلى المواطن، والتي هي في الحقيقة ظاهرة انتشرت بين الشعوب الإسلامية منذ صدر الإسلام، فيقال جند قنسرين، جند دمشق ، جند العواصم، وانتقل هذا الأمر بطبيعة الحال إلى بلاد الأندلس، وابن خلدون يؤكد بدوره أنّه "لم يكن لإطراح العرب أمر النسب، وإنما كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى عرفوا بها، وصارت لهم علامة زائدة على النسب يتميزون بها على أمرائهم"[1] .

وعليه، فإن النتيجة التي يمكن أن نهتدي إليها ولاسيما أن المصادر التاريخية تعج بذكر أسماء الأشخاص أو التراجم مكتفية بنسبتها في غالب الأحيان إلى المدن التي لا تعتمد كثيرا على المعايير العرقية للإشارة إلى سكانها، إلا أن الأندلس تتميز عن غيرها من الحواضر أن مدنها استطاعت أن تحافظ إلى حد ما على مؤثرتها العرقية والدموية على الأقل خلال الفترة التي خصت بها هذه الدراسة، ومن الشواهد التاريخية الدالة على ذلك أحمد بن الليث الأنسري (من أعلام النصف الأول من القرن 5هـ)، من أهل قرطبة يكنى أبا عمر وينسب إلى قريته أنسر وأصله من البربر[2]، ومنذر بن سعيد البلوطي، ينسب إلى منطقة فحص البلوط من أهل قرطبة وأصله من البربر في فخذ منهم يقال لهم كزنة[3]، وأحمد بن محمد بن دراج القسطلي (ت قريبا من 420هـ) الذي ينسب إلى قسطلة دراج*، وأصله من بربر صنهاجة[4] وقائمة الأمثلة كثيرة، وعليه فإن مجرد انتسابهم إلى المدن ليس كافيا لإثبات تناسي أصولهم العرقية.

---

[1]- مقدمة ابن خلدون، نسخة محققة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2003، ص 134,

2- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، رقم39، ص 21.

3- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس،تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1404هـ/ 1983 ،ج2،رقم 1452، ص845.

*- هي قرية في غرب الأندلس، ودراج هو الذي تنتسب إليه القرية فيقال قسطلة دراج / الحميري، روض المعطار، ص 160.

4- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص501-502.

كما أن الأسماء الطبوغرافية لأسماء قبائل البربر تُذكر دوما بتنظيماتهم القبلية وإن تطورت في شكل تنظيم مدني أو إقليمي أو حتى نواحي؛ وأيضا عامل استقرار وتوزيع العرب والبربر في بلاد الأندلس على شكل تجمعات وتكتلات عشائرية وقبلية في أنحاء مدن الأندلس، كان له دور كبير في إبراز هذه الميزة – أي حفاظ المدن على مؤثراتها العرقية والدموية نتيجة الإستقرار- فيكفي الإشارة فقط أن منطقة الجوف* كانت تسمى ببلاد البربر[1] ويشير أحد المؤرخين أن مدينة باجة*"مدينة كبيرة عليها سور حجارة قديم وبها قوم من جند بني هاشم القدم و قوم من العجم و يلي مدينة باجة قوم من البربر يقال لهم وزداجة[2]"، ويشير الإدريسي إلى حصن بلاي ومنترك "حصون يسكنها البربر من أيام الأمويين"[3]، وعلى الطريق من قرطبة إلى اشبيلية توجد قلعة شنت فيلة "وهي معقل للبربر من قديم الزمان"[4] وعليه فالتنظيم القبلي والعشائري سواء للبربر أو العرب لا يمكن أن ننفيه أو نتجاهله وما استدعاء المنصور بن أبي عامر للقبائل البربرية إلا لكسر شوكة قبائل العرب والقضاء على تنظيماتهم القبلية والعشائرية حيث تشير كتابات المؤرخين أنه "أذل قبائل الأندلس بإجازة البرابر، وأخمل بهم أولئك الأعلام الأكابر".غير أن ذلك لم يمنع من بقاء ذيول النظام القبلي[5].

ورغم محاولة الكثير من العناصر البربرية، على مر تاريخهم في الفترة الوسيطية أن تهرب وتخجل من نسبها متصنعة الحجج في ذلك لاعتبارات دينية

---

*- منطقة الجوف: أرض مطمئنة أو خارجة في البحر في غربي الأندلس مشرفة على بحر المحيط/ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2ص188.

1- ابن حيان، طبعة ملشور، ص 139.

*- مدينة باجة: مدينة أزلية من أقدم مدن الأندلس بنيانا، وهي متصلة بأعمال ماردة، تقع غرب قرطبة واغلة في الجوف وأرض باجة أرض زرع و ضرع/ تاريخ الأندلس، المصدر السابق ص 103/ ابن الشباط، وصف الأندلس، المصدر السابق، ص 118.

2- أبو محمد الرشاطي (ت542هـ)، وابن خراط الإشبيلي(ت 581)،الأندلس في إقتباس الأنوار واختصار الأنوار، تحقيق إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1990، ص25.

3- الإدريسي، المصدر السابق، ص 299.

4- نفسه، ص 301.

5- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، المرجع السابق، ص218.

وتاريخية، والنصوص التاريخية في هذا السياق شاهدة على ذلك، فيروى عن البهلول بن الراشد أنه صنع طعاما وأحضر له جماعة من أصحابه، فقالوا لما صنعت هذا الطعام من غير سبب ؟ فقال كنت خائفا أن أكون من البربر، لما جاء فيهم من الحديث فأخبرني من يعلم أني لست من البربر[1].

إلا أنّه لا يمكن أن نسلم بسهولة أو حتى إمكانية تقبل الفكرة من أساسها، على أن البربر استطاعوا أن يحدثوا هذا الانحلال على مستوى البنية المجتمعية على قاعدة الانصهار والاندماج في إطار ذوبان النسب داخل العنصر العربي، ولاسيما إبان فترة القرن الرابع الهجري/10م، لكونها مرحلة تاريخية مبكرة جدا يمكن القبول بها، ولاسيما أن البربر يتميزون ويتشبثون بالحفاظ على تنظيمهم القبلي*. مؤكدين بذلك قوة هويتهم العرقية[2]، فابن الفرضي مثلا يحتفظ لنا بترجمة لأحد العلماء يعود للقرن الرابع الهجري يقطن وسط قبيلة بربرية، حيث يقول "عيشون ابن إسحاق السمطي... من أهل استجة من ساكني باديتها وسط قبيلة من قبائل البربر[3]".

والعامل الثاني الذي لا يقل أهمية عن سابقه هو أنه من بين الميزات التي يختص بها الحكم المستنصر أنه كان "باحثا عن الأنساب، حريصا على تأليف قبائل العرب وإلحاق من درس نسبه أو جهله بقبيلته التي هو منها.[4]

ولعلّ عملية البحث المستمر والمتواصل عن الأصول العرقية بتواجد نسابة مختصين في ذلك، تجعل الدراسة في أن تطمح عن استفسار إن كانت هذه العملية طالت العناصر البربرية ومن كان وراءها؟

1- ومن الأمثلة التي وردت في المصادر التاريخية لدينا ما يروى عن بهلول بن الراشد أنه صنع طعاما والبربر، لما جاء فيهم من الحديث فأخبرني من يعلم أني لست من البربر/ القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي(ت 544هـ)، ترتيب المدارك في معرفة أعلام مالك، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1998،1،ج1 ص 190./ كما يشير أحد المؤرخين أنه كانت تحمر وجوهم من الخجل عند ذكر نسبهم/ Gautier.Les siécles obscures du Maghreb.Payot.paris.1927.p193-194.

*- القبيلة كيان اجتماعي فطري وهي بما تكون عليه من تراتيب وقواعد في بنائها وممارسة حياتها تشبه أن تكون مؤسسة اجتماعية ولكنها مؤسسة في أصلها فطرية غير مصنوعة وهي على أية حال مؤسسة ذات نفوذ، وتتوفر على سلطان اجتماعي مهم قد يتجاوز نطاق أفرادها إلى ما وراءه من دوائر المجتمع الأخرى./ عبد المجيد عمر النجار،عوامل الشهود الحضاري، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط1 ،1990،ص 285.

2- بيار قيشار، التاريخ الاجتماعي ، المرجع السابق، ص 967.

3- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج2، رقم 955، ص567.

4- ابن الأبار، الحلة السيراء، المصدر السابق، ج1، ص 201.

إن أكبر عائق يعيقنا حول هذه المسألة هو وقوع الدراسة في نوع من الإرتباك، نتيجة افتقارها لمعلومات دقيقة ونصوص شاهدة تساعد على بلورة الموضوع. ومما يزيد من صعوبة الأمر هو الحصول على بعض الشواهد المتناقضة، فقد ورد في إحدى المتون التاريخية أنّه "لما فتح طارق بن زياد جزيرة الأندلس وسكن فيها مع إخوانه من البرابر فسكنوا فيها، وتزوجوا فدخل عليهم التابعين فقالوا لهم: من أنتم قالوا نحن من البرابر جئنا برسم الجهاد، ونحن أجناس مختلفة فقالوا لهم ظلمتم أولادكم الذين ولدتم ها هنا يكبرون ولا يعرفون أنسابهم[1]".

وبتصفح ظاهر النص وإجراء قراءة أولية له يوحي إلى حد ما إلى الفكرة التي تدعو إلى الذوبان والانصهار في المجتمع الأندلسي على أقل على مستوى اختفاء ظاهرة النسب، إلاّ أن اعتلاء الحكم المستنصر عرش الخلافة حال دون ذلك وعليه فالرواية السابقة الذكر لا ترقى إلى مستوى الحقيقة التاريخية لأن هذا الأخير قام بإجراءات تصحيحية على المستوى الفعلي، إذ "قيد كثيرا من أنساب أهل بلده، وكلف أهل كُور الأندلس أن يلحقوا كل عربي، أخمل ذكره قبل ولايته، وأن يصحح نسبهم أهل المعرفة بذلك ، ويؤلف من الكتب، ويرد كل ذي نسب إلى نسبه[2]".

والإفادة الوحيدة التي نخرج بها من هذا النص هو أن عملية تقصي النسب انحصرت في العناصر العربية، وبالتالي إهمالها للعناصر الأخرى ولاسيما العناصر البربرية منها التي هي موضوع بحثنا. ولعلّ التمسك ببعض الخيوط التي وردت في المتون التاريخية يعطي أملا في إحياء الموضوع وما هو معروف لدى البربر على غرار العرب أنهم يعدون من الأجناس التي تعمل على تخليد أنسابها، "فكل عربي

1- أبو صالح بن عبد الحليم، تقاييد تاريخية متنوعة، مخطوط الخزانة الحسنية، الرباط، رقم 1084، ورقة 20./ ابن عبد الحليم، كتاب الأنساب، تحقيق: محمد يعلي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1996،ص46.
2- ابن الأبار، الحلة السيراء، ص 201.

وبربري ظل يحتفظ بكتابة عمود نسب آبائه[1]". ويعد ابن خلدون من أوثق المؤرخين في تثبيت هذه الشهادة لكونه اعتمد على نسابة من البربر في تاريخه[2]

ومن حسن الطالع، أنّ هناك أحد المؤرخين يحتفظ وينفرد لنا بتعريف أصول بعض هؤلاء النسابة بقوله "ومنهم العالم النسابة كهلان بن أبي لوا بن عبد الكافي بن فرناس بن ورين بن نافع بن يصلاسن[3] ويضيف أيضا "ومنهم العالم النسابة سابق بن سليمان بن حوات* بن صولات* بن دوناس بن ونموا بن مسنوية بن سيدة ابن وريكول المطماطي[4]".

إن ظهور نسابة من البربر على غرار العرب يؤكد حفاظ البربرعلى أنسابهم التي تؤكد هويتهم العرقية، بل لا حد لاعتزازهم وغيرتهم على أنسابهم التي لا يتحملون إلحاق الذل والعار بها، و يتضح لنا ذلك جليا من خلال نفي "بني ذي النون أرقم* من نسبهم لأنه كان ابن أمة مهينة، واقعها أبو الظافر في حال سكره[5] وإذا كنّا لا نملك معلومات دقيقة توضح ظهور مؤلفات تهتم بالنسب البربري في بلاد الأندلس، على غرار العدوة المغربية[6]، ويمكننا تدارك هذه الفجوة برتقها من خلال اهتمام المصادر التاريخية ولاسيما كتب التراجم بإيراد تراجم مستوفية شروط المترجم له بذكر نسب الكامل سواء للعرب أو البربر، وما يلفت النظر والجدير

1- حسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983،ج1، ص 41.

2- من بين النسابة التي اعتمد عليهم ابن خلدون،هانئ بن بكور الضريسي وسابق بن سليمان المطماطي وكهلان بن أبي لؤي وأيوب بن أبي يزيد و غيرهم من نسابة البربر/ تاريخ ابن خلدون، ص 1566.

3- أبو علي صالح بن أبي صالح بن عبد الحليم، تقاييد تاريخية،المخطوط السابق، ورقة21

*- وردت حراث في نسخة كتاب الأنساب ، المصدر السابق، ص 50.

*- وردت مولات في نسخة كتاب الأنساب/ المصدر السابق، ص 50.

4- تقاييد تاريخية، الورقة 21.

*- هو الأمير بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن مطرف بن موسى بن ذي النون، كان صاحب أدب وله من الشعر حظ، ولكي يتخلص منه أخيه المأمون بعث إلى النصارى، الذين كان يقيم في مملكتهم من دسّ إليهم بأنه جاسوس من قبل ابن أخيه ليتكشف على بلادهم فقتلوه، فاستراح المأمون، وقال الحمد ا هذه النعمة من جهتين فقد عدو ووجوب ثار نطاب به/ ابن سعيد، المصدر السابق، ج2، ص14.

5- نفح الطيب، ص 72

6- ونخص بالذكر كتاب أبي عبد ا محمد بن أبي المجد المؤلف في " أنساب البربر و ملوكهم" و يعد الآن في حكم مفقود، كما انه يعتبر من أهم المصادر التي استمد منها صاحب مفاخر بربر مادته/ عبد السلام بن عبد القادر بن سودة المري،دليل المؤرخ المغرب الأقصى، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، 1997، ص43

بالذكر أن المصادر المغربية اهتمت وأولت عناية بذكر أصول التراجم البربرية الموجودة في بلاد الأندلس والتي ما هي في الحقيقة إلا دليل على أنه لم تكن هناك قطيعة بين بربر العدوة الأندلسية وبربر العدوة المغربية ومن أمثلة ذلك:"منذر بن سعيد البلوطي النفزي هو بن عبد ا بن عبد الرحمن بن أبي القاسم عبد الملك بن نجيح بن ماريس بن اللميز بن ورغال بن ورتون بن سوملت بن يطوفت بن يفرن بن أـ وا الصغير"[1].

ولعلّ الشيء الذي يعزز اهتمام البربر بتدوين أنسابهم في الأندلس، على غرار بلاد المغرب، هو احتفاظ ابن خلدون لنا برواية فريدة من نوعها تتضمن الكثير من المعاني عندما قال: "وأجاز إلى الأندلس أيضا من رجالاتهم كهلان بن أبي لوا يصلان ونزل على الناصر، وهو من أهل العلم بأنساب البربر[2]". كما أن ابن حزم اعتمد في جمهرته في تدوين أنساب البربر على أحد النسابين من البربر بقوله " قال لي أبو محمد بويكي البرزالي الإباضي، وكان ناسكا، عالما بأنسابهم"[3].

والحديث نفسه ينسحب على مسعود بن محمد بن خالص الأمروشي[4]، الذي قيل عنه إنه "كان من أحفظ أهل زمانه بأخبار العرب وسيرها وأنسابها وأنساب البربر"[5] وبناء على هذه المعطيات لا يمكن أن نسلم بانحلال المنظومة القبلية في فترة الخلافة الأموية ولاسيما أن الأدلة التي ساقها دعاة الاندماج والانحلال الإثني إبان الخلافة لا تعتمد أي برهان تاريخي قوي[6]. كون أنّ فترة القرن الرابع الهجري

1- تقاييد تاريخية ، المخطوط السابق، ورقة 21.
2- تاريخ العبر ، المصدر السابق، ص 1616.
3- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، المصدر السابق، ص 498.
4- يكنى ابا بكر أستاذ نحوي لغوي روى عن ابن سيد المقرئ و أبي عبد ا بن شبرين، عمر كثيرا، منسوب إلى قرية من قرى شلب منها تسمى أمروشة بجيج بين الجيم والشين، وكان أهل شلب يتبركون بالقؤاءة عليه لفضله، توفي سنة 547هـ/ أبو جعفر بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي(ت 628هـ - 708م)، صلة الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس و الشيخ سعيد أعراب،وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية الإسلامية، مطبعة فضالة، المملكة المغربية، 1413هـ - 1993م، ج1، رقم 63، ص61.
5- ابن الزبير، نفس المصدر، ص 61.
3- نود أن نذكرأن هنا النص السابق الذكر بعيد زمنيا عن فترة الخلافة ، كما أن الأدلة الأخرى تخدم فكرة التنظيم القبلي وليس الإنحلال القبلي خلال فترة الخلافة/ ينظر أحمد الطاهري ، المرجع السابق، ص142-143.

عرفت اهتماما بالغا بالأنساب، فقد ظلّ العربي صليبة[1] من بين المحددات الأساسية للوجاهة في المجتمع الأندلسي ويتبين لنا جليا من الإجراءات التي اتخذها الحكم المستصر إذ" قيد كثيرا من أنساب أهل بلاده، وكاف أهل كُور الأندلس أن يلحقوا كل عربي، أخمل ذكْره قبل ولايته، وأن يصحح نسبهم أهل المعرفة بذلك، ويؤلف من الكتب، ويردّ كل ذي نسب إلى نسبه.

ولعل مثل هذه الإجراءات كان لها صدى ووقع كبير على قيمة الانتماء العرقي في ذهنية الخاصة والعامة. لهذا نجد من الأمثال التي تتردد على لسان العامة بقولها:" ثلاثة تنتاف أسماهم : الشريف، والحاج، والمؤذن[5]"، فقد ظل النسب أساسا ومعيارا للتصنيف الاجتماعي في بلاد الأندلس كما أشار إلى ذلك أحد الباحثين[2].

وقد يكون لهذا المعطى الاجتماعي دوره الكبير في تغيير ذهنية العلماء من البربر من حيث إخفاء نسبهم، فقد انتبهت الباحثة إلينا دي فيليبي" Helena de Felipe " إلى ظاهرة اختفاء الأصل البربري في نسب العائلات العلمية البربرية في التراجم التي خصهم بها ابن بشكوال بالنسبة للجيل الثاني[3]. وبالمثل واصل الباحث إبراهيم القادري بوتشيش النسق نفسه في التأكيد على الطرح المعتمد من طرف دعاة الاندماج، عندما نبه أنه لم يحل نسب البربر دون وصولهم لأسمى وظائف الدولة وتصدرهم قمة الهرم الاجتماعي فكان فيهم الأمراء والوزراء والقضاة... إلخ[4].

صحيح أن السلطة الأموية في مختاف مراحل حكمها سواء الإمارة(138هـ-316هـ) أو الخلافة(316هـ-422)، اتبعت سياسة الانفتاح نحو جميع العناصر بدليل نجاح العديد من الأشخاص من أعراق مختلفة بما فيهم البربر أن

1- ابن الأبار، الحلة السيراء ج1 ، ص 202-203.
2- القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، المرجع السابق، ص127.
3- Helena de Felipe.Familias de ulemas de origen berber en Al-Andalus .Actas des 1 coloquio Hispana Marroqui de ciencias historicas. Madrid.1992.p173.-
4- أثر الإقطاع في الأندلس، المرجع السابق، ص136.

يصلوا إلى مراتب عليا وحساسة[1]. ولكن هذا القول يؤخذ بعين النقد لمعطيات مختلفة ! فلا ننسى أن السلطة المتحكمة في زمام الأمور هم الأمويون الذين دخلوا وأسسوا ملكًا ودولة حديثة مقارنة بتاريخ فتح الأندلس ودخول المسلمين إليها.

ولهذا فعندما نحاول أن نستوعب النقاط الأساسية والمساهمة في صنع هذا الفعل السياسي، لا نجد إلاّ حقيقة واحدة وهي سعي الأمويين إلى اصطناع الموالي، بغض النظر عن جنسهم وعرقهم[2]، خصوصا أن الأندلس بلد يتميز عن غيره من الحواضر أنّه يضم فسيفساء مختلفة الأعراق.

والأمويون صليبة يعدون فئة قليلة جدا مقارنة بالأجناس الأخرى، ولهذا يعد الولاء أحد السبل في تحقيق كثرتهم وبسط نفوذهم بعدما خذلتهم العرب[3]، وهنا يتميز جوهر حكم الأمويين بالأندلس عن نظيره بحكمهم السابق في بلاد المشرق، ووعى الحكام الأمويون هذه السياسة جيدا عندما طبقوها على أرض الواقع، ويتجسد لنا هذا الفعل من خلال الوصية التي تركها الحكم بن هشام لابنه وولي عهده عبد الرحمن حين حضرته الوفاة: "وإن رأيت فيمن يرتقي من صنائعك رجلاً لم تنهض به سابقة، ويشق بخصلة وتطمح به نفسه وهمته فأعنه واختبره وقدمه واصطنعه ولا يريبك خمول أولّه، فإن كل أولّ كل شرف خارجية[4]"

وإن كان مؤرخي البلاط لهم ذهنية خاصة في معالجة قضايا الإرتقاء الطبقي فالراغب الأصفهاني كان يرى في نظره "لا أن يسقط ألف من العلية خير من أن

1- فعلى سبيل المثال يذكر ابن حزم أن حفدة طارق بن زياد كانت لهم ثروة و عدد و كان منهم قواد و كتاب وفقهاء/ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص 500./ كما أن صنهاجة كان منهم في الاندلس بنو الغليظ فقهاء وكتاب وفقهاء وأدباء/ مفاخر البربر، ص186.

2- حيث ذكر أن عبد الرحمن الهواري دخل على عبد الرحمن الداخل، فقال مات فلان عن ضيعة ، تعود بكذا، وضخم امرها وعليه دين تباعن و خصه على شرائها ، فقال: أنا أريد أمرا عن بلغته استغنيت عنها، و إن لم أبلغها فما أقلها ، وإصطناع رجل واحد أحب إلي من ضيعة،/ أخبار المجموعة، ص 109.

3- فيشير المقري أنه: كثرت ثورة رؤساء العرب بالأندلس على عبد الرحمن الداخل، و نافسوه ملكه، ولقي منهم خطوبا عظيمة ، و استراب في آخر أمره بالعرب، لكثرة من قام عليه منه، فرجع إلى اصطناع القبائل من سواهم و اتخاذ الموالي/ نفح الطيب، ج1، ص 333.

4- ابن حيان، المقتبس، السفر الثاني، تحقيق محمود علي مكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ص230. والخارجية هي البروز والسبق بغير قديم موروث و الخارجي في مثل هذا السياق هو الذي يشرف بنفسه من غير أن يكون له نسب عريق أو حسب موروث/ نفسه.

يرتفع واحد من السفلة[1]"، ويقول غيره فليس من حق "الوضيع أن يساوي الرفيع في حق و لا باطل[2].

أما مؤرخي الأندلس فهم أيضا دأبوا على هذا النهج الإستعلائي في كتاباتهم التي كانت منصبة على عنصر البربر فعبد الملك بن حبيب[3] كان يقول عن قرطبة "يكون الساقط فيها عزيزا والأمير ذليلاً بقرطبة اللعينة البادنة السمينة المقهورة الذليلة ينتجعها آخر الزمان قوم من البربر يفسدون الحاضرة والبادية[4]"، فرغم الطابع الكراماتي للنص كون عبد الملك بن حبيب لم يشهد فتنة القرن الخامس الهجري/ العاشر ميلادي، إلا أن هذا الخطاب يفصح بجلاء عن بوادر أزمة واقع إجتماعي سياسي يعبر عن التطورات التي بدأت تحدث في بنية التراتبات الإجتماعية للبربر، ولاسيما على مستوى الجهازين الإداري والسياسي وقد عكست الكتابات التاريخية ولاسيما السلطانية منها تخوف تنامي هذه الظاهرة لاعتقادها أن "أشد النوازل دولة الأراذل وزاول الدول باصطناع السفل"[5]

وبغض النظر عن الكتابات السلطانية التي أبدت موقفا واضحا في عملية الرصد للبناء الطبقي، إلاّ أن الأندلس على ما يبدو حققت تعايشا يصل إلى حد الانسجام والالتحام على مستوى طبقة الأصحاب ذوي المناصب الرفيعة وإن اختلفت أصولهم العرقية[6]، ويعود هذا إلى سياسة الولاء التي تبنتها الدولة الأموية منذ عهدها عهدها الأول في بلاد الأندلس، إلا أنه ثمة إشارات تاريخية تحتفظ لنا بها المصادر التاريخية والتي تعبر دوما عن مصادمات ونزاعات كانت تحدث بين أصحاب الطبقة

1- أبو القاسم حسين بن محمد الراغب الأصفهاني(ت502هـ/1108م)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ج1، ص 315.

2- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 225هـ ـ/ 868م) ، التاج في أخلاق الملوك، تحقيق باشا أحمد زكي، المطبعة الأميرية،ط1، القاهرة، 1914، ص163.

3- هو عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جاهمه بن عباس مرداس السلمي، يكنى أبا مروان ، كان بالبيرة، و سكن قرطبة، له مؤلفات في الفقه و التواريخ و الآداب كثيرة حسان منها: فضل الصحابة و حروب توفي سنة 238- 852م/ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس،ج1 ،رقم 814 ،ص459.

4- عبد الملك بن حبيب، كتاب التاريخ، دراسة وتحقيق: خورخي أقوادي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ومعهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1991 ص137.

5- الراغب الاصفهاني، المصدر السابق، ج1، ص 137.

6- بيار قسشار، التاريخ الإجتماعي، المرجع السابق، ص 975.

الرفيعة ولاسيما بين العرب والبربر ،فرغم بلوغهم قمة الارتقاء الطبقي، إلا أن النعرة العصبية* والشعور بعزة نفس في إطار الانتماء الإثني كانت تطفو على السطح كلما ولت الأحقاد وتعكرت الأجواء، ونلمس هذا من خلال الحوار الذي دار بين الوزير البربري سليمان بن وانسوس[1] والأمير عبد ا بن محمد (275هـ - 300هـ)، لما قال له: اجلس يا بربري، فجلس وقد غضب فقال:" أيها الأمير إنما كان الناس يرغبون في هذه المنزلة ليدفعوا عن أنفسهم الضيم، وأما إذا صارت جالبة للذل فلنا دور تسعفنا وتغنينا عنكم[2]". ولم يكن سليمان ليقول هذا الكلام للأمير عبد ا إلاّ لأنه متيقن كل اليقين أن له قوما أشداء يتعصبون له ولن يخذوله إذا طلب منهم لمساعدة، فبالنظر إلى الشكل المعبر عن طبيعة الصراع بين شخصية "علقت بحبال الخدمة" وشخصية تمثل السلطة الأموية النافذة والمتنفذة ، يتبين لنا بعمق مدى وعي البربر وتشبثهم بماضيهم وموروثهم الاجتماعي حتى وإن تقلدوا أرقى المناصب.

وتتكرر فصول الصراع الطبقي الإثني، من التفاخر الذي حدث بين حفص بن ميمون المصمودي وغالب بن تمام العربي ففضل الأول مصمودة على العرب، فقام الثاني وقتله، فلم يستنكر الأمير الأموي عبد الرحمن بن معاوية ذلك وأقسم أخوه إذا لم ينتصر لهم الأمير أن يقوم سبعون ألف سيف بأخذ ثأره[3]، وعليه فلا يمكن تفسير هذه النزاعات والسلوكيات التي لا معنى لها في بلاد الأندلس سوى أن المقاتلة حملوا الصراع في أذهانهم التي كانت " تَعلة لرهانات أخرى كالمطامع والمطامح والنزوع

*- العصبية رابطة إجتماعية سيكولوجية، شعورية معا، تربط أفراد جماعة ما ، قائمة على القرابة، لابطا مستمرا يبرز و يشتد عندما يكون هناك خطر يهدد اولئك الافراد كأفراد او جماعة/ محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، العصبية و الدولة (معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط7، 2001، ص 168.

1- هو سليمان بن محمد بن أصبغ بن عبد ا وانسوس المكناسي مولى سليمان ابن عبد الملك، أصله من البرابر، وله فيهم بيت شرف بالاندلس، كان جده أصبغ رئيسا بماردة مطاعا، ثار على الامير الحكم بن هشام فملكها لنفسه، وعلق حبال الخدمة، فتصرف للسلطان في أعمال كثيرة، على أن ارتقى الذروة من خطة الوزارة للأمير عبد ا ، وصارت له حظوة/ ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص160.

2- أبو عبد ا محمد بن أبي نصر فتوح الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، شركة الأنصاري للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2004، ص220.

3- أخبار مجموعة، المصدر السابق، ص 103.

إلى الفتنة والفوضى من طرف جند حافظوا على تركيبتهم القبلية أو بالأحرى ما فوق القبلية"[1]، وبالمقابل نصادف مواقف جد سلبية اتخذها البربر تُجاه التعرض لنسبهم واعتبروها قذفا، ولعل خير مثال قصة حامد بن محمد بن سعيد الزجالي[2] مع نظيره الوزير عبد الواحد الإسكندراني، فقد تمثل هذا الأخير ذات مرة بقول امرئ القيس[3]:

بريد السرى من خيل بربرا

ففهم الزجالي أنه لمح إلى أصله، وهو الشيئ الذي استفزه ليرد عليه بنفس التعريض عندما قال:

وما الحر إلا من يدين بمثْل ما   يدان ومن يخفي القبيح ونصف

هم شَرعواْ العري قَذْفَ فَعندما   تَبِعنَاهم لاَموا عليه وعنفُواْ

يبدو أن دفاع الزجالي هذه المرة أوقعه في موقف حرج من أمره فهو لم ينتصر لبربريته وبالتالي انتصر لنفسه كما فعل سليمان بن وانسوس أو حفص بن ميمون المصمودي ، بلْ عد أن الانتساب إلى البربر قذفا وعارا.

وعليه إن العثور على مثل هذه المواقف المتناقضة والمصادمات لا تشجع على تقبل فكرة الاندماج والانصهار لدى البربر- على الأقل على مستوى النخبة الرفيعةـ إن إغفال أية جزئية أو خلفية في هذا الموضوع سيؤدي حتما إلى نتائج واستنتاجات خارجية ولذا يجب توخي الحذر من كل قراءة تمارس منهجا ويقينيا في معالجة أبحاثها بتغليب نصوص معينة لحساب حكم مسبق.

ولعلّ حدوث مثل هذه المواقف المتباينة والمتناقضة لدى البربر التي تارة تجعله يعتز ويأنف لنسبه وتارة أخرى تؤدي به إلى استصغار نسبه واستشعاره بالدونية والنقص، سيتسارع إلى الذهن عن صنف هؤلاء البربر – أي هل كانوا من البتر أو

1- هشام جعيط، تأسيس الغرب الإسلامي (القرن الأول والثاني هجري/ السابع والثامن ميلادي)، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2004، ص207.

2- حامد بن محمد بن سعيد بن موسى بن عيسى الزجالي الذي ورث مكان أبيه من الادب و المعرفة و الكتابة والبلاغة، وتفوق عليه في خدمة السلطان، فارتقى بخطة الوزارة في حضرة الامير محمد بن عبد الرحمن(238 -273هـ)/ ابن حيان، تحقيق المكي، ص 33، 36.

3- المقري، نفح الطيب، ج2، ص315.

من البرانس- الذين استطاعوا أن يتقلدوا المناصب الرفيعة ولماذا تباينت ردود أفعالهم من النقيض إلى النقيض؟

ولا تبرز أهمية الإشكال إلاّ من خلال الكشف عن العلاقة التاريخية والاجتماعية التي كانت تربط الجذمين بالدولة الأموية، فما نستطيع أن نستفيد منه مما قيدته المصادر التاريخية أن البتر يعدون من أقدم الفروع التي أعلنت ولاءها للدولة الأموية[1]، وذلك بمظاهرة القبائل المضرية وكانوا خاصة لهم دون قريش لتستمر مظاهرة الدعوة المروانية بالاندلس رعيا لهذا الولاء[2].

بناء على هذه الحقائق المثبتة والموثقة أعلاه سيتبادر إلى الذهن أيضا أن البتر – أو على الأقل القبائل الشهيرة منها كزناتة مثلا- هم الذين سيتقلدون تلك المناصب الحساسة والخطط العليا ولاسيما أن الدولة الأموية تتماشى وهذا المبدأ بقولها "أن مذهبنا أن نقصر لخططنا هذه النبيهة على أبناء موالينا وأهل السوابق في خدمتنا [3]".

ولكن ما هو ثابت في المصادر التاريخية وأبحاث الدارسين لا يشير إلى ذلك كون أن البرانس هم الذين احتلوا الصدارة في تولي تلك الخطط النبيهة والولايات الرفيعة وليس البتر الذين كانوا سند الدولة الأموية في مختلف مراحل حكمها على خلاف البرانس الذين عرفوا بمخالفتهم ومعارضتهم للحكم الأموي في بلاد الأندلس[4] فما هي الدلالات والصور التي نستطيع أن نلمسها عن قرب في المفارقات التي حدثت بين البتر والبرانس في تولّي الخطط النبيهة رغم أن نبش مثل هذه الوقائع الجدلية سيضفي بنا إلى مسائل أخرى متعددة الجوانب ؟

1- حيث يشير المؤرخون أن مغراوة كانوا من أوسع بطون زناتة البترية وكان لهؤلاء ملك كبير أدركهم عليهم الإسلام فهاجر أميرهم صولات بن وزمار إلى المدينة، و وفد على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي ا عنه، فلقاه برا و قبولا لهجرته و قبولا لهجرته، وعقد له على قةمه ووطنه، فأصبحوا أخاص الاولياء للمروانية وشيعتهم/ ابن خلدون، ص 1814./ مفاخر البربر ، ص 95.

2- ابن خلدون، ص 1814.

3- ابن حيان، المقتبس، المقتبس، تحقيق المكي، ص 144.

4- حمدي عبد المنعم محمد حسن ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت، ص 75-150.

وحتى لا نبتعد كثيرا عن الموضوع، نجد أن الولاء لم يفعل مفعوله هذه المرة في الجانب الاجتماعي والثقافي بالنسبة للبربر البتر، فهل يعود هذا إلى إحجام الدولة الأموية عنهم وبالتالي لم تكن تهتم و تسعى أصلا إلى إدماج هذه الفئة على المستوى الاجتماعي والثقافي أم يعود إلى الجذور التاريخية والاجتماعية المتعلقة بهذه الجماعة أم كلتا إحتمالين أمرهما وارد. التي في هذه الحالة يستوجب استنطاق الإرث الإجتماعي على قدر المعطيات المتاحة في المصادر التاريخية.

فما يمكن أن نهتدي به على قدر ما زودتنا به المصادر التاريخية يبدو أن البتر يتميزون بماضي حضاري هش، فهم كانوا شبه بدو يعيشون حياة الرعي والزراعة، تعتمد حياتهم بالدرجة الأولى على نمط الترحال و التنقل وراء القطعان[1].

ولعلّ هذا الجانب كان له تأثير كبير على مستوى تحديد سلوكياته و ذهنيته في بلاد الأندلس رغم أن قبائل البتر على حسب قول ابن خلدون هم أكثر لهفا في الأخذ بمذاهب العرب في زيهم ولغتهم وسائر شعارهم.[2] وعليه، هل لنا أن نربط هذا العامل بالموقف السلبي الذي اتخذه حامد الزجالي تُجاه نسبه، بحكم أنّ هؤلاء البتر يفتقدون إلى قاعدة حضارية وعراقة اجتماعية تتعلق بماضيهم التاريخي في بلاد المغرب، التي تجعلهم يستشعرون دوما إحساسا بالدونية والضألة بحكم المغلوبية لحضارية التي هم فيها[3] حتى وإن اندمجوا على المستوى اللغوي الثقافي في بلاد الأندلس ولكن رغم الخصوصية الاجتماعية التي كانت تلازمه، تثبت كفاءتها في الميادين العلمية سواء في الشعر، والفقه، وعلوم اللغة...إلخ[4]، إلا أنها لم تقابل بحوافز مادية أو معنوية على مستوى تولي المناصب الرفيعة- باستثناء بعض الأسر البربرية كالزجالين- التي كان ينادي بها الأمويون.

1- تاريخ ابن خلدون، المصدر السابق، ص 1611./ عبد الحليم عويس، دراسة في أجناس الحضارة الإسلامية " البربر"، مجلة كلية العلوم الإنسانية، المملكة العربية السعودية، الرياض، ع3، 1979، ص245.

2-ابن خلدون، نفس المصدر، ص 1800.

3- عبد المجيد النجار، عوامل الشهود الحضاري، المرجع السابق، ص 230

4- يمكن العودة في هذا المجال إلى الدراسات التي اهتمت برصد المجالات العلمية التي نبغ فيها البربر،عبد القادر بوباية، البربر في الأندلس ص 235./ محمد حقي، البربر في الاندلس،ص 317-322.

كما أن الفرع الثاني من البربر، والذي يتمثل في جذم البرانس فرغم أن المصادر التاريخية تشير إلى أن هناك قبائل كثيرة من هذا الفرع كان لها دور وفضل كبير في فتح الأندلس، وبالتالي يعدون من الأوائل المستقرين في هذه البلاد، إلا أنّه يبقى من أكثر الفروع خروجا ومعارضة للحكم الأموي في مختلف مراحله[1].

ولكن هذا الأمر لم يمنع البرانس من البربر في تولي المناصب الرفيعة رغم أن سياسة الدولة الأموية كما سبق الإشارة أن تولي الخط النبيهة حكرا لمواليها وأبناء مواليها.

وحتى البرانس ليس كل الفروع التي استحوذت على المناصب الإدارية باستثناء مصمودة التي احتلت الصدارة، ورغم أن القرن الرابع الهجري/10م. يمثل أوج المساهمة البربرية في إدارة وتسيير شؤون العدوة الأندلسية، إذ يشير أحد الباحثين أنه بلغ عدد الموظفين من البربر الذين تولوا المناصب الإدارية أو القضائية في عهد عبد الرحمن الناصر(300هـ-350هـ/912-961م) يعادل نفس عدد المغاربة، الذين تولوا هذه الوظائف خلال كل الفترة التي سبقت تاريخ تولي الناصر للسلطة[2]. لكن ما هو ملفت للانتباه والذي يهمنا في موضوعنا استنادا على الدراسات التي سهلت رصد هؤلاء الأشخاص أننا لم نعثر في وسطها لشخصية بربرية تعود أصولها البربرية إلى فرع صنهاجة أو كتامة رغم أن صاحب مفاخر البربر يصرح عن صنهاجة أنه: كان منهم في الأندلس بنو الغليظ فقهاء وكتاب وأدباء[3]"، إلاّ أن كفاءتهم العلمية لم تقابل بتولي أية خطة أو منصب إداري أو قضائي. وعليه، هل لنا أن نربط هذا العامل بالعداء التاريخي الذي يربط الدولة الأموية بالدولة الفاطمية في بلاد المغرب[4]، ولاسيما أن ابن خلدون يشير"ولصنهاجة ولاية لعلي بن أبي طالب[5]". وإن كانت المصادر التاريخية لا تسعفنا في معرفة سبب هذه الولاية ولا أصلها، إلا

1- عبد المنعم، ثورات البربر في الأندلس، ص 115.
2- عبد القادر بوباية، البربر في الأندلس و موقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري، ص 169.
3- مفاخر البربر ، ص 186.
4- يمكن العودة إلى الدراسات التي اهتمت بالصراع القائم بين الدولة الأموية في بلاد الأندلس و الدولة الفاطمية في بلاد المغرب
5- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 1630.

أنه فيما يبدو أن تولية المناصب الرفيعة والخطط النبيهة من طرف الدولة الأموية للبربر جاء نتيجة مصالح إستراتجية وحسابات عربية بربرية على حد سواء، وإن تبقى مصمودة من أكبر الفروع البربرية التي عارضت الحكم الأموي بشدة وأنهكت قوتها العسكرية في أكثر من مرة[1]، إلا أننا نجدهم في الوقت نفسه قد استحوذوا على مناصب حساسة في السلطة الأموية أنذاك.

وبالتالي إن سياسة الدولة الأموية لم تكن ترمي إلى تولية الخطط النبيهة لمواليها وأبناء مواليها وإدماجهم في المجتمع، بقدر ما كانت ترمي إلى تغيير وجهة معارضيها إلى صفها ولو إلى حين. فقد ورد عند ابن حيان أن "عبد ا البلنسي شق عصا الطاعة لعمه الحكم الربضي "ونزل بكورة بلنسية عند برابرها، فقاموا معه وتعصبوا له[2]"، ولما انعقد أمان الصلح في سنة 187هـ/ 802م "خرج إليه بهذا الأمان، الفقيه يحي بن يحي الليثي[3]" المصمودي.

ولعل تحليل أحد الباحثين يشير أكثر من غيره صراحة عندما أشار أن مهمة يحي بن يحي الليثي المصمودي، لم تكن فقط بغرض إبرام الصلح بين الحكم الربضي وعمه عبد ا البلنسي، بقدر ما كانت ترمي إلى تغيير وجهة نظر بربر بلنسية تُجاه السلطة، وهذا تحت ضغط يحي بن يحي الليثي على هؤلاء البربر[4] وهي السياسة نفسها اتبعها عبد الرحمن الناصر، عندما كاف أحد المصموديين وهو محمد بن عبد ا ابن يحي بن يحي، المعروف بابن أبي عيسى القاضي بمهمة تجهيز جيوش البربر من المناطق الثغرية حيث كان "الناصر لدين ا ، لا يخليه من تصريفه في مهماته، وإخراجه في السفرات، إلى كبار الأمراء، والأمانات إلى

1- كالحملة التأديبية التي تعرضت لها قورية سنة 158هـ-755م من قبل عبد الرحمن الداخل عقابا لدعمها لثورة شقيا بن لقيا المكناسي، فقتل منهم خلقا كثيرا وأذلهم، وأسر زعيمهم عباس بن قلعوش المعروف بأبي مزكانة المصمودي، والتمرد الذي قام به محمود بن عبد الجبار المصمودي وأخته جميلة، اللذان تمردا سوية في الأمير عبد الرحمن الأوسط وتم قتل محمود سنة 225هـ، و التمرد الذي قام به محمد بن تاكيت من مصمودة الذي ثار بناحية الثغر أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن(238هـ-273)، وزحف إلى ماردة، ونزلها هو قومه/ ابن عذاري، ج2، ص 55/ ابن حيان، س2، ص445/ ابن خلدون، ص 985.

2- ابن حيان، المقتبس، س2، ص92

3- نفسه، ص103.

4- حميد زيدور، البربر بين المعارضة والمولاة في عهد الإمارة الاموية بالأندلس 138-316هـ/756-928م، مذكرة ماجستير مرقونة، نوقشت بجامعة وهران أكتوبر 2009، ص107-108.

الثغور والأطراف للإشراف عليها، والإعلام بمصالحها والبنيان لحصونها، وترتيب مغازيها وإدخال جيوشها إلى بلاد المغرب"[1]، وعليه إن تولية المناصب العليا والخطط النبيهة ترتبط إلى حد كبير بالمصلحة السياسية للدولة الأموية، وبقوة الطرف الذي يمنح له الولاء من جهة أخرى، رغم أن إشارات الباحثين تثبت أن فرع مصمودة يعد من المجموعات التي يغلب عليها الاستقرار، كما أنها تتصف بماضي حضاري عريق، وتقاليد حضارية عريقة ومستقرة، يجعلها أكثر استقلالية وغيرة على خصوصيتها الاجتماعية[2].

ويعد محمد شفيق من أكبر الباحثين المهتمين بالتراث الأمازيغي، إذ أشار أن مصمودة تعد من أكثر القبائل "تمسكا بالمفردات البربرية الأصلية، مع أنهم أكثر القبائل اهتماما بالعربية والفصحى والدراسات الدينية[3] لعل حكم الذي صدر عن هذا الباحث يعني به بربر مصمودة القاطنين بالعدوة المغربية وليس العدوة الأندلسية، لكننا نجد أن هذا القول يتفق إلى حد ما مع بربر مصمودة في بلاد الأندلس، فما هو ثابت في الدراسات الأكادمية استنادا لما ورد في المصادر أن أكبر لائحة لعلماء البربر في بلاد الأندلس تعود إلى فرع مصمودة[4].

فما هو التفسير الموضوعي الذي يمكن أن نقدمه حول هذه المسألة؟

ورغم أن هناك من الباحثين يرى أن كثرة العلماء في الفرع المصمودي تعود بالدرجة الأولى إلى كثرة ووفرة هذا الفرع في بلاد الأندلس نتيجة الهجرات والاستقرار[5]، حاولت أن أجتهد في الموضوع فلم أجد إلا تفسيرا طريفا قدمه لنا ابن خلدون الذي يربط قوة التحصيل العلمي بنوعية النمط المعيشي للأفراد حيث قال "فانا نجد أهل الأقاليم المخصبة العيش الكثيرة الزرع والضرع والأدم والفواكه

1- القاضي عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، المصدر السابق، ص 85.
2- محمد حقي، المرجع السابق، ص 119.
3- محمد شفيق، التعريف باللغة البربرية، مجلة أفاق، يصدرها اتحاد المغرب العربي، ع2، سنة1964، ص70.
4- عبد القادر بوباية، الرجع السابق، ص235. / محمد حقي، المرجع السابق، ص317.
5- عبد الواحد ذنون طه، الفتح والإستقرار العربي، المرجع السابق، ص 260./ رغم أهمية هذا الطرح إلا أنه لم نعثر على دليل قاطع يبين كثرة الفرع المصمودي في بلاد الأندلس عن الفروع الأخرى ولاسيما أن مواطن الإستقرار البربر في بلاد الأندلس لا تدلي بذلك

يتصف أهلها غالبا بالبلادة في أذهانهم والخشونة في أجسامهم وهذا شأن البربر المنغمسين في الأدم والحنطة مع المتقشفين في عيشهم والمقتصرين على الشعير أو الذرة مثل المصامدة منهم، وأهل غمارة والسوس، فتجد هؤلاء أحسن حالا في عقولهم وجسومهم... فتجد لأهل الأندلس من ذكاء العقول وخفة الأجسام وقبول التعليم لا يوجد لغيرهم"[1]، فإن صح قول ابن خادون[2]، فهذا يعني أن فرع مصمودة حافظ على نمط حياته المعيشية المتمثلة في أكل الشعير والذرة حتى بعد استقراره ببلاد الأندلس بدليل أن الكفاءة العلمية نبغت في فرعهم .

وعلى العموم، مهما اختلفت التفاسير سواء تعلق الأمر بكثرة الفرع المصمودي في المنطقة أو تعلق الأمر بالتفسير الخادوني،تبقى مصمودة من القبائل التي أثبتت جدارتها في المجال العلمي، وبالتالي استحقت تولي المناصب والولايات الرفيعة رغم معارضتها للحكم الأموي.

كما أنه ليس كل من تحصل على منصب مرموق اجتماعي يكون بالضرورة قد اندمج في المجتمع الأندلسي وبالتالي يصبح له بيت ومكانة وسط بيوت الشرف هناك لأن معنى البيت عند ابن خادون هو "أن يعد الرجل في آبائه اشرافا مذكورين، تكون له بولاء تهم إياه و الانتساب إليهم تجلّة في أهل جادته[3]".

ويبدو أن هذا التغيير والتحول يمس ذات الشخص فقط الذي طاله الارتقاء ولكن في حقيقة الأمر يبقى الوضع كما هو بالنسبة لرؤية الأندلسيين ولاسيما رؤية العرب للبربر حتى وإن نافسوهم في المناصب العليا والخطط الرفيعة، ولدينا من النصوص ما ينهض حجة على ذلك فمثلاً طرفة بن لقيط الهواري تعرض للخصي في فترة الحكم بن هشام صاحب الربض، رغم أن أباه وأخاه تصرفا في الولايات

1- مقدمة ابن خادون، ص 97.

2- يقدم ابن خادون أيضا تفسيرا لنمط الأغذية بقوله: والسبب في ذلك – و ا أعلم- أن كثرة الأغذية و كثرة الأخلاط الفاسدة العفنة ورطوباتها تولد في الجسم فضلات رديئة ينشأ عنها بعد أقطارها في غير نسبة... فتغطي الرطوبات على الأذهان والإفكار بما يصعد إلى الدماغ من أبخرتها الرديئة فتجيئ البلادة والغفلة والإنحراف عن الإعتدال بالجملة/ مقدمة ابن خادون، ص 96.

3- مقدمة ابن خادون، ص 138.

الرفيعة[1]، ولعل التعريض الذي أتى به ابن حيان في حق الزجالين خير دليل على أن الارتقاء الطبقي وتقلد المناصب الرفيعة لم يقض على الهوة العرقية بين الطرفين عندما قال "لم يكن لهؤلاء الزجالين المقحمين في بيوت الشرف بقرطبة قبل جدهم محمد هذا قدم رياسة، ولا سالف صحبة للسلطان"[2] وقال عنهم أيضا "كانوا قدما من عامة البتر من البرابر، أصولهم من ناحية تاكرونا لم يحفظ لأولهم نباهة[3]".

وينسحب الأمر نفسه على الوزير حامد بن محمد الزجالي، فرغم المكانة التي يحتلها هذا الأخير إلا أنه لم يسلم من السخرية والإستهزاء و يحتفظ لنا ابن حيان بعضا من نوادره بقوله "ومن نوادر حامد بن محمد الزجالي: غلط إمام الوزير حامد بن محمد ليلة في بعض قراءته في صلاة التراويح في شهر رمضان بمسجد حامد، وحامد حاضر، فقرأ مكان قوله تعالى :"الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة"* فقرأ ا فانكحوهما، فلما انصرف حامد قال لبعض من يخصه من جيرانه: أما سمعت ما أتى به إمامنا من تبديل حدودنا[4]". فرغم أن الرواية لا توحي بالسخرية والذم المباشر للبربر لكون الذي أخطأ في الأية القرآنية الكريمة هو إمام حامد وليس حامد بعينه الذي لم تزودنا المصادر بذكر اسمه أو أصله؛ كما أن أخطاء القراء كثيرة في مثل هذه المواقف، ولكن المتمعن في مفرادات الرواية ولاسيما العبارات التالية " نوادر حامد، حامد حاضر، مسجد حامد".

تعتقد الدراسة أن الرواية تحمل أكثر من مغزى ومعنى ، وإن كان نص الرواية لا يحمل دلالات مباشرة – مسكوت عنها- لاعتبارات دينية واجتماعية تميز بها العصر الوسيط من جهة وللموقع الذي يحتله حامد الزجالي في مراتب السلم الاجتماعي من جهة. إلا أن الاستيعاب الموضوعي للحدث التاريخي والبحث عن الفعل الرئيسي الذي حرك هذه النادرة التي أدت الاحتفاظ بها من قبل ابن حيان في

1- ابن حيان، تحقيق المكي، س2، ص 138.
2- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق المكي، ص 33, 34.
3- نفسه، ص 33.
*- وردت الآية الكريمة في سورة النور الأية رقم 02.
4- ابن حيان ، تحقيق المكي، ص 37.

نوادر حامد الزجالي لا نجد إلا تفسيرا منطقيا تقبله ذهنية الكتابات الوسيطية آنذاك وهو أن البربر كثيروا الاستهتار بالدين الإسلامي وتبديل حدود ا وبالتالي سجلت إضافة في مثالب الزجالين[1]. ومن الأدلة التي تنهض حجة على ما ذهبت إليه الدراسة هي السلوكيات الدينية التي كانت ممارسة في المجتمع البربري في بلاد المغرب و ظلت عالقة في أذهان الأقلام الأندلسية حيث يشير ابن حزم بقوله "أن في بلاد البربر التي تجاوز أندلسنا، يتعهد الفاسق على أنه إذا قضى وطره ممن أراد أن يتوب إلى ا ، فلا يمنع من ذلك وينكرون على من تعرض له بكلمة و يقولون له: أتحرم رجلاً مسلما التوبة[2]."

وما هذه الإشارات المختلفة إلاّ عينة لوضعية البربر الذين استقروا في قرطبة وحاولوا أن يخترقوا البنية الإجتماعية ضمن الطبقة الأرستقراطية عن طريق تحقيق حدة الحواجز العرقية أو الطائفية بين الجنسين الذي كان يستشفه المرء لاعتبارات تاريخية وعنصرية الذي طبع ذهنية الجنسين لأن كل طرف يأنف عن بعضه البعض وهذا للمجانبة الطبيعية.

وبالتالي تحقيق المناصب الرفيعة عن طريق الولاء حقق وخفف من الحواجز العرقية وذلك أن الإنسان البربري مهما اعتلى من مراتب إلاّ أنّه يبقى وضيع النسب بالنسبة للعربي صليبة، ممّا سيستشعر البربري في نفسه من إحساس بالدونية والضآلة بحكم المغلوبية الحضارية التي هو فيها، وبحكم الأنفة وعزة النفس التي تستحوذ على طباعه، حتى أنهم " كما يقال ينقشون على الرخام أقل إهانة تلحقهم ولا

1- حيث أنشد أحمد بن محمد بن فرج البلوي المعروف بالبلساري يهجو حامد ابن محمد و يكثر بخله في اتخاذه لصنيع عنده قتر فيه على من شهده، وناقص مروءته، من أبيات فيها [من الكامل]:

فَعلَ اللئيم و ليته لم يفعل وأتى بفعل مثله لم يجمل
ذَبح الضفادع في الصنيع ولم يدع للنمل جارحة وللقُمل
وضع الطعام فلو علته ذُبابة وضقعت لتكمل شبعة لم تُكمل

أرسل هذا الشاعر آفة على أهل هذا البيت لأمر أودي به من بعضهم، فعمم بهجائه و أفحش لهم ومن قوله في شعر له فيهم[الطويل]: هم علموني اللؤم حتى كأنني لغير أبي أَو مغْرِق في الزجاجلة/ ابن حيان، ص 37-38.

2- ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تحقيق: سعيد محمود عقيل، دار الجيل، بيروت، د.ت، ص 168.

يسمحون لها بالخروج من قلوبهم أبدا"[1] ولعل التصرف الذي صدر من يحي بن يحي الليثي أبلغ دليل فيروى انه لم اتهم بالاجلاب بالهيج بقرطبة فلما طاله العفو فكان أولّ عمل قام به بمجرد انصرافه إلى قرطبة أنه "باع جميع عبده واستبدل بهم، فقيل له في ذلك، فقال: نكره أن يصحبنا عن من عرف ما دار علينا من الهرب والذل"[2] ولعل طرح السؤال التالي كفيل بالإجابة عن عدة رواسب فكرية تبقى عالقة في الذهن:

ففي ظل المعايير التي ذكرت أنفا، فما هي مبررات الافتراق بين بربر بلاد الأندلس وبربر بلاد المغرب أو بطريقة أدق بين بربري مولى -الذي تحصل على جاه السلطة، جاه المال، جاه العلم وحاول أن يخترق البنية الاجتماعية نتيجة الحراك الاجتماعي المفتوحة من بابها الواسع، وبين بربري صليبة الذي حافظ على مقوماته وخصوصياته والتي للأسف لم تؤرخ له المصادر إلا نادرا وإن حظي فتؤرخ له بعين الاحتقار- وقد كان ينظر لهما على أنهما شخص واحد.

ج- مرحلة حكم ملوك الطوائف

أحدث عهد ملوك الطوائف شرخا كبيرا في المجتمع الأندلسي على مستوى السياسي والاجتماعي والاقتصادي. وقد ظهرت عدة دراسات عالجت المسألة بمنظور ورؤية إثنية[3] وبالتالي فقد سهل على الكثير الاستدلال بها، على أن البربر لم يندمجوا في المجتمع الأندلسي، إلا أنه يجب أن ينظر في المسألة بحذر شديد لظهور دراسات جديدة مغايرة، سواء على مستوى الطرح والمنهاج والمعالجة.

ففي هذه المرحلة التاريخية بالذات يتردد الباحث كثيرا في قبول أو رفض أي استنتاج، خصوصا أن دعاة الفكر الجديد يسعى إلى تغيير الطرح التقليدي بقوله: "

1- الحسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ج1، ص87.
2- القاضي عياض، ترتيب المدارك، المصدر السابق، ص 316.
3- من بواكير المؤرخين الذين كتبوا في الموضوع لدينا: محمد عبد ا عنان ، دول الطوائف منذ تأسيسها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988/ دوزي رينهارت، ملوك الطوائف و نظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة كامل كيلاني، مطبعة البابى الحلمي و شركاه، ط1، القاهرة، 1351هـ-1933.

نظرا لتطورات جديدة في المجتمع الأندلسي، لم يعد المنهاج الإثني صالحا لتفسير عهد الطوائف كما يحتمل عامة"[1].

ولإدراكنا لأهمية الطرحين في دراسة المجتمع الأندلسي ارتأينا أن نخوض في المسألة لعل وعسى أن تستجمع الفكرة المعالجة في هذا الفصل أهميتها في بعديها المنهجي والمعرفي خلال هذه الفترة. ولهذا سنحاول أن نركز على الطرح الثاني لأنه ينتقد الطرح الأول.

رغم الاجتهادات التي قدمها الباحث امحمد بن عبود وإن كان تجاوز وتغافل العديد من الأدلة التي تدل على التطاحنات والصراعات العرقية بين ملوك الطوائف، لكون أن الباحث انشغل أكثر باستخراج الحجج والأدلة التي تنفي وتلغي أن الصراعات بين ملوك الطوائف كانت عرقيا، لكون أن الطبقة الخاصة لم تتكون عموما من مجموعة عرقية دون غيرها لأن أساس وحدتها لم يقتصر على نوعية الأصل القبلي، بل كانت الخاصة تجتمع على مقياس المصلحة المشتركة[2]، رغم ما لهذا القول من أهمية إلا أنه يخدم نقطة واحدة وهي فكرة شبه تغييب العصبية على مستوى طبيعة السلطة الحاكمة، ولعل هذا الأسلوب ليس بجديد على الأندلسيين فقد سبق وأشرنا إلى انفتاح الدولة الأموية على عناصرها السكانية المختلفة التي تقع خارج عصبة السلطان لوعيها أن العصبية العرقية و التقليدية لم تعد مؤهلة بمفردها للحفاظ على نظام الدولة من خلال كيانها وتماسكها "وذلك أن قوة الجماعات في المجتمع المدني ليست بأعدادها، وإنما بكفاءة ووعي أعضائها"[3]

ولكن هذا الوعي لم يرق أبدا إلى درجة التخلص من التعصب العرقي ولعل العبارة التي احتفظ لنا بها ابن بسام في ذخيرته أبلغ دليل على ذلك على لسان محمد بن عبد ا بن الأفطس لما وقع أسيرا في يد محمد بن عبد ا البرزالي حليف بن

1- امحمد بن عبود، جوانب من الواقع الأندلسي، المرجع السابق، ص07
2- نفسه،
3- عبد القادر محمد جاد الرب، الوضع السياسي و الإجتماعي لغرناطة في القرن الخامس الهجري، إشراف عبد الهادي التازي، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراة الدولة في التاريخ الوسيط، الرباط، 1996-1997، ج2، ص536.

عباد، وذلك لما أقدم هذا الأخير على إطلاق سراح محمد بن عبد ا بن الأفطس سنة 421هـ/1030م عرض عليه أن يمر بإشبيلية ليقدم الشكر لابن عباد، فرد ابن الأفطس* بقوله:"مقامي في أسرك أشرف عندي من تحمل منته على، فإما انفردت باليد عندي وإلا أبقيتني على حالي"[1]. إن الشعور بقيمة الانتماء الإثني والتعصب القبلي هي التي أبدت موقفا واضحا في تفضيل محمد بن عبد ا بن الأفطس البقاء أسيرا في يد محمد بن عبد ا البرزالي لكونه بربريا مثله على يمر على القاضي محمد بن عباد ليقدم له الشكر على اطلاق سراحه، رغم أن بني الأفطس يعدون من منتحلي النسب العربي التجيبي، فقد ورد عند ابن حيان بقوله: "ومن النادر الغريب انتماؤه في تجيب"[2] .

ولعل الأصل البربري لبني الأفطس كان ذو تأثير كبير في منحاهم السياسي في بلاد الأندلس على حسب قول بيار قيشار وأراء الدارسين[3]

وبالعودة إلى تحليل لباحث ابن عبود الذي يستمر في فحص المسألة من زاوية أخرى مؤكدا بذلك هشاشة الرؤية المبنية على العرقية في معالجة علاقات ملوك الطوائف، وذلك أن صراعات هؤلاء لم تنحصر في أصول إثنية مختلفة وإنما طالت صراعات ملوك الطوائف من أصول إثنية مماثلة وعلاقات سلمية بين آخرين من أصول إثنية متناقضة[4]. ولتدليل على صحة تصوره اعتمد على عدة أمثلة مأخوذة من الواقع التاريخي للأندلس في هذه المرحلة التاريخية، كمساندة القاضي ابن عباد العربي الأصل حاكم قرمونة البربري محمد البرزالي عندما أطاح ببربري

---

* هو محمد بن عبد ا بن محمد بن مسلمة المعروف بابن الأفطس أصله من فحص الباوط ولي عهد أبيه واستولى على ما كان بيده فاستقامت أموروه وكان شاعرا أديبا وعالما وله تأليف المظفري/ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 235، 236.

1- يرجع بنو الأفطس إلى قبيلة مكناسة البربرية / ابن بسام ، نفس المصدر، مج2، ص 379.

2- ابن بسام، الذخيرة في محاسن الجزيرة، مج2، ص 379.

3- Structures Sociales Orientales et Occidentales. P318.
شريفة محمد عمر دحماني، العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية والبربريةفي جنوب الأندلس في عصر ملوك الطوائف ، مؤسسة شباب الجامعة ، إسكندرية، 2006، ص 160.

4- ابن عبود، جوانب من الواقع الأندلسي، ص 46.

آخر هو يحي بن حمود بحكمه سنة 427هـ- 1035م[1]، ومن الصراعات القائمة بين أصحاب الإثنية الواحدة هو الصراع العربي- العربي لدى ملوك الطوائف يتضح جليا في احتلال المعتمد بن عباد لقرطبة التي حكمها بنو جهور إلى استيلاء بني عباد عليها سنة 463هـ/1070م[2]، وكذلك الصراع البربري- البربري الذي يتمثل في الإصطدام الواقع بين عبد ا بن بلقين(463–483هـ) و أخيه تميم حاكم مالقة و استمر خلافهما حتى بعد وقوع معركة الزلاقة سنة 479هـ/1086م، عندما اشتكى كل منهما الآخر ليوسف بن تاشفين (453–500)[3] لكن هذه الصراعات في أبناء الجنس الواحد أو تحالفات من إثنيات مختلفة لا تثبت بالضرورة غياب العصبية وإن كنا لا ننكر أن المصلحة المشتركة كانت المحركة للعلاقات الساسية والإقتصادية بين ملوك الطوائف و ذلك أن النزعة الطائفية* كانت أكثر إنفتاحا على النظام القبلي الذي كان من أهم شروطه الإحساس بالعصبية؛ وذلك أن نظام القبيلة كان يمارس سلطته داخل إطاره الإثني في حين أن النزعة الطائفية مارست سلطتها على عدة مستويات لإنفتاحها على عدة عناصر، وبالتالي لا تستجيب كلية " للنظرية الخلدونية "[4].

فمن المعقول جدا أن نجد تحالفات من إثنيات مختلفة أو صراعات في أبناء الإثنية الواحدة بما أن الهدف كان واضحا أنذاك وهو سياسة الإحتواء أو التوسع.

ولعل ابن عباد المعتضد (433 -461هـ) كان أكثر وضوحا في تفسيير هذه النزعة التوسعية في تعامله مع أمراء البربر عندما" صدم شرهم بشرهم و ضرب زيدهم

1- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 199/ ابن عبود، نفس المرجع، ص 46.
2- نفسه، ص 47
3- نفسه، ص46-47
*- النزعة الطائفية : هي اجتذاب المجتمع السياسي، بما هو أشخاص و فرق و طوائف دينية و إثنية ...، لها صلة بالسلطة و ممارستها، نحو حالة سياسية تتعطل فيها الأسس الأولى للإجتماع الساسي، التي تبلورت مع التشكل الأولي للجماعة ، أو بعبارة أكثر بساطة هي الرغبة في التحكم و التسلط و الإستبداد، دون موجب شرعي أو مشروع مجتمعي/ امحمد جبرون، الفكر السياسي في المغرب و الأندلس في القرن الخامس الهجري في تشكل الهوية السياسية في المغرب و تكريس الفتنة في الأندلس، دار أبي رقراق للطباعة و النشر ، الرباط، ط1، 2008، ص191.
4- امحمد بن جبرون، المرجع السابق، ص192.

بعمرهم، وكان عندما تعسرت نار الحرب، بينه و بين رؤساء الغرب، هادنهم على دخن، ومنح لهم حتى ضربوا حوله بعطن، ليقتلهم بسيوفهم، و يستد رجهم إلى حتوفهم"[1]

وعليه فطبيعة التحالفات التي كانت تربط بين مختلف الإثنيات ولاسيما بين البربر والعرب لم تطبعها أبدا دلالات الاندماج والانصهار أو حتى التعايش السلمي بقدر ما كانت تتسم هذه العلاقات بالتنافر والتناحر والإحساس بالعصبية الطبيعية التي كان لها دور كبير في تقرير العلاقات السياسية بين هؤلاء. ولعل سقوط إمارة بني يفرن في يد المعتضد بن عباد التي كان لها وقع كبير في نفسية القبائل البربرية والأمير الزيري باديس بن حبوس(429-467هـ) بشكل خاص لما حدث لبني جلدته من تآمر وتنكيل على يد العباديين بإشبيلية حتى أقسم بأن يقوم بإبادة الجالية الغرناطية العربية[2]، وتجلت نزعته العصبية البربرية المفرطة بوضوح من خلال إشارة ابن الخطيب لما قال:" ... أيام حدث على أبى نصر[*] صاحب تاكرنا ما حدث وأن أميرها باديس بن حبوس قام للحادثة وقعد وهاج من داء عصبيته ما قد سكن وشق أثوابه ...وأوهمته نفسه الخبيثة تمالؤ رعيته من أهل الأندلس على الذي دهى أبا نصر"[3].

فإذا أخذنا مسألة الطوائف على المستوى السياسي والتي تعني التجزئة السياسية ولعلها قد تكون جلية بما يكفي من الناحية التاريخية، فكان من أبرز نتائجها تعطيل نظام الوحدة والجماعة. والتي لم تكن في حقيقية الأمر مواقف واختيارات سياسية فحسب، بل هي أيضا "تمايزات اجتماعية وفئوية"، على حد قول أحد الباحثين

1- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص214.

2- عمر بوخاري، الإمارات البربرية الصغرى في جنوب الأندلس على عهد ملوك الطوائف، مذكرة ماجستير مرقونة، جامعة وهران، 2009، ص111.

* – هو أبو نصر فتوح بن أبي نور هلال بن أبي قرة بن دوناس اليفرني بويع له بعد وفاة أبيه سنة 499هـ على بلاد رية وخطب له على منابر مالقة وسائر كور تاكرنا حكم من سنة 449–457هـ / ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص313.

3- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص 241.

لها حضورها الاجتماعي[1]، لابد من أخذها بعين الاعتبار أثناء القراءة والتحليل، وذلك أن التجزئة السياسية ليست مجرد عرض مفتعل قامت به جماعة من القواد والعسكريين أو السياسيين بقدر ما كان للمجتمع بجميع عناصره: من عامة وعلماء ونخبة وفقهاء في تكريس هذا الانقسام.

فإذا لم تكن للعصبية والانتماء العرقي أساس تقسيم الأندلس، فلماذا إذا تأخر توحيدها لفترة تناهز قرن من الزمن، أو بالأحرى لماذا لم يوحد الأندلسيون أنفسهم بأنفسهم؟ صحيح أيضا أن يوسف بن تاشفين لما قام بإستلاء على دول الطوائف استولى عليها دون تمييز لها فيما يخص أصولهم العرقية، إذ تم القضاء على بعض ملوك الطوائف البربر قبل الطوائف الأخرى من العرب والصقالبة[2].

ولكن ما موقف العامة من هذا التقسيم ولماذا لم تنتفض وتثور أو تبذل أي جهد في سبيل تحقيق الوحدة الأندلسية؟ ولماذا تأخر هدفها نحو فكرة الوحدة الأندلسية إلا بدخول المرابطين؟ لم تكن الدراسة لتثير هذه الأسئلة إختيارا أو اعتباطا بقدر ما كان لهذه الأسئلة ضرورة مشروعة للإجابة عن خلفية وحقيقة تندرج في صميم القرن الخامس الهجري وهو عجز المجتمع الأندلسي بسبب تكونه من إثنيات متباينة (عرب، بربر، صقالبة ...) عن إيجاد صيغة إجتماعية للإندماج والإنصهار، وكأن التجزئة السياسية كانت غايته وهدفه المنشود بما أن كل مجموعة إثنية تعيش تحت حكم وكيان مستقل بها. فسكان مالقة نظرا لكرهم للعصبية البربرية الحاكمة لهم دفعهم للتطلع نحو سيادة حكام من جنسهم والتشيع لهم حيث ورد عند إبن عذاري بقوله:"كان أهل مالقة إذا جرى ذكر عباد المعتضد ُأرتجوا إليه، ورفضوا أفواههم بالثناء عليه، هذا على ما كانت أعينهم تقذى من قبح آثاره، ويصك سمعهم من هول أخباره، ويلفح وجوههم من شرر ناره، تشيعا لم يكن له أصل إلا شؤم الحمية، ولؤم

1- امحمد جبرون، المرجع السابق، ص191

2- فطبيعة الأشخاص الذين تحملوا مسؤولية الإنفصال في معظم الحالات، أغلبهم قادة عسكريون أو لهم صلة قوية بالميدان العسكري، فسليمان ابن هود مثلا كان من كبار الجند في لاردة، ونفس الشيئ يصدق على منذر بن يحي التجيبي في سرقسطة وبنو رزين وبنو برزال و بنو يفرن.../ ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص 221، 175، 181، 268، 270.

العصبية غرة من باديس أميرهم"[1]، وينسحب القول نفسه على العصبيات الأخرى فابن بسام يحتفظ لنا عن ابن حيان خبرا يتجلى فيه أحد وجوه الصراع العرقي وأثاره في بلدة باجة بقوله: "وكانت أفاتها من اختلاف أهلها قديما، وبقاء شؤم العصبية بين العرب منهم والمولدين إلى آخر الأيام".[2]

فبناء على هذه النصوص نجد أن العامة من المجتمع الأندلسي كانت تتحد وتلتحم مجموعاتها العرقية فيما بينها ضد الأخرى، لكنها لم تتضافر فيما بينها أو تتعاضد لمواجهة خطر الفرقة والخلاف الناشئ في أندلسهم، أو حتى مواجهة خطر النصارى ولعل حادثة بطرنة* سنة 455هـ و تليها وقعة بربشتر* سنة 456هـ أبلغ دليل لوصف مدى خذلان المجتمع الأندلسي لهويته وكيانه وبالتالي لانتمائه لبلاد الأندلس بغض النظر عن عروقه وأصوله التي ينحدر منها، ابن عذاري يحتفظ لنا بقول على لسان ابن حيان الذي يبدو كان أكثر وعيا في استيعاب ذهنية مجتمعه المتخاذلة لما قال: "ولم تزل آفة الناس منذ خلقوا في صنفين منهم كالملح فيهم الأمراء والفقهاء فلما تتنافر أشكالهم بصلاحهم يصلحون وبفسادهم يردون فقد خص ا سبحانه هذا القرن الذي نحن فيه اعوجاج هذين الصنفين لدينا... فالأمراء القاسطون قد نكبوا بهم عن نهج الطريق ذيادا عن الجماعة وجريا إلى الفرقة، والفقهاء أئمتهم صموت عنهم صدف عما أكده ا عليهم من التبيين لهم قد أصبحوا بين آكل من حلوائهم وخابط في أهوائهم وبين مستشعر مخافتهم أخذ بالتقية في صدقهم... فدهرنا هذا قد غربل أهليه أشد غربلة وسفسف أخلاقهم، وخبث أعراقهم..."[3].

كما أن صور عدم الاندماج والانصهار المجتمع الأندلسي في كتلة واحدة لم تظهر فقط على مستوى التناحر العرقي والتخاذل في مواجهة النصارى، وإنما عبرت هذه

1- عن سقوط ملوك الطوائف يراجع الروايات التي وردت في التبيان، المصدر السابق، ص 160 حتى170
2- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 254
*- بطرنة: قرية بالقرب من بلنسية، إبن بسام، المصدر السابق، ج3، ص 557.
*- بربشتر: هي من أمهات مدن الثغر الفاتية في الحصانة و الامتناع/ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 253.
3- المصدر نفسه، ج3، 254-255.

الظاهرة عن نفسها في أشكال مختلفة ومتطورة، ولعل أخطرها وأشدها وطأة الاستخفاف بالنسب القرشي علنا ولاسيما من طرف البربر سواء كانوا بلديين أو طارئين حيث ورد على لسان إسماعيل ابن ذي النون في شأن إمارة بني أمية بقوله:

"وا لو نازعني سلطاني هذا الصديق لقاتلته ولما سلمت له، فكيف أسلم سلطاني لما يدعي إليه من بني أمية ممن لا يوجب ا طاعتهم، عترة مروان خيط باطل الذين لم يسبق لهم صحبة، ولا أدخلهم السلف في شورى الإمامة... توارثوا هذه الإمارة مخْرقة وضعها قريش لاستعمال الناس، والناس لأب وأم، والفخار باطل، أحقهم بالملك من استقلّ به"[1].

وكأن إسماعيل بن ذي النون بهذا القول يعطل ويبطل كل القواعد السياسية التي نشأت عليها الأندلس ويؤسس لقانون التجزئة والفرقة السياسية والاجتماعية، والرغبة المفرطة في الاستبداد والاستقلال بالحكم ولعلها هي نزعة متجذرة في طباع البربر منذ دخولهم إلى بلاد الأندلس سنة 92هـ/710م، وإشارة المقري في هذا واضحة الدلالة عندما قال: "أراد سليمان بعد تعذيب موسى صرف سلطان الأندلس لطارق، فاستشار مغيث الرومي في شأنه، فقال عنه: لو أمر أهلها بالصلاة إلى أي قبلة شاءها لتبعوه ولم يروا أنهم كفروا"[2].

وعليه ليس من الحقيقة الموضوعية إنكار دور المتغيرات الإثنية من عصبية عربية ومن قبلية بربرية ومن قوميات محلية في تأسيس السلطة السياسية في الأندلس عبر المراحل التاريخية المختلفة، فإن مسألة الوحدة السياسية والسلطة المركزية لم تكن بالضرورة مشروطة بانصهار واندماج كل العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي، بل أن فترة ملوك الطوائف قد احتفظت بنفس المتغيرات الإثنية

1- ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص90./ وينسحب الأمر نفسه على محمد ابن عبد ا البرزالي لما اتهمه ابن حيان بانتحال مذهب الخوارج حيث قال عنه:" وكان ابن عبد ا بقرمونة، قطب رحى الفتنة،... لأنه كان لا يوافقهم على دعوة أموي لفرط شروده عن الجماعة، وإنما كان مذهبه طمس رسم الخلافة من معانيها بقرطبة،... وطرد قريش من سلطانها، إبطالا للإمامة ورسوخا في الخارجية ودفعا لأمر ا "/ يبدو أن ابن حيان في موقفه من البرزلي كان أندلسيا، ولم يكن مؤرخا موضوعيا، لأنه إذا سلمنا بهذا الإتهام جاز أن ننسب كل أمراء الطوائف إلى المذهب الخارجي، فكلهم وبدون استثناء تسببوا وتورطوا في فتنة القرن الخامس الهجري / ابن بسام، نفسه

2- نفح الطيب، المصدر السابق، ج4، ص12.

وعليه فلا يمكن تغييب العصبية في المجتمع الأندلسي ولاسيما أن أساس بنيته الاجتماعية قائمة على المتغير الإثني، مهما كانت الحالة السياسية.

الفصل الثاني

مظاهر من الواقع الاجتماعي للبربر ومدى تأثيره في بلاد الأندلس

1- الواقع الاجتماعي للبربر في بلاد الأندلس
   أ- مكانة الخاصة
   ب- مكانة العامة

2- النشاطات المهنية للبربر

3- مظاهر الحياة الاجتماعية للبربر
   أ- التنظيم القبلي
   ب- المرأة
   ج- أنواع الطعام واللباس
4- البربر والخصوصية الثقافية
   أ- اللسان البربري في الثقافة الأندلسية
   ب- التأثير المذهبي في الخصوصية الاجتماعية للبربر

1-الواقع الاجتماعي للبربر في بلاد الأندلس:

إن تتبع مظاهر الواقع الاجتماعي للبربر في بلاد الأندلس، يعد من معضلات الكتابة التاريخية الوسيطية، التي تعترض سبيل كل متصد لها. وهذا لعدة عوامل تتحكم في مصيرها. فإذا كانت طبيعة الكتابة الوسيطية أنذاك تتسم بكثير من السلبية نظرا لتركيزها على الأحداث السياسية على حساب مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية إلا ما جاء عرضا، والانتماء الإيديولوجي لبعض المؤرخين وتأثير السلطة من خلال تبنيها سياسة الردع والتعسف في كل ما هو بربري أو تقليد له حيث أشار ابن حيان أن الحكم المستنصر "أشد ذيادا لغلمانه وأحشامه، وأجناده عن التشبه بالبرابرة، والتشكل بشكلهم والاستعمال لشيء من زيهم"[1].

إن ظهور مثل هذه التصرفات في ثنايا المصادر له تأثير مباشر في أن تجعل المؤرخ يأنف ويترفع عن الكتابة التاريخية عن تلك الشريحة المكونة للنسيج الاجتماعي الأندلسي وتبيان وضعيتها الاجتماعية ولعل هناك عامل آخر لا يقل أهمية عن سابقيه وهو أن العنصر العربي قد غطى على جميع العناصر بما فيه البربر بلغته ودينه وتقاليده وثقافته وذلك" أن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه وحلته وسائر أحواله وعوائده"[2]

وبالتالي فإن طبيعة المعلومات المقدمة في هذا الفصل ستكون شحيحة لأبعد الحدود ولن تستطيع الدراسة أن تذهب فيها أبعد من المجال المسموح به.

فما هي ملامح الحياة الإجتماعية للبربر في بلاد الأندلس وما مدى فعاليتها وتأثيرها في الجانب الحضاري في بلاد الأندلس؟ وما هي المكانة الإجتماعية التي احتلها هؤلاء في بلاد الاندلس؟، وإلى أي مدى حافظ البربر على حياتهم وثقافتهم الإجتماعية؟

وما مدى تعرب لسانهم في بلاد الأندلس وما مدى محافظتهم على لسانهم البربري؟

وما هو سبب نجاح المذهب المالكي في بلاد الأندلس على المستوى الإجتماعي؟

1- ابن حيان، المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ص190.

2- مقدمة ابن خلدون، ص 149

أ- مكانة الخاصة

رغم سياسة الاحتكار والاضطهاد التي كان العرب يمارسونها على بقية الأجناس المكونة للمجتمع الأندلسي إلا أن فئة قليلة من البربر تمكنت من أن تحقق لها مكانة اجتماعية مرموقة في بلاد الأندلس، وقبل أن نكشف عن تلك المكانة التي احتلها هؤلاء في المجتمع الأندلسي علينا أن نوضح أن العنصر البربري في بلاد الأندلس كان بدوره يتكون من شرائح متعددة، إذ وردت عدة إشارات تبين ذلك. فقد ذكر ابن خلدون في قوله "ونهض- أي موسى بن نصير- من القيروان سنة ثلاث وتسعين في عسكر ضخم من وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر"[1]، العبارة نفسها وردت عند صاحب المعجب[2]، وفي السياق نفسه ورد عند صاحب فتح الأندلس قوله "دخل موسى الأندلس ومعه ثمانية عشر ألفا من قريش والعرب ووجوه الناس"[3]. وإذا صح التخمين القائل بأن وجوه الناس تقابل عرفاء البربر المذكورة في كتابي المعجب العبر[4]، فهي إشارة مهمة تؤكد على وجود تراتبية اجتماعية لدى البربر في بلاد الأندلس التي تتكون من شرائح اجتماعية متعددة فيها الأعيان وغيرهم، ما فتئ دورها يكبر وتأثيرها يتقوى داخل خريطة المجتمع الأندلسي.

ففي الوقت الذي لعبت فيه الأرض دورا كبيرا في توجيه الأحداث السياسية أثناء الفترة الوسيطة[5]، فإن البربر كانوا آنذاك يشكلون طلائع الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس، فاستحوذوا على غنائم بلاد الأندلس، وبخاصة الأراضي الخصبة المتواجدة بها، فالأرض في هذه البلاد كانت بيد الفاتحين الأوائل الذين يطلق عليهم تسمية البلديين ويؤكد ذلك ابن الخطيب بقوله: "فالداخلون مع موسى وطارق يسمون بالأندلس في الرسوم والخطوط والإقطاعات بالبلديين، والداخلون مع بلج بن بشر

1- تاريخ ابن خلدون، المصدر السابق، ص975.

2- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص22.

3- مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص 24.

4- بوباية عبد القادر، المرجع السابق، ص19.

5- تناول الباحث القادري، بوتشيش فصلا مهما عن وضعية الأرض في بلاد الأندلس ليتوصل ا إلى نتيجة مهمة وهي أن أرض الأندلس لم تخمس وفق الشريعة الإسلامية، وإنما خضعت لمبدأ القوة والغلبة، / أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس، المرجع السابق، ص69-97.

يسمون بالشاميين"[1]، لكن عقب الهزيمة التي تعرض لها البربر عند قيام ثورتهم بالأندلس سنة 123هـ/ 740م، استولى العرب الشاميون على ممتلكات الفاتحين الأوائل وأخرجوا أكثر العرب والبربر المعروفين بالبلديين عما كان بأيديهم[2]، كما فقد البربر أراضيهم نتيجة الغصب والتزوير والمصادرة بالقوة إذ تزودنا المصادر التاريخية بما قام به يوسف الفهري والصميل باستيلائهما بالقوة على أملاك وأراضي البربر الذين هاجروا إلى المغرب إبان المجاعة الكبرى التي حدثت سنة 133هـ وبقيت في ملكيتهما بدون عقد شرعي يثبت ذلك[3]. ولكي لا يتوقف الأمراء وهم يتربعون سدة الحكم عن زيادة ثرواتهم وتوسيع ممتلكاتهم مستعملين في ذلك جميع السبل الممكنة، ومنها سياسة شراء الأراضي كسهلة بني رزين* الواقعة ما بين الثغر الأقصى والأدنى من قرطبة والتي وصفت بأنها "وليس في بلد الثغر أخصب من سهلته المنسوبة إلى بني رزين سلفه في اتصال عمارتها"[4]، ويحتفظ لنا ابن حيان نقلاً عن الرازي برواية مفادها أنه "انتقلت الرصافة عن ورثتها، فاشتراها الأمير الداخل عبد الرحمن بن معاوية"[5].

لكن رغم ذلك فقد استطاعت فئة قليلة من البربر أن تحافظ على ممتلكاتها وتصبح لها قوة اجتماعية وسياسية فاعلة، حظيت باهتمام من خلال ذكر أخبارها، ومن أبرز الأمثلة على ذلك بيت آل أبي عيسى الذين كانوا من أغنى البيوتات البربرية الموجودة في الأندلس، ويؤكد ذلك ابن حزم بقوله: "وبني يحي بن كثير

1- لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1980، ص26.

2- إبن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص31/ مجهول، فتح الأندلس، ص53/ ابن حزم الأندلسي، الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى، تحقيق إحسان عباس، مكتبة دار العروبة، القاهرة، 1960، ص176./ أخبار مجموعة، ص 47-48.

3- القادري بوتشيش، أثر الإقطاع، م.س، ص80-81.

*- هو رزين البرنسي أحد أكابر رجال البربر الداخلين إلى الأندلس في جيش طارق، وكان له تقدم في الجيش، وإليه ينسب البلاط الذي بها والزيتون الذي بإزائها، فكان المختط للرصافة ، ولرزين هذا أثار كثيرة بقرطبة وغيرها، ومنها المسجد المنسوب إليه بالربض الغربي، وينسب إليه أيضا الجنان التي تجاور عين قُبش بذلك الربض/ ابن حيان، تحقيق علي مكي، ص234.

4- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص181-182./ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص108.

5- ابن حيان، تحقيق مكي، ص234.

صاحب مالك وكانت لهم ثروة وعدد"[1]، وينسحب القول نفسه على بني فرفرين ولاة مدلين، وبنو عبد الوهاب من ولد ميمون بن أبي جميل ابن أخت طارق بن زياد بقوله "وكانت لهم ثروة وعدد"[2].

كما اشتهر بيت بني الزجالي بثروتها العقارية، فقد نسب إليها حير الزجالي الذي عد من أجمل المتنزهات، وأبدعها في قرطبة[3]، وبني وانسوس الذين عرفوا بكثرة ضياعهم في ماردة[4].

ومن البربر الطارئين الذين عرفوا بثرائهم الفاحش، في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجريين بنو زيري الصنهاجيون المتمثلون في زاوي بن زيري بن مناد زعيم صنهاجة الذي كان يملك "أعلاقا نفيسة وذخائر عظيمة القدر فباعها وأنفقها على قومه صنهاجة"[5]، إن هذا النص دليل قاطع على الثروة الكبيرة التي انتقل بها زاوي بن زيري إلى بلاد الأندلس مما أغنت قومه صنهاجة عن خدمات الدولة العامرية[6]، ويؤكد الأمير بلقين ثراء بني قومه بقوله "وهم من سعة نعمة وبعد الهمم واستصغار الرغائب"[7].

كما استفاد أمراء الثغور من كيانات أسجلت لهم، ويحتفظ لنا المؤرخون بالعديد من الكيانات الإقطاعية الخاصة بالبربر، ولعل العذري كان صريح العبارة عن عبد الكريم بن إلياس البربري الذي أقطع له بمنطقة شذونة بقوله: "كان من أهل الوجاهة، وأنه عندما توفي سجل الأمير عبد ا   بن محمد لابنه على المنطقة التي كان يحكمها

1- جمهرة أنساب العرب، ص500.
2- نفسه، ص500.
3- القادري بوتشيش، أثر الإقطاع، المرجع السابق، ص94/ عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص245.
4- ابن حيان، المصدر السابق، السفر 2، ،ص129.
5- أبو بكر بن العربي، ترتيب الرحلة للترغيب في الملة، مخطوط رقم ك 1275، الخزانة العامة، الرباط، ورقة 154 نقلا عن عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص245.
6- مناسبة هذا النص أن عبد الملك بن محمد بن أبي قلد زاوي بن مناد الوزارة ولكن هذا الأخير رفضها لما قال "إن خطتنا الإمارة لا الوزارة"، فبلغ ذلك المظفر، فحقدها له وقطع عنه الجراية/ نفسه، الورقة154 نقلا عن المرجع نفسه، ص 245.
7- الأمير عبد ا   بن بلقين، كتاب التبيان، تحقيق أمين توفيق الطيبي، منشورات عكاظ، الرباط، 1995، ص61.

أبوه"[1]. ونفس الأمر نجده يتكرر في عهد الحكم المستنصر سنة 361هـ/955م إذ في "هذا التاريخ توصل إلى أمير المؤمنين يحي بن هذيل بن رزين وبنو أخيه المتوفى، وكانوا أربعة... وقسم بينهم عمل والدهم مروان أقساما، سجل لكل واحد منهم على قسطه منها عن تراض منهم واتفاق بمحضر الوزراء في بيتهم وذلك في عقب جمادى الأولى منها"[2]، كما سجل الخليفة المستنصر في نفس السنة أيضا "للخمسة من ولد عمريل بن تمليت المغربي المتوفى" عبد الرحمن وحكم ومضا وغالب وزروال على عمل أبيهم عمريل، مسها فيه بينهم على رضى منهم وتسليم بين يدي الوزارء"[3].

فما يمكن ملاحظته أن فئة البربر القاطنة في الأطراف والثغور نجدها تتميز بدرجة هائلة من المرونة والتكيف للحفاظ على ممتلكاتها ومكتسباتها، وبالتالي على واقعها الاجتماعي الممتاز؛ وذلك أن طبيعة العلاقة بين السلطة المركزية والأقاليم النائية كانت في الغالب تحكمها اعتبارات رمزية سياسية وأخرى اقتصادية محظة من قبيل إعلان الولاء للحكم المركزي، والدعاء له في خطبة الجمعة وجمع الضرائب وإرسالها إلى العاصمة والمشاركة، في الغزوات التي يجردها الخليفة ضد أعدائه سواء تعلق الأمر بالنصارى أو المسلمين المنتزين على حكام قرطبة[4].

ولكن من الناحية الأمنية العسكرية فهي شبه مستقلة عن المركز بدليل أنه بمجرد إنحلال الخلافة الأموية سرعان ما تطورت الأمور تجاه التجزئة والانقسام، وعليه فإن " إقطاع التسجيل" الذي تحول إلى "إقطاع تمليك"[5] الذي أقرته السلطة المركزية كان له دور كبير في تحديد وضيعيتهم الاجتماعية في بلاد الأندلس مستقبلا.

1- العذري، المصدر السابق، ص113.
2- إبن حيان، المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي حجي، ص72.
3- ابن حيان، نفس المصدر، ص73.
4- بوتشيش، أثر الإقطاع، ص 184/ عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص249.
5-من الإشارات التاريخية التي تدل على إقطاع التسجيل تحول إلى إقطاع تمليك متوارث ما احتفظ لنا به ابن حيان بقوله " ويقتصر في تقليد مدن الثغر الأعلى، الممانعة للدروب على أكابر ساكينيها ووراثها عن الأجداد والأباء، صلاة البأس ومعاودي المراس، آل تجيب وآل رزين، وأشباههم المؤمرين قديما بثغورهم، الذابين عن حريمهم وقسم بلادهم بينهم حصصا وجدد لهم ولأعقابهم بعدهم على أقسامهم منها كلّ عام سجلاتهم تضمينا وترفيها" / المقتبس، تحقيق شالميتا، ج5، ص 437.

وقد سبقت الإشارة إلى أن النسب كان له دور كبير في تحديد نوعية المركز الإجتماعي، فقد شكل العلم في بلاد الأندلس معيارا أساسيا في عملية الحراك الإجتماعي لدى فئة البربر في بلاد الأندلس فيحي بن يحي الليثي الذي قيل عنه أنه "لم يعط من أهل العلم بالأندلس منذ دخلت الإسلام من الحظوة وعظم القدر وجلالة الذكر ما أعطيه يجي بن يحي، وكان الأمير عبد الرحمن بن الحكم يبجله ولا يرجع عن قوله، ويستشيره في جميع أمره وفيمن يوليه ويعزله وإليه انتهت الرياسة بالأندلس في العلم"[1]، وأبو موسى الهواري* الذي "كان إذا دخل قرطبة من قرية بفحص مورور التي كان فيها سكنه، لم يفت أحد من مشائخ قرطبة، لا عيسى بن دينار ولا يحي بن يحي ولا سعيد بن حسان حتى يرحل عنهم"[2].

ومن مظاهر الوضعية الممتازة التي احتلها العلماء والفقهاء من الناحية المادية - فضلا عن الوظائف الإدارية والقضائية التي تصدروها[3] - هو تكفلهم المادي ببعض المحتاجين وعلى سبيل المثال لا الحصر حفيد يحي الليثي يحي بن عبد ا بن يحي يوصف بأنه " كان من سراة الناس، حسن المركب والملبس كريما، يطعم الطلبة إذا ما تم مجلس مناظرته من ثمار بستانه، فإن فضلَ شيئ دفعه إلى الغرباء يحملونه إلى منازلهم"[4]، وأبو عبد ا محمد بن سليمان بن الحناط* الذي كفوه بنو

1- القاضي عياض، ترتيب المدارك، المصدر السابق، ج1، ص 311-312.

*- هو أبو موسى عبد الرحمن بن موسى الهواري رحل في خلافة عبد الرحمن بن معاوية ولقي مالك بن أنس وابن عيينة ونظرائهما من الأئمة ثم عاد إلى الأندلس وكان حافظا للفقه/ القاضي عياض، نفسه، ج1، ص294/ جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط2، 1399هـ/1979، ج2، ص91.

2- ابن القوطية ، المصدر السابق، ص41.

3- اهتم عدد من الباحثين برصد الوظائف الإدارية والقضائية التي تقلدتها العناصر البربرية في المجتمع الأندلسي أغنت الدراسة عن تكرارها منها: عدالة مليكة، الإسهامات العلمية للبربر في الأندلس من خلال كتاب " تاريخ علماء الأندلس" لابن الفرضي، رسالة ماجستير مرقونة، جامعة وهران، 2010.ص/ حاج عبد القادر يخاف، الإسهام الفكري للبربر بالأندلس العهد العامري إلى نهاية وجود حكم المرابطين 371-539هـ/981-928م، رسالة ماجستير مرقونة، جامعة وهران، 2010.

4- القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص90.

*- هو أبو عبد ا محمد بن سليمان بن الحناط الرعيني الأعمى القرطبي كان أبوه يبيع الحنطة بقرطبة، ونشا هذا الأعمى نشأة أعانته على أن بلغ غايته من العلم الحديث والعلم القديم/ ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج1، ص75.

ذكوان* مؤونة الدهر وفرغوه للإشتغال للعلم"[1].
من خلال عرض عينة مما سبق يتضح جليا أن فئة غير مستهان بها من البربر قد تمنكت من الوصول والإرتقاء إلى قمة الهرم الإجتماعي لبلاد الأندلس برزت في مختلف الميادين سواء كانت سياسية عسكرية أو إدارية قضائية أو فكرية علمية.

ب- مكانة العامة

عند ما افتتحت بلاد الأندلس واستقر المسلمون بها، كان البربر يشكلون أغلبية القادمين الجدد، فكان من المفروض أن يتصدروا مكانة إجتماعية تليق بالدور الذي قاموا به في فتح الأندلس وتوطيد عزة الإسلام، ومنطقيا أن يغيروا من معالم هذا المجتمع، إلا أن شيئا من ذلك لم يحدث، إذ لم يكن ميزان القوة مرتكزا على العدد والكثرة .

فإذا كانت نخبة قليلة من البربر كما سبق الإشارة إلى ذلك استطاعت أن تحتل مكانة اجتماعية مرموقة في المجتمع الأندلسي، فإن قطاعا عريضا من البربر كان يعيش حياة بؤس وشقاء وضيق في المعيشة، وتفصح لنا رسالة الشقندي عن مدى الحالة المزرية التي آل إليها البربر، حين يقول: "وتين بليش وهو الذي قيل لبربري: كيف رأيته؟ قال: لا تسألني عنه وصب في حلقي بالقفة، وهو لعمر ا معذور لأنه نهمة حرمت بلاده منها"[2]. فرغم أن الدارسين يقدرون مقياس الأنفة والكبرياء التي يتميز بها البربر هي التي حالت في احتكاكهم بالوظائف لأنها تتعارض مع الأخلاقيات المطلوبة[3]، إلا أنه فيما يبدو أن شظف العيش وقساوة الحياة عند العامة من البربر أثرت وغيرت من هذا الطبع إلى حد ما، الذي عرف به البربر في

---

*- بنو ذكوان : من أشهرهم عبد ا بن هرثمة بن ذكوان الذي ولى خطة الرد وهي احدى الوظائف القضائية توفي سنة 370هـ/ 980م وابنه أحمد بن عبد ا بن ذكوان الذي عين قاضي الجماعة في عهد المنصور بن أبي عامر توفي سنة 413هـ/ 1023م إثر محنة مر بها خلال الفتنة القائمة بالأندلس وكان مولده سنة 953/342م/ ابن الفرضي، ج1، ص405/ الضبي أحمد بن يحي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م، ص160./ السيوطي، بغية الوعاة، المصدر السابق، ج2، ص65/ القاضي عياض، ج2، ص253.

1- ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج1، ص75.

2- المقري، المصدر السابق، ج6، ص 205-206.

3- بوبلية عبد القادر، المرجع السابق، ص 187./ محمد حقي، المرجع السابق، 250

المصادر التاريخية وأصبح يسعى بكل السبل لنيل مبتغاه، فقد "تقدم إلى الحاجب المنصور بن أبي عامر وانزمار بن أبي بكر البرزالي أحد المغاربة ، وقد جلس للعرض والتمييز والميدان غاص بالناس، فقال بكلام يضحك الثكلى: يا مولاي، مالى ولك؟ أسكنى فإنني في الفحص، فقال أخرجتني عنها وا نعمتك، أعطيني من الضياع ما انصب على منها من الأطعمة ما ملأ بيوتي وأخرجتني عنها، وأنا بربري مجوع حديث العهد بالبؤس.. وأقبل المنصور على من حوله من أهل الأندلس، فقال: يا أصحابنا، هكذا فلتشكر الأيادي، وتستدام النعم، لا ما أنتم عليه من الجحد اللازم والتشكي المبرح وأمر له بأفضل المنازل الخالية"[1].

2- النشاطات المهنية البربر

أما عن طبيعة الحياة والمهن الممارسة في أوساط العامة من البربر، فقد اقترنت إلى حد كبير بمناطق استقرارهم، وإن كانت مناطق استقرارهم أثارت جدلا تاريخيا في أوساط الباحثين، فمنهم من يرى أن البربر استقروا في المناطق الجبلية لأن العرب استحوذوا على أخصب وأجود الأراضي، وطردوا البربر نحو الجبال والهضاب الجافة[1]. وجاراهم في ذلك بعض المؤرخين إلا أنهم أحدثوا تعديلات لهذا الطرح، لما فسروا سكنى بعض النواحي الجبلية من قبل المجموعات البربرية كان نابعا من رغبتهم لأنه يتناسب مع ما اعتادوا عليه في ببلاد المغرب[2]، في أن العرب كانوا يفضلون دائما البسائط والمنخفضات والنواحي الدافئة والقليلة المطر في الجنوب والشرق والغرب وناحية سرقسطة، وأما البربر فكانوا في بلادهم يعيشون في بلاد جبلية عالية، فألفوا مثل هذه البلاد في الأندلس، فاستقروا فيها باختيارهم[3].

1- ابن سماك العاملي، الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1979-1980، ص 68-69.
2- عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي، المرجع السابق، ص 137.
3- حسين مؤنس، فجر الأندلس، المرجع السابق، ص388.

أما بيار قيشار فيطرح المسألة بكثير من التروي والإتزان عندما قال:"أن البربر يقطنون في مناطق جبلية كثيرة ، ولكن هذا لا يمنع من وجودهم في مناطق سهلية في حوض الوادي الكبير وسهول شرق الأندلس"[1]. ولعل بعض الإشارات التي وردت في المصادر التاريخية وضعت حدا لهذا الجدل، فقد ورد على لسان صاحب الإستبصار بقوله عن جبل فازار ببلاد المغرب: "وهو جبل كبير تسكنه أمم كثيرة من البربر ويطردهم الثلج منه فينزلون إلى ريف البحر الغربي، وهم أهل كسب من الغنم والبقر و الخيل"[2]. فما يفهم من هذا النص أن البربر لم يقتصروا فقط على المناطق الجبلية وإنما أيضا كانوا يستقرون في المناطق السهلية لمزاولة نشاطاتهم المهنية، وابن الأحمر كان صريح العبارة لما قال: "أما البربر فمن كان من أهل الحاضرة استقر في المدن ومن كان من أهل البادية استقر بالقرا"[3]. وعليه إن استقرار البربر في الأندلس يرتبط إلى حد كبير لنمط الحياة الإجتماعية التي كانوا يعيشونها في بلاد المغرب والنشاطات التي كانت مزاولة لديهم[4].

ويحتفظ لنا ابن الأحمر بنص في غاية الأهمية يبين فيه النشاطات المهنية الممارسة في الأندلس الممارسة في الأندلس من قبل جميع الأجناس المكونة للمجتمع الأندلسي، ويخص البربر بالذكر عندما يقول:"أما البربر فإنهم احترفوا بجاب البقر والقمح والسمن والزيت والعسل والصوف والدجاج والفواكه والملح والأعواد وخدمة الفحم والخشب ونحو ذلك، وأهل الحاضرة منهم احترفوا ضفر الحلفة، وخدمة الأوعية أي السلال للزرع، وفتل القنب والمحاريث والبرادع للبهائم والشطاطيب لكنس الديار وصيادة الطيور للأكل، والحملان في الأسواق، وحملان الزرع إلى

---

1 - Pierre Guichard, stuctures sociales….op.cit,p275.

2- مجهول، كتاب الإستيصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص187.

3- اسماعيل ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 25

4- خليل ابراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت/ 2004، ص 420

الديار وبيعه في الأسواق، وخرز الدلاء وجلب الماء والبناء وطبخ الجيروالجبص ونحو ذلك."[1]

لا يبدو من خلال هذا النص أن هذه الحرف فرضت عليهم قصرا من طرف المجتمع الأندلسي بقدر ما يدل على أن البربر لما انتقلوا إلى الأندلس حاولوا أن يحافظوا على وضعيتهم السابقة من خلال مهنهم، ولعل الثقافة الإجتماعية المتجذرة في ذهنيتهم كالسياسة العزلة وتدني المستوى الثقافي والتنظيم القبلي ...كان له دور في أن لا يغير البربر مهنهم أكثر مما له علاقة بالتصور الذي يربط ممارسة البربر لهذه المهن لكون أن العرب احتكروا النشاطات الحرفية الهامة على[2].

وإن كنا لا نقلل من سياسة الإضطهاد والدونية التي عومل بها بربر الأندلس، لكننا نعتقد أن الخصوصية المغربية هي التي طغت في هذا المجال على الأقل خلال الفترات الأولى من الإستقرار، فمنطقي جدا أن يمتهن العرب المهن التي "ليست بخاملة نحو تدريس العلم والتوريق على الكراسى وتحمل الشهادة والنساخة، وتعليم الصبيان وإمامة المساجد..."[3].

بما أن البربر حسب تكوينهم طبيعة عسكرية أكثر مما هي فكرية ثقافية، ولتأكيد على ما ذهبت إليه الدراسة، فإننا نجد أن التنظيم القبلي كان له دور في الحفاظ على نمط نشاطاتهم المهنية بطريقة جماعية حتى بعد دخولهم الأندلس، ولعل أبرز نشاط جماعي نعثر عليه هو رعي الماشية، فعن محمود بن عبد الجبار بن زاقلة البربري* الثائر بمدينة ماردة كان "إذا أقلعت عنهم العساكر انبسطوا في أقاليم ماردة، بأموالهم ورعوا فيها ماشيتهم، واعتمروا ضياعهم أكثر السنة، إلى أن يحسوا بتجريد الصائفة لهم فينقبضون عند ذلك إلى حصنهم"[4].

1- ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرا، ص 24.
2- بوباية عبد القادر، المرجع السابق، ص 256.
3- ابن الأحمر ، المصدر السابق،ص 23.
*- محمود بن عبد الجبار بن زاقلة البربري هو البطل المنتزي على السلطان الشديد الوحشة، الشارد عن الجماعة بناحية جليقية، الذي كان اعتصم بها لفرط النفور، فاضطرب في حماية المشركين هناك مدة، معهم تارة، وعليهم تارة، قتل سنة 225هـ/ ابن حيان، المقتبس، محمود علي المكي، س2، ص 43
4- المصدر نفسه ، ص 436.

وتظهر معالم ارتباط الشديد للبربر بمهنة الرعي من بعض الإشارات التي وردت في المظان التاريخية، فرغم المضايقات الشديدة التي تعرض لها البربر في الفتنة الأندلسية وذلك لمّا "اجتمع أهل البلد والعبيد بقرطبة فتحالفوا بأيمان البيعة أن تكون أيديهم متفقة وكلمتهم في حرب البربر واحدة"[1]، نجد أن البربر رغم أنهم في أحلك الظروف لم يتخلوا عن ماشيتهم لما تم اخراجهم من جيان حيث يشير ابن عذاري في قوله:" وخرج البربر من جيان إلى أرملاط ..وقد ملؤوا أيديهم من البقر والغنم حتى عجزوا عن ضبطه... ثم نذروا لهم البربر فقعدوا لهم فكانوا يقتلون في كل ليلة العشرة والعشرين والثلاثين وقتلوا منهم في ليلة واحدة أكثر من مائة فانقطعوا عن غنم البربر جملة"[2]. ورغم ارتباط البربر بحياة البادية، إلا أنه فيما يظهر أن المهن المزاولة فيها لم تكن تدر الكثير عليهم من الجانب الإقتصادي، فكثيرا ما كانوا يتحينون الفرص فـ "تامر بن أبي جوشن بن ذي النون بن سليمان بن طوريل الهيثم بن اسماعيل بن السمح الهواري كان مقلا يرعى الغنم، فلما أدرك ظهر في الفتنة وبرز في الشجاعة وكانت له مقامات عظيمة... وتمسك عامر هذا في أول أيام أمير المؤمنين عبد الرحمن باسم الطاعة، وسجل له ما كان بيده"[3].

وإلى جانب رعي الماشية امتهن البربر حرفة الزراعة والحراثة والتي على ما يظهر أن اليد العاملة الأندلسية كانت تتكون من فلاحي البربر بالدرجة الأولى حيث شكلوا العصبة المحركة للإقتصاد الزراعي الأندلسي ونلمس هذا التصور من خلال الإشارات التي احتفظ بها ابن عذاري عن نصوص الفتنة الأندلسية بقوله": وركب البكري وهو أحد الوزراء فدار قرطبة وأرباضها يقول للناس قد عفا أمير المؤمنين المهدي عن البربر على أن يرجعوا إلى بلادهم فيصيروا حراثين كما كانوا"[4]، وفي موضع آخر أضاف "نزل البربر على كل زرع حول قرطبة يحصدون ويأكلون ويقفون بقرب الخندق فيقولون أخرجوا إلينا الحصادين فإنا نضمن لكم لا

1- ابن عذاري، المصدر السابق،ج3، ص 106.
2- نفسه، ص106.
3- العذري، ترصيع الاخبار، المصدر السابق، ص 14.
4- ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص 82.

تدع حبة واحدة"[1]. فما هو واضح من هذين النصين أن المجتمع الاندلسي قد تضرروا كثيرا جراء ترك البربر لمهنتهم وأصبحوا يناجونهم للعودة لأراضيهم، وبالتالي فإنه كان للبربر دور مهم في حفظ وتوفير حاجيات السكان من الناحية الزراعية، وإن كنا لا نملك معلومات دقيقة حول هذا الموضوع إلا أن ليفي بروفنسال أشار إلى غلبة الطابع البربري في بلاد الأندلس بقوله: "وفي هذا المجال، ربما كان الطابع البربري أظهر وأوضح اليوم من اسبانيا وجنوبي البرتغال من الطابع العربي بالمعنى الدقيق لهذا اللفظ و ذلك في كثير من ظواهر الحياة الريفية والنشاط الزراعي"[2]

ومن المفيد إثبات نص لابن عبدون بالغ الأهمية في الكشف عن أهمية الفلاحة في حفظ النظام لما قال: الفلاحة هي العمران ومنها العيش كله والصلاح جله وفي الحنطة تذهب النفوس والأموال وبها تملك المدائن والرحال وببطالتها تفسد الأحوال وينحل كل نظام"[3]

وإذا تفحصنا المسألة من جانب آخر نجد أن غالبية المصطلحات البربرية التي احتفظت لنا بها المصادر كانت متعلقة بالجانب الزراعي ولاسيما إذا تعلق الأمر بمسميات بعض الحشائش والنباتات وعلى سبيل المثال لا الحصر[4] مشجر تلميط الذي يقع في غرب إشبيلية نسبة لنبات يعرف في لسان بربر نفزة بنكور شمال المغرب الأقصى[5]، وبالتالي لنا أن نتصور أن لهم دور غير مباشر في تطوير وتوسيع دائرة الأعشاب الضارة والصالحة وإدخالها إلى بلاد الأندلس نظرا لمعرفتهم بحشائش الأرض، فلو لم تكن لهم عناية ودراية بهذا الأمر ما استطاعوا أن يعيشوا

1- المصدر نفسه، ج3، ص 106-107. / العذري، المصدر السابق، ص 14.

2- Lévi Provençal, Histoire de L'Espagne.., op.cit,p88.

3- ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، 1955، ص5.

4- أوردنا بعض من هذه المصطلحات في الصفحات الأتية من البحث لم نود تكرارها يمكن مراجعتها في العنصر الخاص اللسان البربر في بلاد الأندلس.

5- أبو الخير الإشبيلي(حيا في أوائل القرن 6هـ)، عمدة الطبيب في معرفة النبات ، تحقيق محمد العربي الخطابي، أكادمية المملكة المغربية، الرباط، 1990، ج1، ص 481/ أحمد الطاهري، الفلاحة والعمران القروي بالأندلس خلال عصر بني عباد ، مركز إسكندرية لكتاب، 2004، ص67.

خمسة عشر يوما بحشيش الأرض أيام محنتهم لما فرض عليهم الحصار الغذائي أيام الفتنة الأندلسية[1].

ولعل من بين المعتقدات المهمة التي يؤمن بها فلاحو البربر من العدوة المغربية أنه إذا "لم تمطر السماء في شهر أبريل كانت غلة القمح منعدمة في البوادي"[2]، و لهذا يعتبرون أن الماء الذي ينزل من السماء في هذه المدة، ذو بركة إلهية، فكان يحتفظ به كثير من الناس في قوارير صغيرة للتبرك به"[3]، فهل لنا أن نربط هذا المعتقد أو هذه الثقافة الشعبية المنتشرة لدى الفلاحين أنه من العادات الراسخة والتي أدخلها البربر إلى بلاد الأندلس حيث جاء في كلام لإبن الخطيب مايلي" وربما كانت هذه الطبقة متميزة بالإحسان تَميز البركة بمطر النيسان"[4] ، وجاء على لسان العامة أيضا " مطر قَبريل ، خير من فَيض النّيل"[5].

أما عن المهن الصناعية فالنص السابق الذكر لابن الأحمر الغني بالإشارات عن الممارسات الحرفية التي زاولها البربر في بلاد الأندلس، لا يشير صراحة أو ضمنيا لامتهان البربر هذه الحرفة، إذ يشير أن حرفة الصناعة خُص بها الموالي في قوله: و أما الموالي منهم فاحترفوا ... تصفية معدن، وخدمة الرخام"[6]، كما أنه لم نعثر عن إشارات أو نصوص تدل على احترافهم بالمعدن وأنواعه ، إلا أنه ما يمكن من خلال بعض النتف المتناثرة في المظان التاريخية أن معظم مناطق استخراج المعادن هي مناطق آهلة بالبربر كـ"المغناطيس الجاذب للحديد يوجد بموضع يعرف بالصنهاجين من كورة مرسية"[7]، "وما بين دانية و شاطبة موضع يسمى أوربة على نصف يوم من دانية فيه معدن حديد"[8].

1- ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص 86.
2- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 81.
3- نفسه، ج1، ص 79.
4- ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق : إحسان عباس ، دار العربية للكتاب، بيروت، 1983،ص158.
5- الزجالي، تاريخ الأزجال، ج2، رقم 1530، ص 396.
6- بيوتات فاس الكبرا، ص25.
7- مجهول، تاريخ الأندلس، المصدر السابق، ص53.
8- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المصدر السابق، ص 511

ويشير الحميري إلى فحص البلوط الذي به جبل البرانس و فيه معدن الزئبق"[1]، ويؤكد ابن الفقيه هذا الأمر بقوله: "وبها معدن الزيبق في موضع يقال له فحص البلوط زمن معدن الزيبق إلى قرطبة خمسة أيام وأهلها بربر"[2]. و بناء على هذه المعلومات نستطيع أن نستنتج أن فئة الموالي من البربر هي التي اختصت كيد عاملة في تصفية المعدن، بما أن مناطق استخراجها هي مناطق بربرية، والذين خصهم ابن الاحمر بالذكر باحتراف هذه المهنة هم الموالي بصورة عامة من دون أن يحدد أصولهم العرقية. كما اشتغل البربر أيضا بمهنة البناء وخص المؤرخ نفسه أهل الحاضرة منهم[3]، ومن بين الإشارات التي تدعم هذه الفكرة ما جاء به ابن حيان حيان في قوله:"ثار يحي صقالة القبسي بدعوة العرب الذين بغت عليه العجم والمولدون وارتقى في حصن منتشاقر من جملة فبناه وحصنه"[4]. لكن إذا أردنا أن نتعمق في الموضوع بعض الشئ نجد أن بلاد المغرب معروفة بنوع من البناء والمتمثل في الطابية أو التابية ويزودنا ابن خلدون بمعلومات حول هذا البناء بقوله: "...ويسد الجهتان الباقيتان من ذلك الخلاء بينهما بلوحين آخرين صغرين ثم يوضع فيه التراب مخلطا بالكلس، ويركز بالمراكز المعدة لذلك، حتى ينعم ركزه ويختلط أجزاؤه بالكلس، ثم يزاد التراب ثانيا إلى أن يمتلئ ذلك الخلاء بين اللوحين، وقد تداخلت أجزاء الكلس والتراب وصارت جسما واحدا، ثم يعاد نصب اللوحين، وقد تداخلت أجزاء الكلس والتراب وصارت جسما واحدا ...إلى أن ينتظم الحائط كله ملتحما، كأنه قطعة واحدة، ويسمى ذلك الطابية وصانعه الطواب"[5] إلا أن المعلومة التي وردت عند ابن أبي أصيبعة لها أهمية بالغة في موضوعنا والتي ينسب فيها هذا النوع من البناء للبربر ويجعله طريقة خاصة بالمغرب[6].

1- الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص 142.
2- ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، المصدر السابق، ص 97.
3- بيوتات فاس الكبرا، ص 24.
4- ابن حيان، المقتبس، نشرة ملشورم، ص 61
5- مقدمة ابن خلدون، ص 388.
6- ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الفكر ، بيروت، 1956، ج3، ص121

وبناء على هذه المعلومة، لنا أن نؤكد أن هذا النوع من البناء يعد من بين النشاطات المهنية التي نقلها البربر إلى بلاد الأندلس ولاسيما أن هناك عدة نصوص تؤكد استعمال الأندلسيين لهذا النوع من البناء كبناء مدينة بطليوس "حيث بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي بإذن الأمير عبد ا في ذلك، فأنفذ له جملة من البناة وقطعة من المال، فشرع في بناء الجامع باللّبن والطابية"[1] و"مدينة بلنسية سورها مبني بالحجر والطوابي"[2].

كما أشارت العامة بقولها: "ما تضارب الطوب مع الأجر"[3]، وهذا للدلالة على هشاشة الطوب وصلابة الآجر.

بالإضافة أنه كانت هناك أعمالاً أخرى كان يمارسها البربر والمتمثلة في الحراسة والعسس والإشتغال بالفحم ، إلا أن هذه المهنة فيما يبدو كانت حكرا على البربر، وذلك أن الأندلسيين كانوا يمقتونها وينبذونها، كما أنها كانت محل تنكيت وتهكم للمزاولين لها بسبب ضعف مرتباتهم وتصدرهم قاع ودرك السلم الإجتماعي، ونلمس هاته المهنة من خلال الأمثال التي وردت على ألسن العامة في قولها:

" أتيس من عبو البايت الذي باع الحلابية واشترى المقْرع"[4]

" أتيس من توقوت البايت الذي اكسر ضرس بش ينطبع أُو التصفير"[5]

" أتيس من عبو الفحام الذي كان ينجم الفحم بالورد"[6].

3

1- الحميري، المصدر السابق، ص 46.
2- نفسه، ص 47.
3- الزجالي، تاريخ الأمثال والأزجال، ج2، رقم 1365، ص 370
4- أتيس : أغبى وأجهل وعبو اسم شخص، و هو من الاسماء المغربية و أصله عبد ا ، و البايت و يجمع على بيات و بائتة، وهم الجنود أو الحرس الذين يعسون بالليل / الزجالي، رقم، 489، ص205.
5- توقوت اسم شخص، ومن الاسماء البربرية، وقد يكون ترقوت، وهو من الاسماء الواردة في نسب ابن تاشفين، وبش ينطبع لو: ليستقيم له، ويبدو أن البائت كان يستعمل الصفير للإشعار و الإنذار / نفس المصدر، رقم، 49.، ص206.
6- نفسه، رقم، 491، ص 206.

- مظاهر الحياة الاجتماعية للبربر في بلاد الأندلس:

أ- التنظيم القبلي

لا شك أن أهم التنظيمات التي أدخلها البربر إلى بلاد الأندلس هو نظام القبيلة ولعل أهم مميزاتها أنها تتصف بالتضامن والمساواة والتعاضد بين أبناء القبيلة حتى وإن غادرها أصحابها، فمثلا في نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي استدعى بربر حصن أم جعفر فرانك بن لب بن خالد النفزاوي بقرطبة ليرأسهم، بعدما اندلعت الفتنة، فاستجاب لأمرهم[1]، ويقدم لنا الأمير عبد ا بن بلقين بن زيري تقليدا خاصا ومتبعا لدى البربر في تسيير شؤون قبيلتهم بقوله "كان حبوس – رحمه ا -لا ينفرد برأي دونهم، ولا يقطع مقطعا إلا بمشورتهم ...فلما طاعت لهم البلاد اجتمع رأيهم على أن يتقارعوا عليها، وكانت عادة في البربر، لكي لا يأنف أحدهم مما يصير إلى أخيه"[2]، كما لا تصرح المصادر التاريخية لا من قريب أو بعيد عن وجود مثل هذا العرف أنه كان معمولا به لدى البربر المستقرين ببلاد الأندلس، لكن في نفس الوقت عندما نتمعن في المسألة من جانب آخر بحسب المعطيات المتاحة.

وقد أشارت المصادر التاريخية في أكثر من مرة إلى وجود خلافات وصراعات كانت تحدث بين البربر بسبب الثأر[3]، بينما لا تشير إلى تلك الصراعات على أنها كانت حول امتلاك أرض ما، فهل يحق أن نجزم بأن هذا العرف هو مما نقله معهم البربر إلى بلاد الأندلس وتغافلت المصادر التاريخية عن ذكره، إلا أن الاحتمال يبقى قائما في انتظار نصوص أخرى، تؤكده أو تلغيه.

لكن ما هو ثابت أن نظام القبيلة ببلاد الأندلس كان متوارثا في أسرهم، فمن الأمثلة الدالة على ذلك فرانك بن لب بن خالد النفزاوي المذكور أعلاه، فلما تولى نظام الرئاسة في قبيلته لمدة تسع سنوات خلفه على أمره ابن عمه عيسى بن قوطي الذي بقي أميرا عليهم لمدة إثنتي عشر سنة، ليخلفه بعد ذلك زعال بن سعيد الذي ظل

1- ابن حيان، تحقيق ملشورم، ص23.
2- التبيان، المصدر السابق، ص59-60.
3- يشير ابن حيان هجوم بربر على بربر طلبيرة كانت بينهم دماء/ ابن حيان، السفر 2، ص149

في علاقة تبعية مع السلطة المركزية إلى أن أخضعه الخليفة الناصر[1]، كما أن البربر مستعدون لعمل أي شيء للحفاظ على نظام الزعامة في تشكيلتهم القبلية، ويتضح لنا جليا من قراءة هذا النص حيث يشير ابن حيان أنه قُدر لأحد الفتيان وهو أحمد بن معاوية المعروف باسم القط* يبث الدعوة "بأرض الجوف وتجول في بلاد البرابر هناك يظهر لهم الزهد ويدعوهم إلى جهاد الكفرة فاجتمع له خلق عظيم من برابر الجوف والغرب ومن أهل طليطلة وطلبيرة اقتحم به بلاد جليقية يومئذ أذفونش بن أرذون فنازله بسمورة ومن اجتمع إليه من النصارى ثلاثة أيام ثم خذله رؤساء البرابر فانهزموا عنه"[2]. فرغم أن ظاهر النص يوحي بالخيانة والغدر التي عرف بها البربر في الكتابات الوسيطية، إذ وردت أكثر من إشارة تؤكد هذه الصفات، حيث ورد عند ابن سماك العاملي بقوله "سأل سليمان بن عبد الملك موسى بن نصير قال: فأخبرني عن البربر، قال: هم أشبه بالعرب لقاء ونجدة وصبرا وفروسية وسماحة، غير أنهم أغدر الناس لا وفاء لهم ولا عهد"[3].

في حين أن المتمعن في ذهنية ذلك العصر آنذاك يتضح له عكس ذلك فرؤساء البربر كانت لهم نظرة أكثر عمقا لهذا الحدث فهم يرون في انتصارات ابن القط فقدانا لكيانهم ومكانتهم الاجتماعية بين قبائلهم في حالة انتصار هذا الأخير خصوصا أنه خرج "يطلب دولة"[4]، وبالتالي فقدانا لتنظيمهم القبلي ونمط معيشتهم التي اعتادوا عليها أكثر مما يوحي بالغدر والخيانة. إلا أن النظام البربري فقد من بعض خصوصياته في بلاد الأندلس بسبب احتكاره من طرف أسر معينة التي

1- ابن حيان، ملشورم، ص22-23.

*- هو أبو القاسم أحمد بن معاوية بن هشام بن معاوية بن الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية كان من أهل العناية بالعلم والمطالعة لعلم النجم ومعرفة الهيئة وكانت له حركة وفيه شراسة خرج في أيام الأمير عبد ا بن محمد، قتل في 20 رجب سنة 288هـ/ ابن حيان، نفسه، ص139/ ابن الابار، الحلة السيراء، ج2، 370.

2- ابن حيان، نفسه، ص139.

3- الزهرات المنثورة، المصدر السابق، ، ص45.

4- ابن حيان، المصدر السابق، ملشورم، ص139.

أضفت عليه طابعا عسكريا إقطاعيا القائم على الأساس القبلي في الأصل، لكن هذا التغيير لم يقض على النظام القبلي الذي ظل سائدا حتى بداية القرن 5هـ/اام[1].

ب- المرأة

إن التعرف على حياة المرأة البربرية في بلاد الأندلس يعد من الإشكالات التي يواجهها البحث التاريخي، ولاسيما أن المصادر لا تهتم بهذا الموضوع إلا نادرا، بحيث لا ترد أخبارهن إلا عندما يتعلق الأمر بذكر أمهات أمراء على أن أصولهن تعود إلى جذور بربرية، كأم الأمير عبد الرحمن بن معاوية التي كانت "أمه أم ولد تسمى راح من سبي زناتة"[2]، الأمير المنذر بن محمد بن عبد الرحمن الذي كانت أمه بربرية أيضا تدعى عشتار[3]. ويبدو أن المرأة البربرية المولدة كانت تحظى بسمعة طيبة في بلاد الأندلس حتى أصبحت أما للأمراء، وهذا إزاء الخصال التي تميزها عن غيرها من النساء المولدات الأخريات من أصول أخرى فقد ورد عند السقطي قوله: "والبربريات أطبع الخلق على الطاعة وأنشطهم للعمل وأصلحهم للتوليد واللذة وأحسنهم للولد"[4]، رغم أهمية هذا النص لكونه يترك لنا انطباعا من أن الزواج بالبربريات يكون بشكل واسع في بلاد الأندلس إلا أن المصادر التاريخية تأثر الصمت في هذا الموضوع، ولا تحتفظ إلا ببعض الإشارات العرضية التي تدل على حدوث مصاهرات أسرية تجمعهما السياسة والسلطة؛ ففي عهد الأمير محمد زوج موسى بن قسي السرقسطي بنته لأرزاق بنت منت المصمودي الحجاري[5].

1- محمد حقي، المرجع السابق، ص103.
2- مجهول، تاريخ الأندلس، ص 159.
3- المصدر نفسه ، ص 196.
4- أبو عبد ا محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي، في آداب الحسبة، المطبعة الدولية، باريس، 1931، ص50.
5- العذري، المصدر السابق، ص 30.

والذي كان يهدف من تلك المصاهرة ضمه إلى جانبه ودخوله في حلفه ضد الأمير الأموي.

كما أن منذر بن يحي التجيبي صاحب سرقسطة كان ابن أخت اسماعيل بن ذي النون[1]، كما تصاهر يحي بن ذي النون مع عبد ا بن عبد العزيز بن أبي عامر صاحب بلنسية في بداية عهد ملوك الطوائف من تزويجه أخته التي خلفه عليها أخوه عبد الملك[2]، فما يمكن أن نستنتجه من هذه النماذج أن الزواج بين البربر وغيرهم إنما هو زواج حددته المصلحة والحسابات السياسية أكثر مما هو مرتبط بانفتاح العلاقات الاجتماعية في بلاد الأندلس.

ورغم الانفتاح الخضاري الذي عرفته بلاد الأندلس على عدة مستويات إلا أنه فيما يبدو أنَ المرأة البربرية ظلت إلى حد بعيد متمسكة بعادات وتقاليد بيئتها التي أنجبتها وخروجها عن هذا التقليد سيعرض حياتها للخطر، ولتوضيح الفكرة أكثر ننطلق من هذا النص المتعلق أم الأمير منذر بن محمد بن عبد الرحمن، الذي يقول فيه صاحب تاريخ الأندلس "وألقي في روعها أنها أم خليفة فكانت تتكبر على قومها بذلك وتستحقرهم، فأخذها خال كان لها، فسار بها إلى قرطبة فباعها فشترتها سكر أم هاشم بن العزبز الوزير"[3]، فما يمكن أن نستنتجه من خلال هذا النص هو إحساس الفتاة بأن لها شأن عظيم لأنها ستكون أما لخليفة، مما أدى بها لاحتقار أهلها وبني جنسها، وبالتالي خروجها عن عادات وتقاليد أهلها، الأمر الذي اعتبر عارا في وسطها الاجتماعي، وللتخلص من هذا العار بيعت كأمة في سوق الجواري رغم أنها حرة. مما يدل على أن زواج المرأة البربرية يكون داخليا وسط عشيرتها أو قبيلتها، بدليل أن خال الفتاة هو الذي تحكم في مصيرها، كون أن أمها هي أيضا تزوجت وسط عشيرتها.

1- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 178-179.
2- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص174، 266.
3- مجهول، تاريخ الأندلس، ص 196.

ومن الإشارات التي تثبت زواج الفتاة البربرية داخل عشيرتها، لدينا منذر بن سعيد البلوطي النفزي الذي كانت أمه بربرية إشارة ابن حيان تدل على ذلك لما لمح عن خال بن منذر أنه شهد ثورة ابن القط الأموي وقومه البربر أخبره عنها[1]. وفي السياق نفسه يشير ابن بشكوال إلى منذر بن سعيد أنه زوج ابنته من ابن عمه فضل ا [2].

وينسحب الأمر نفسه مع الأمير عبد ا بن بلقين بن زيري الذي حرص وفضل على تزويج أختيه، رغم أنه كان يستطيع تزويجهما من سلاطين الأندلس ولا سيما أنهم كانوا يرمون تلك المصاهرة[3]، إلا أن الأمير عبد ا رأى غير ذلك وفيها قال:"وأنا في تلك الفترة رأينا من الصلاح النظر لمن معنا من البنات وتزويجهن قبل أن يفجأ أمر، فيكن على غير عصمة لا كفيل، فتخيرنا لهما من بني عمهما شاكلة"[4].

يبدو من خلال هذه الإشارات رغم ضآلتها إلا أنها تعطي لنا انطباعا أن زواج المرأة لدى البربر هو زواج داخلي يتم بين أبناء الأعمام وبين أبناء القبيلة أو العشيرة، وهذا من أجل صيانة شرفها وحفظ كرامتها داخل وسطها الاجتماعي ولاسيما أن البربر من أبرز صفاتهم مثلهم مثل العرب شديدي الحرص على عرضهم وشرفهم ويؤكد الحسن الوزان هذا الأمر في قوله:"ولا حد لغيرتهم على النساء حتى أنهم ليهبون أرواحهم بدل أن يتحملوا العار في حق نسائهم"[5]، ولعل هذا الطبع كان شديد الوطأة على المرأة البربرية التي كانت تقطن ببلاد الأندلس، ومن الإشارات التاريخية الدالة على ذلك والتي تعود لفترة القرن 5هـ/11م، لما قام بنو يرنيان بتسلسم حصن أركش لباديس بن حبوس سنة 450هـ/1058م وحملوا أثقالهم وعيالهم إلى غرناطة، فتفاجؤا بمحاصرة ابن عباد ومقاتلته لهم "[ف] هلك في هذه الجرب أكثرهم، .... وقتل أميرهم محمد بن خزرون بعد أن أمر غلامه بقتل إمرأته

1- ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق ملشورم، ص138- 139.
2- أبو القاسم بن عبد الملك بن بشكوال، الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية ، بيروت، ط1، 2003، رقم1001، ص 369.
3- التبيان، المصدر السابق، ص 139.
4- نفسه، ص 149.
5- وصف إفريقيا، ص 86.

لأنها كانت لطيفة المحل في قلبه"[1]، وفي ذات السياق يسير موقف أبو نور هلال بن أبي قرة بن درناس اليفرني صاحب تاكرنا لما بلغه خبر ابنه الفاسق الذي زنى بامرأته وأخته، فأول أمر قام به بعد تخلصه من السجن أن "ضرب رقبة ابنه باديس وألحق به عمته وذلك في سنة تسع وأربعين وأربعمائة"[2].

ومن أعظم المنكرات التي ارتكبها أبو مروان عبد الملك بن رزين صاحب السهلة قام بقتل أمه لتهمة لحقت بها عنده[3]. إن هذه النماذج تبين بعمق أن الشرف والعرض شكل هاجسا في المجتمعات الإسلامية، فقد اتخذ البربر عدة إجراءات لحفظ شرفهم وصيانة كرامتهم من الإهانة والذل والعار فكان القتل سيد الموقف. ومن الإجراءات التي اتحذت أيضا والتي تعكس جليا صدى المجتمع البربري المحافظ على عقليته وعلى موروثه الإجتماعي حتى بعد دخولهم بلاد الأندلس الإشارة التي زودنا بها أحد المؤرخين بقوله" قال الشيخ زرووو: من خاف على زوجته الفاحشة فليضع يده على رقبتها ويقرأ هذا الإسم الكريم للحفظ من الفاحشة وهو يقول" يا رقيب 5 مرات، ثم يقول ا خير حفظا وهو أرحم الراحمين فإن ا يحفظها من الفاحشة"[4]

ج - الطعام

يذكر الكثير من الناس أن أن أطيب الطعام ما لم تر العين، "وليس كذلك بل أطيب الطعام ما وقع عليه الحس ورأته العين ووثقت به النفس واطمأنت إليه وعلمت حقيقيته في صنعته"[5]، وعلى اختلاف وتنوع الأطعمة الموجودة في بلاد الأندلس، إلا إلا أن أهم مشكلة تواجه الدراسة في هذه النقطة هو صعوبة التمييز بين الأكلات

1- ابن الخطيب، أعمال الأعمال، المصدر السابق، ص 240.
2- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 312، 313.
3- ابن بسام، المصدر السابق، مج3، ص70.
4- أبي بكر بن العربي، شواهد الجلة والأعيان في مشاهد الإسلام والبلدان، دراسة و تحقيق : محمد يعلي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1996، ص 378,
5- مجهول، أنواع الصيدلة في أنواع الأطعمة (الطبيخ في المغرب والأندلس)، تحقيق: عبد الغني أبو العزم، منشورات مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2003، ص52.

البربرية والأكلات الأخرى، ولاسيما العربية منها بسبب التشابه الكبير الواقع بين الجنسين في نمط المعيشة وبالتالي في نمط أطعمتهم أيضا، فكلا الجنسين تتخذ أكُلاتهم من الدقيق سواء كان قمحا أو شعيرا أو من اللحم والدجاج والسمك، وعليه لن نجازف بتصنيف الأكلات البربرية عن غيرها مع الإكتفاء الشك باليقين بوجود أكلات بربرية كثيرة محضة تم إدخالها إلى بلاد الأندلس.

لعل أشهر أكلة عرف بها البربر في بلاد المغرب هي أكلة البسيسة التي تصنع من دقيق الشعير والزيت[1] ، ووردت هذه الأكلة أيضا عند ابن عذاري في قصة الكاهنة[2]، إلا أن ما يفيدنا في هذه الأكلة أنها ارتبطت بمعتقد قديم لدى البربر المتمثل في المؤاخاة فيما بينهم عن طريق أكل هذه الأكلة، "وذلك عند البربر من أعظم العهد في جاهليتهم إذا فعلوه"[3]، فرغم أن الدراسة لم تقف على هذا الإسم في المصادر الأندلسية إلا إذا كان قد أطلق عليها إسم آخر، لكن ما يستوقفنا في بلاد الأندلس أنه وردت أكثر من إشارة تدل على أسلوب الإخاء بين البربر وغيرهم، حيث يذكر المقري أن عبد ا محمد بن عيس من آل يحي بن يحي الليثي كان يؤاخي رجلاً من آل حيدر بقرطبة"[4]. ولعل هذا من العلامات الدالة على استمرار فكرة المؤاخاة بطقوسها ورواسبها التي عرفها البربر قديما في بلاد المغرب، وانتقلت إلى بلاد الأندلس.

كما أن العامة من الأندلسيين كانت تلجأ إلى أكلات بسيطة بربرية الأصل في أوقات الشدة والغلاء حيث يشير ليون التجيبي في قوله "ثم تحك على جميع ذلك بحبة من عروق أيرني الذي يؤكل وقت الشدة والغلاء"[5]، وأشرنا في غير هذا المكان المكان أن " أيرني" مصطلح أمازيغي لنبتة شائعة بالمغرب والأندلس، ومن بين

1-المالكي، المصدر السابق، ج1،ص 52.
2- البيان المغرب في أخبار المغرب، ج1،ص 37.
3- رياض النفوس، ص52.
4- المقري، نفح الطيب، ج2، ص221.
5- أحمد الطاهري، العمران الفلاحي، المرجع السابق، ص226.

الأكلات البربرية التي عرف بها البربر أيضا طعام يسمى "البركوكش"*، وعرف في الأندلس باسم آخر هو "الزبزين"، حيث ورد عد ابن رزين التجيبي بقوله " حسو يسمى بالزبزين عند الأندلسيين، وأهل العدوة يسمونه بالبركوكش"[1]، ومن بين الأمثلة التي وردت على لسان العامة عن هذه الأكلة بقولها " أش دخل بركوكش فالضيافة"[2]، مما يدل أن الطعام البربري نظرا لبساطته كان له تأثير كبير في نمط المعيشة لاسيما في أوساط العامة، ولعل البركوكش يقترن بأكلة أهم منه يقصد به الكسكسو وهو معروف بصورة واسعة في شمال إفريقيا إلى يومنا هذا، إذ تشير إحدى الدراسات بأنه أكلة بربرية أخذه عرب إفريقية عن البربر لأنه لم يكن عندهم كثرة التنوع في أكلهم وقد حصر في الثريد والعصيد[3]، ومن الإشارات الدالة على تواجد هذه الأكلة في العدوة الأندلسية ما ذكره الزجالي على ألسنة العامة في قولها "غمتني بحلْ كُسكُسو"[4]، ويحتفظ لنا حسن الوزان بكيفية صنع هذا الطعام الذي يشرح بدوره المثل[5].

ومن العادات البربرية التي أدخلها البربر إلى بلاد الأندلس وتأثر بها الأندلسيون فيما يتعلق بأكل الشواء، حيث وردت إشارة عابرة عند السقطي بقوله "ومتى قصد أن يكون الشواء قويا يؤكل بالسكين كعادة البربر في الإختيار"[6].

---

*- البركوكش أو أبرسكسو، أبركوكس: الكسكس الغليظ الحب/ محمد شفيق، اللغة الأمازيغية بنيتها اللسانية، منشورات الفنك 2000، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999، ص41.

1- أبو الحسن ابن رزين التجيبي (النصف الأول من القرن الأول من ق7هـ/13م)، فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، تحقيق : محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1984،ص77.

2- الزجالي، المصدر السابق، ج2، رقم 88، ص133.

3- حسن حسني عبد الوهاب، بسائط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، تقديم: المطوي محمد العروسي، مكتبة المنار، تونس، ط2، 1970، ص43.

4- الزجالي، المصدر السابق، ج2، رقم 1729، ص433.

5- تملأ قدر الكسكسو من الكسكسو المفتول برفق وهي قدر مثقبة من أسفل وتوضع على قدر أخرى فيها لحم وخضر ويلصق ما بين القدرين حتى لا يخرج من بخاره شيئ ويسد فم قدر الكسكسو بمنديل نظيف لينعكس بخاره ويستحكم طبخه ثم يخلط هذا الدقيقي المتبخر بعد نضجه بالسمن ويسقى بالمرق/ وصف إفريقيا، المصدر السابق، ص253

6- السقطي، المصدر السابق، ص40.

كما أنه وردت إشارة عن الأفاويه أو الأبازير التي يستعملها البربر فوق الطعام، حيث جاء عن مؤلف مجهول بقوله "ومنهم من يذر الفلفل المسحوق على الطعام في القصعة وذلك من فعال الروم والبربر."[1]

كما أنه وردت إشارة عند ابن حيان أثارت جدلا بين الباحثين بقوله "وكان مما اخترعه زرياب بالأندلس من ألوان الطبيخ الذي اقتدى الناس به فيها إلى اليوم اللون المسمى عندهم بالتفايا، المقدم لديهم على جميع الألوان، وهو مصطنع بماء الكزبرة الرطبة، ولا لون أعدل منه في الصنعة، ولا أوفق لجميع الأمزجة بفتوى الأطباء، عقله أهل الأندلس، فلا تخلو لهم منه مائدة ولا تقدم لديه قبله قصعة"[2].

إلا أن هناك بعض من الباحثين يشككون في كون زرياب هو الذي اخترع هذا اللون من الطعام، فاسم التفايا في رأيهم لفظ بربري أصل مأخوذ assni ntifiya ومعناه حساء اللحم[3]، وهو نفس الرأي الذي ذهب إليه محمد شفيق الباحث في اللسانيات بقوله تيفيين اللحم، جمعه " تيفييا" هي اللحوم، ووفرة اللحم، هنا تجب الإشارة إلى أن الأكلة المعروفة بـ "التفايا" سمت كذلك لأن مادتها الأساسية هي اللحم المتوافر، بالقياس إلى المواد الأخرى التي تحتوي عليها، أما نسبتها إلى الأندلس من باب الإدعاء بالباطل[4].

لعل هذه بعض الصور من الأطعمة التي تدل على ملامح الحياة البربرية وبعض التأثيرات التي أدخلوها على مستوى الطعام إلا أن سياسة التغييب حالت عن ظهورها بصورة جلية.

جرت العادة أن يعبر الزي أو اللباس عن مظهر قومي لجنس ما، "فقد خلق ا الخلق أجمعين، وجعلهم شعوبا وقبائل، وباعد بينهم في البلاد وخالف بينهم في الأزياء والهيئات"[5]، والبربر أحد هؤلاء الأجناس الذين اجتازوا واستقروا ببلاد

1- أنواع الصيدلة في أنواع الأطعمة، ص54.
2- ابن حيان، المقتبس،السفر2، ص322.
3- نفسه، هامش المحقق رقم 43، ص 536.
4- اللغة الأمازيغية بنيتها اللسانية، المرجع السابق، ص53.
5- فتاوى ابن رشد، السفر الثاني، ص963.

الأندلس، وتميزوا بزي يميزهم عن غيرهم، ولعل ابن عذاري يؤكد من جهته على البربر احتفظوا بزيهم حتى بعد دخولهم الأندلس عند حديثه عن جماعة من البربر انضمت إلى ابن عبد الجبار، فلما أحضرهم إلى نفسه "ألبسهم القلانس والأردية وأمرهم أن يزيلوا زيهم وأن يتزيوا بزي جار ويخلعوا العمائم ففعلوا"[1]، فما يمكن أن نستفيد منه من هذا النص أن العمامة* صارت زيا قوميا للبربر في الأندلس، رغم أن الجاحظ يؤكد أن العمامة "عادة من عادات العرب"[2].

وفي السياق ذاته "سئل يحي بن يحي عن لبس العمائم فقال: هي لبس الناس في المشرق، وعليه كان أمرهم في القديم"[3]، إلا أن ما هو ما هو متواتر في المصادر والدراسات التاريخية أن استعمالها في الأندلس ارتبط بعنصر البربر وقد وصف ابن سعيد زي أهل الأندلس فذكر أن "الغالب عليه ترك العمائم لا سيما في شرق الأندلس"[4]. كما أنه سبق الإشارة أن المنطقة الشرقية تتميز بهيمنة العنصر العربي فيها وضعف التواجد البربري بها[5].

ومما يدل على خصوصية واقتران زي العمامة بعنصر البربر هو ما ارتكبه عبد الرحمان بن أبي عامر برجال أهل الخدمة حين "أوعز إليهم بطرح قلانسهم المرقشة الملونة [و] الانتقال عنها إلى العمائم، فاستعان كثير منهم بجيرانهم من البرابر وإخوانهم حتى لبسوها على أكره حال وأشد مشقة، وأصبحوا في الناس فضيحة"[6].

1- البيان المغرب، ج3، ص82.

*- العمامة هي عبارة عن شريط مستطيل من القماش ملفوف حول الرأس/ الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، ترجمة حمّادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992، ص205.

2- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر(ت 255هـ/ 868م)، البيان والتبين، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، بغداد، 1950، ج2، ص97.

3- ابن حيان، المصدر السابق، السفر2، ص212.

4- المقري، ج1، ص222.

5- ينظر ص 14.

6- ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص48.

ومن الواضح جدا أن ارتداء العمامة[1] كانت تشكل مجالاً للسخرية والاستهتار في أوساط المجتمع الأندلسي، ولاسيما أن البربر يؤثرون ارتداءها فمن بين ما تمثلت به العامة للسخرية من البربر والمرابطين أثناء حكم المرابطين قولها " طالع هابط، بحل عمام في راس مرابط"[2]، كما أن ابن الأبار يحتفظ لنا بتعريض واستهزاء المعتمد بن عباد بالمعتصم بن صمادح* حين تزيى بحمل العمامة ولبس البرنس تزلفا بالمرابطين "فنظر إليه المعتمد، وفهم المعتصم أنه يهزأ به، وانصرف، فضاحك المعتمد في ذلك من جالسه من وزرائه"[3]، وذُكر أيضا أن المعتمد ابن عباد ابن عباد أغرق جارية مغنية أهداها أهداها إليه يوسف بن تاشفين لأنها غنت أبياتا منها:

حملوا قُلوب الأسد بين ضلوعهم   ولـَووا عمائِمهم على الأقمار

وقد ظن أنها تعرضت له بالمرابطين[4]، ومن الأشعار الأندلسية التي نظمت وهم يكنون ارتداء القلانس بالأندلسيين وإرتداء العمائم بالبربر ما قاله ابن شهيد:

ولا غَرو من ترك القلانسِ جانبا   إذَا عرفتَ حقّي هناك العمائمُ[5]

وقوله: نَرمي قَلانسنَا لَه   ونجر من عذبِ العمائمِ[6]

لكن بإجراء قراءة متأنية للنصوص التاريخية، وذلك بتتبع الدقيق لمعطياتها والوقوف عند أبسط تفاصيلها، لا يبدو أن جل العنصر البربري إرتدى زي العمامة

1- ترد في بعض النصوص الأندلسية أن العمائم كانت لباس القضاة والفقهاء في الأندلس/ حيث ورد عند ابن سعيد " فإن أهل غربها لا تكاد ترى فيهم قاضيا ولا فقيها مشارا إليه إلا وهو بعمامة وقد تسامحوا بشرقها في ذلك/ المقري، ج1، ص222./ وورد لدى مؤرخ آخر بقوله: " وقد ذكر الفقيه ابن حيان في تاريخه من أخبار قرطبة ما لا مزيد عليه... وقد ذكر أن المنتصر با ونادى في أزقة قرطبة ألا يتعمم رجل لا يحتل المدونة حفظا وفقها قال: فتعمم فيها ثلاث مائة رجل ونيف/ أبو عبد ا محمد بن أبي بكر الزهري (ت أواسط القرن6هـ) ، كتاب الجعرافية، تحقيق محمد حاج صادق، المركز الإسلامي للطباعة، د.ت، ص88.

2– الزجالي، تاريخ الأمثال والأزجال، ج2، ص1062،ص 247

*– المعتصم بن صمادح هو محمد بن معن بن صمادح التجيبي المعتصم با الواثق بفضل ا ، وصف ?أنه كان من حسن السيرة في رعيته وجنده وقرابته، فانتظمت أيامه واتصلت دولته واستقامت أموره ووصف مجلسه بكثرة العلماء والأدباء، صدمته خيل المرابطين في آخر دولته وهو عليل علته التي مات منها، فحاصروه وقاتلوه في قصبة المرية وهو يعالج الموت ويقول أثناء ذلك "نغص علينا كل شيء حتى الموت"، توفي سنة 484هـ/ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص78، 82، 84./ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص168.

3– ابن الأبار، نفس المصدر، ص86، 87.

4– نفح الطيب، ج6، ص12.

5– ابن شهيد أبو عامر أحمد عبد الملك(ت 426هـ)، الديوان، جمع وتحقيق يعقوب زكي، مراجعة محمود علي مكي، دار الكتاب العربي لطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ص 154

6– المصدر نفسه، ص156.

في بلاد الأندلس، ويبدو أن استعمالها جاء من قبيل الإقتداء بالسلف الصالح فقط، فرغم أنه وردت نصوص أسطورية كثيرة تصف الرجال الفاتحين الأوائل الذين سيقومون بفتح الأندلس على أنهم أصحاب العمائم[1]، إلا أن المقري احتفظ لنا هو بدوره أيضا عن نص أسطوري خاص بالبربر المتعلق بالفتاة التي طلبت من أبيها أن يصنع لها طلسما لتحصن به جزيرة الأندلس، فكان لها ما أرادت إلا أن الطلسم زين "بصور من النحاس الأحمر والحديد المصفى المخلوطين بأحكم الخلط صورة رجل بربري، وله لحية، وفي رأسه ذؤابة من الشعر جعد قائمة في رأسه لجعودتها، وهو متأبط بصورة كساء..."[2]. يقال أن الأسطورة تحمل شيئا من الحقيقية، فإن هذا النص يجسد موروثا اجتماعيا يتجلى في مظهر وهيئة الرجل البربري الذي يعرفه أهل العدوة الأندلسية المتمثل آنذاك في طول شعره وجعودته، فما مدى محافظة الرجل البربري على مظهره وهيئته بالتالي على خصوصيته الاجتماعية من هذا الجانب بعد انتقاله إلى بلاد الأندلس، لعل الإشارة التي احتفظ بها القاضي عياض من خلال ترجمته ليجي بن يحي الليثي المصمودي تُفصح جانبا من الإجابة من خلال وصفه إياه أنه كان يتميز بطول شعره قبل تحصيله للعلم ونستشف ذلك من قوله " كان سبب طلب يحي بن يحي العلم، أنه كان يمر بزياد، وأدناه يوما، وقال له: يا بني إن كنت عازما على التعلم فخذ من شعرك وأصلح زيك"[3]، فما يمكن ملاحظته من هذا النص أن الفقيه يحي بن يحي الليثي المصمودي قبل طلبه العلم كان يتميز بطول شعره ولهذا طُلب منه المعلم أن يهذب منه ويصلحه أي يقصره.

ولعل هذا المظهر يتميز به فقط فرع من البربر وبالخصوص بربر مصمودة ويؤكد مؤلف مجهول على لسان ابن حزم بقوله "فلما بلغ البربر وقرب أجناد العرب خلعوا رؤوسهم ليمتازوا من العرب ولئلا يخفي بعضهم على بعض في الحرب،

1- فمنها ما ذكره ابن الشباط بقوله:" ... لم يجد في البيت شيئا غير تابوت عليه نسيج العنكبوت فيها تصاوير رجال فرسان معممين متقلدين سيوف، ... تحت الأرض فيه صور من المرمر تشتمل العباء والشمال متعممة بالعمائم / وصف الأندلس، المصدر السابق، ص104.

2- نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص245.

3- ترتيب المدارك، ج1، ص310.

فصار الحلاق عادة في البربر في بريد الوسط من يومئذ وكانوا قبل يحملون الشعور كالمصامدة اليوم"[1]، فالنص يكشف لنا أن فرع مصمودة حافظ على موروثه الاجتماعي والمتمثل في إسبال الشعور ولم يتأثر بعادة حلق الرؤوس التي ابتدعها البربر من هذا التاريخ والتي سنتكلم عليها لاحقا.

ومن الدلائل التاريخية التي تساعدنا على اكتساب قناعات علمية على أن بربر مصمودة حافظوا على نمط ملامح شخصيتهم حتى بعد دخولهم الأندلس، والمتمثل في إسبال الشعور لدى الرجال وإلا كيف نفس قيام محمود بن عبد الجبار بن زاقلة المصمودي باحتيال في تكثير رجاله من البربر في عين العدو لما " أمر نساءهم بإسبال الشعور وركوب الزوامل إذ أشرفت جميلة أخت محمود في مركب النساء من كدية مطلة، والعلم مرفوع بيدها، فلما نظر أهل باجة إلى جمعها لم يشكوا أنه مدد لمحمود"[2]، فلم يكن أهل باجة تنطلي عليهم حيلة محمود بن عبد الجبار لولا تعودهم على رؤية رجال مصمودة مسدلي الشعور مثلهم مثل النساء.

أما عن عادة حلق الرؤوس التي وردت في النص المذكور أعلاه، فرغم أن النص يشير أنها ارتبطت بالأندلس لسنة 123هـ/740م، ليتميز البربر عن العرب في المعركة التي واجهت الطرفين،إلا أنه ثمة عدة إشارات تاريخية تبين أن هاته العادة كانت موجودة منذ قديم الزمان، وإن كان صاحب مفاخر البربر يحاول أن يوجِد لها تبريرا دينيا لهذه العادة التي امتاز بها بني جنسه لما ربط المسألة بسؤال عمر بن الحطاب لما قدم "عليه ستة نفر من المغرب حالقي الرؤوس واللحى فقال لهم: فما بال رؤوسكم ولحاكم، قالوا شعر أنبته الكفر، أردنا بذلك شعرا ينبت في الإسلام"[3]، وابن خلدون بدوره يشكك في المسألة لما قال "ورؤوسهم في الغالب حاسرة ربما يتعاهدونها بالحلق"[4].

1– مجهول، فتح الأندلس، ص 54.
2– ابن حيان، المصدر السابق، السفر 2، ص439.
3- مفاخر البربر، ص180.
4- ابن خلدون، المصدر السابق، ص1597.

في حين أن هيرودوت يؤكد مسألة إسبال الشعر وحلقه بذلك ويثبت أن هذه العادة كانت موجودة ومتجذرة في عوائدهم منذ القدم بقوله " الماكسيس يتركون شعر رؤوسهم ينمو على الجهة اليمنى للرأس، في الوقت الذي يحلقون فيه شعر الجهة اليسرى"[1]، ولعل عادة حلق الرؤوس كانت موجودة في المغرب كما كانت موجودة في الأندلس ففي الوقت الذي كان فيه زيري بن عطية يلقب بالفرطاس* في بلاد المغرب، فإن بني رزين كان يعرفون في الأندلس ببني الأصلع[2]، فهل هذا راجع لعادة الحلق الموجودة في أسرهم.

ومن مفيد أن نختم بعبارة بليغة وردت عند أحد المؤرخين، عن مظاهر الحياة الاجتماعية لدى البربر في بلاد المغرب، لكن بما أن رواسب هذه المظاهر بقيت عالقة في ذهنية بربر الأندلس رغم تواجدهم في مناخ مغاير إلى حد ما ارتأت الدراسة أن تختم به لبلاغته، حيث قال "وجدت في بعض التقاليد ما معناه لو رأى أرسطو قدر البرنس في اللباس والكسكسو في الطعام والحلق بالموسى في الرأس لاعترف للبربري بحكمة التدبير الدنيوي وأن لهم قصب السبق في ذلك"[3].

إن ما تم استبيانه سابقا فيما يخص مظاهر الواقع الاجتماعي للبربر بمكوناتها المختلفة في بلاد الأندلس، والتي ركزت فيها الدراسة على توضيح قضية مهمة، وهو أن البربر كمجموعة إثنية متميزة تطابقاتها المختلفة ونشاطاتها المهنية، وإن حاولت فئة منهم أن تخترق البنية الاجتماعية الأندلسية عن طريق قاعدة الاندماج والانصهار بتوليها المناصب العليا والخطط النبيهة وذلك بموالاتها لدولة بني أمية

1- أحاديث هيرودوت، المصدر السابق، ص77.

*- كلمة فرطاس مصطلح بربري ينطق بلسان البربري " أفرضاس" أو " أفرضاض"، من الفعل " ئفرضن" ومعناه صفة للأجم من الكباش، ثم الأصلع أو الأقرع من الرجال/ محمد شفيق، الدارجة المغربية مجال توارد، المرجع السابق، ص144.

2- ابن الآبار، الحلة السيراء، ج2، ص 108,

3- الحسن بن مسعود اليوسي (ت 1102هـ/ 1690)، محاضرات في الأدب واللغة، تحقيق محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1402هـ/ 1982، ص 66.

وساطتها، إلاّ أن المظهر الاجتماعي والثقافي لم يبرز بصورة جلية كل عناصر الاختلاف العرقي في البنية الاجتماعية الكبرى.

ويبدو أن الحساسية الزائدة والأنفة والكبرياء التي تتميز بها الشخصية البربرية والعصبية القبلية إلى جانب النظرة الاحتقارية والدونية التي تنظرها الأطراف الأخرى المكونة للمجتمع الأندلسي حالت دون أن تُحدث ذلك الاندماج والانصهار والذوبان المطلق الذي يستشفه المرء من دلالات ومعايير حقيقية لمعنى هذه الألفاظ داخل التركيبة الاجتماعية.

البربر والخصوصية الثقافية في بلاد الأندلس

أ- اللسان البربري في الثقافة الأندلسية

إن دراسة اللسان البربري في الأندلس يعد مطلبا صعب المنال، لاسيما إبان الفترة الزمنية التي تعالجها الدراسة؛لشح المادة التاريخية في هذا الموضوع، لأن مصادر العصر الوسيط عودتنا على تقديم أخبار سياسة وعسكرية، تخص شريحة معينة من المجتمع بالدرجة الأولى أكثر مما هي اجتماعية محضة، فما بالك إذا تعلق الأمر بالبربر ولسانهم في الأندلس!؟

مما زاد من صعوبة الموضوع هو تحامل بعض المؤرخين خصوصا المستشرقين منهم على البربر معتمدين في ذلك منهجا تعسفا وهو ما يؤكده أحد الباحثين الذي لم يخف امتعاضه عندما قال عن ليفي بروفنسال أنه "ينطلق من تصور وضعاني يجعل الوثيقة المكتوبة وحدها مصدر الأخبار وغيابها يعني غياب الظاهرة التي تتعلق بها"[1].

وهو الأمر الذي استدعى قراءة واسعة ومتأنية في مختلف مصادر الغرب الإسلامي في فتراته الزمنية المختلفة سواء كانت تاريخية أو جغرافية أو أدبية أو طبية أو فلاحية أو لغوية، فضلاً عن كتب الطبقات والتراجم والمناقب والأمثال، وعيا من

1- محمد حقي، البربر في الأندلس ، المرجع السابق، ص 132.

الدراسة أن اللغة البربرية تشكل واقعا وإشكالا تاريخيا في بلاد الاندلس لا يمكن أن نجاوزه أو نعرض عنه بحجة إنعدام الخبر الصريح في هذا الموضوع

1. تحديد مصطلح اللسان البربري في المصادر الوسيطية:

يقول ا تعالى في محكم تنزيله العزيز**وَمِن آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِن فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ[1]**⊱، ولو شاءت عزته لجعل ألسنة الشعوب واحدة. و اللسان البربري أحد هذه الألسنة.

تمازيغت كما عرفت عند مارمول[2] أو أوال أمزيغ أي الكلام النبيل[3]، وهي الغة الإفريقية الأصيلة الممتازة والمختلفة عن غيرها من اللغات[4]، ولو انصرفت إليها عناية الناقلين لملأت الدواوين كما قال ابن خلدون[5]، وعرفت عند التميمي والبيدق باسم اللسان الغربي[6]، بينما عرفت في المصادر الأندلسية بالبربرية[7]، والبربرة بلسان العرب هي اختلاط الأصوات الغير المفهومة[8]، إلا أن ليون الإفريقي كان أكثر جرأة في إبانة التعريف مفصحا عما حاول ابن خلدون توريته بقوله: البربر كلمة مشتقة من الفعل العربي بربر بمعنى همس، لأن اللهجة الإفريقية كانت عند العرب بمثابة أصوات الحيوانات العجماوات[9]. والتعريف الذي أورده ليون الإفريقي نجد له ترجمة في المصادر الوسيطبة أنذاك، وذلك أن أحد الفقهاء تمنى دعاء فقال: "اللهم

1- سورة الروم، الآية رقم: 22

2- كربخال مارمول، افريقيا، الترجمة عن الفرنسية: محمد حجي محمد زنبير،محمد الأخضر،أحمد التوفيق، أحمد بن جلول، دار النشر للمعرفة، الرباط، 1984، ج1، ص 116.

3- وصف إفريقيا، المصدر السابق، ج1، ص 39.

4- المصدر نفسه، ص 39.

5- تاريخ العبر، المصدر السابق، ص 1606

6- التميمي(أبي عبد ا محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي ت603هـ)، كتاب المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق: محمد الشريف، منشورات كلية الأداب، تطوان،2002،ج2،ص36/ أبو بكر علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،ط2، 1986،ص90.

7- أبو بكر بن القوطية، تاريخ إفتتاح الاندلس، ص39 / الذخيرة في محاسن الجزيرة،ص /الإحاطة،ج1،ص128./ اسماعيل ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1423هـ -2003م، 18.

8- ابن خلدون، العبر، ص1597.

9- ليون، الإفريقي، الرجع السابق، ص 34.

أمتني قبل أن يخرج قوم من هذا الوجه ينبحون نباح الكلاب قيل له : تريد من هذا الغرب نحو أرض البربر قال نعم.[1]

وما هذه الاستعارات التي أخذت من أبعاد حيوانية، ما هي في الحقيقة إلا محاولة لتكريس وطمس موروث ثقافي لغوي استعصى فهمه وتلقينه، "وما اللغات إلا ترجمانا، عما في تلك المعاني، يؤديها بعض بالمشافهة في المناظرة والتعليم"[2].

ومن الملفت أن ننبه إلى إشارة نصية في غاية الأهمية وردت عند أحد المغربيين لما ذكر إفريقية بقوله:"وإنما بها بربر أغتام لا يميزون شيئاً"[3]، فإذا استجوبنا مرادف هذه اللفظة في المعجم اللغوي لابن منظور يفيدنا بما يلي، الأغتام: غتم، الغُتْمةُ: عجمة في المنطق، ورجلٌ أَغتَم وغُتْمي: لا يفصح شيئا[4].

إن في هذا التعريف التي ألحقت صفته بقوم البربر لا تخلو من دلالة البعد العنصري والتفاضلي بين اللغتين العربية والبربرية، على اعتبار أن العرب لم يزالوا موسومين بين الأمم بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق والذلاقة في اللسان ولذلك سموا بهذا الإسم[5]، فإنه مشتق من الإبانة لقولهم أعرب الرجل عما في ضميره ضميره إذ أبان عنه.

ومن هنا نفهم حجم معايير المفارقة اللفظية بين رطانة* البربر وفصاحة العرب وذلك بهدف ألا تلتقي لا بإسم ولا بالوصف، وإن كنا قد وضحنا في غير هذا المكان

1- المالكي، رياض النفوس، ص 234.
2- إبن خلدون، المقدمة، ص 563.
3- القاضي النعمان أبو حنيفة محمد بن حيون التميمي المغربي، المجالس و المسيارات، تحقيق: الحبيب الفقي و إبراهيم شبوخ، محمد اليعلاوي،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1997،2 ، ص 173.
4- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب،دار صادر، بيروت، ط1، 1997، ج5،ص11.
5- مقدمة ابن خلدون، ص.576
*- رطن: رطَن العجمي يرطُن رطْناً: تكلم بلغته و الرطانة و الرطانة و المرطانة: تكلم بالعجمية، وقد تراطنا تقول: قد رأيت أعجميين يتراطنان، وهو كلام لا يفهمه العرب/ ابن منظور، لسان العرب،ج3،ص84./ كما أنه ثمة مؤلف اهتم بهذه اللفظة لمؤلف مجهول، الجمانة في إزالة الرطانة، تحقيق: حسن عبد الوهاب، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة العدد9، 1953.

دور العامة في التنكيت بجنسهم فهي أيضا لم تفوت عليها التنكيت بلغتهم أيضا بقولها: " كْلاَ مكُم يالْبربر قُلوه وعودوه"[1]. ولم يقتصر قصور فهم العامة للغة البربرية بل طال هذا النقص حتى الفئة المثقفة التي حاولت تعلم اللسان البربري لكن ذاك استعصى عليها نظرا لصعوبتها وصدى هذا الكلام نلمسه من خلال الحوار الذي دار بين بين الطبيب ابن زهر[2] وأحد الخلفاء الموحدين، فقد حكي أنه قدم من إشبيلية إلى مراكش " سمع أهل الحضرة يتخاطبون بينهم باللسان المصمودي فتشوق لتعلمه، وقال : يا سيدنا أمير المؤمنين: غبطت إخواني الذين يشاركون في فهم هذه اللغة فلو أذنتم للملوك في تعلمها ؟ فأجابه إلى ذلك، وأمر أن تكتب له تلك اللغة فغاب زماناً وحضر يوما بين يدي الخليفة فقال: ماذا صنعت في تعلم اللسان؟ فقال: يا سيدنا، صعب علي تعلمه و لي زمان طويل أحاول فهمه وتعلمه فلم أحفظ منه إلا لفظة واحدة في هذه المدة الطويلة، فقال: يا مولاي:" اوش" فضحك الخليفة و قال له: السمع والطاعة ومعنى هذه اللفظة: أعطني فأعجبه ذلك وأعطاه ما أرضاه، ثم قال: امض على تعلمك فغاب عليه قدر تلك المدة أو أكثر، ثم جاء فسأله: هل تعلمت شيئا، فقال: نعم يا مولاي، لفظة أخرى، فقال: وما هي، قال: "ارنو" ، فضحك وأعجبه، وقال: السمع والطاعة، وأعطاه وضاعف له العطاء ومعنى هذه اللفظة في اللسان: زدني، قال الخليفة إن وجدت لهما ثالثة فافعل"[3].

ومن يتمعن في قراءة النص يدرك جيدا خلفية الحوار الذي بدوره يعكس ظاهرة اجتماعية آنذاك تتمثل في أن تعلم اللسان البربري لم يكن لهف علمي نبيل بقدر ما كان يهدف به التودد والتقرب من الخلفاء تزلف

1- مجموع أبي مدين الفاسي، تاريخ الأمثال و الازجال في الأنداس والمغرب،المصدر السابق،ص408.
2- هو أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر، فهو عين ذلك البيت، وإن كانوا كلهم أعينا علماء رؤساء حكماء وزراء، وقد نالوا المراتب العلية، وتقدموا عند الملوك، ونفذت أوامرهم، وكان الوزير أبو بكر بن زهر بمكان من اللغة مكين، ومورد من الطب عذب معين، وكان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب، مع الإشراف على جميع اقوال أهل الطب، و المنزلة العلياء عند أصحاب المغرب، مع سمو النسب، وكثرة الأموال و النسب، ولد سنة سبع وخمسمائة، توفي سنة595هـ./ نفح الطيب،ج2،ص373.
3- ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا خيسوس بيغرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981،ص344.

2. اللسان البربري في بين الازدواجية والتعريب التام:

من خلال القرينة التاريخية التي تتزامن ومنصف القرن الثاني للهجرة التي أفادنا بها أحد المؤرخين حين قال:"فسمع كلام البربر يتكلمون في العسكر بالبربرية، فدعا بمواليه من البربر، مثل بني الخليع وبني وانسوس وغيرهم فقال لهم: خاطبوا بني عمكم وعظوهم... فلما أظلم الليل دنوا من العسكر، وخاطبوهم بالبربرية فأجابوهم..."[1]، يتضح لنا بجلاء من خلال هذا النص أن اللغة البربرية كانت إلى جانب العربية مجال تداول وتخاطب بين الأوساط البربرية في المجتمع الأندلسي

إلا أن بعض الدارسين تبنوا اتجاها أحاديا في معالجتهم لمسألة اللسان البربري في الأندلس وذلك بتبنيهم فكرة التعريب التام والكامل للبربر فليفي برفنسال يفترض " أنه لم يبق أحد ممن يتكلم اللغة البربرية في الأندلس انطلاقا من القرن التاسع الميلادي[2]" أي الثالث الهجري، وحجته في ذلك انعدام النصوص المكتوبة التي تفند فرضيته؛ ويؤازره في الرأي من المؤرخين العرب حسين مؤنس ويستطرد في القول: إن الجيل الأول منهم لا يكاد ينقضي حتى يطلع الجيل أندلسيا قد أنسى أصله... ومن الناحية العقلية المعنوية فكانوا يجتهدون في التعرب، ومن هنا كانت أسماء جماعتهم ذات الأسماء العربية، ومن الواضح أن البربر كانوا أسرع اندماجا من العرب في البيئة الجديدة، فالبربر لم يكن هناك ما يحول بينهم و بين الإندماج، لا عصبية ولا لغة مكتوبة[3]".

في حين يتخذ بعض المؤرخين موقفا معتدلا من خلال تبنيهم لفكرة إزدواجية اللغة في الوسط البربري، مؤكدين في ذلك أن عملية التعريب شهدت تطورا ملحوظا

1- ابن القوطية، المصدر السابق، ص39.

2-E.Levi Provençal, Histoire de L'Espagne musulmane ,éd Maisonneuve Paris1950,.tome3,169.

3- فجر الاندلس، المرجع السابق، ص395-396.

لكنها لم تقض على اللغة البربرية[1]، إلاّ أن أصحاب هذا الإتجاه يفتقرون إلى أدلة تاريخية، مخضعين المسألة لقانون تطور و إنتشار اللغات الذي يتطلب وقتا طويلا[2].

لم يستطع أصحاب هذا الإتجاه أن يذهبوا أكثر من ذلك، فرغم أن نظريتهم مبنية على حدس منطقي رصين، إلا أنها تبق عاجزة عن التصدي والوقوف أمام دعاة التعريب التام، التي يحتجون دوما بالغياب التام لأسماء أماكن بربرية باستثناء القبائل نفسها ضمن مجموعة أسماء الأماكن في الأندلس[3]، ولنا في هذه الحالة أن نقبل بازدواجية اللغة في الوسط البربري محاولة الدراسة مناقشة ومجادلة الإفتراضات التي أدلى بها دعاة التعريب التام، حتى لا يكون البحث محض تكرار لما كتبه بعض الباحثين في هذا الموضوع[4].

فإذا كانت منهجية المؤرخ بروفنسال تعتمد بالدرجة الأولى على غياب النصوص التاريخية التي تقتضي بالضرورة غياب الظاهرة التاريخية، وهو فعلا ما حاول تطبيقه في هذه المسألة من خلال إقصاء اللغة البربرية، وتكريس مبدأ التعريب التام، وقبل الخوض في دراسة هذا المنهج، سوف نبتلع نمط وآلية القراءة لديه والمتمثلة في غياب النصوص التاريخية التي تفند طرحه، إذ نجد أن المؤرخ في موقف متناقض من أمره، فهو أيضا عاجز عن تقديم أدلة نصية تدعم وتثبت وجهة نظره، ولذلك فلا يمكن أن نتصور أن مدة خمسن سنة- إذا أخذنا بالنص السابق والمحدد في منتصف القرن الثاني للهجرة وبالتحديد 149هـ/759م- كافية لأن تُفقد البربر لغتهم الأم بهذه السهولة ابتداء من القرن الثالث الهجري.

بل لم تراع في هذه المسألة لا الظروف السياسية، ولا الاجتماعية ولا الثقافية المتحكمة في عنصر اللغة، كما انه لم تستحضر طبيعة العصر آنذاك وبالتالي طبيعة

1- قدم الباحث محمد حقي تحليلا علميا في هذه المسألة، لكنه فيما يبدو تجنب أدلة التعريب التام و خاض في المسألة من جانب آخر.

2 - Delaigue (h.m), *Possible influence berbère dans la céramique médiévale de la région de Valence*, Bulletin D'archéologie Marocaine, T. 15/1983-1994,p494. نقلا عن محمد حقي، المرجع السابق،ص131.

3- نفس المرجع،ص131.

4 - Levi Provençal,op.Cit,p169.

المصنفات وما نتج عنها من الموضوعية والسلبية في التأريخ، والشيء الأهم أنه لم تراع ولم تستوعب التطورات والتحولات العميقة التي رافقت اللغة العربية بالدرجة الأولى في بلاد الأندلس، ولكن هذا لا يمنعنا من أن ننطلق من نفس الدليل الذي احتج به ليفي بروفنسال، وسبق أن أشرنا إليه سلفا والمتمثل في انعدام الأسماء البربرية باستثناء القبائل البربرية في بلاد الأندلس لا يدل بالضرورة على عجزهم عن إطلاق مسميات أخرى بلغتهم ، بقدر ما يدل على تفشي خصوصية الروابط الاجتماعية لديهم والمتمثلة في التمسك بالنظام القبلي في بلاد الأندلس[1]، كما أن القراءة الموسعة والتدقيق في المصادر التاريخية يظهر لنا العكس، وإن كانت أدلة محتشمة إلى حد بعيد

إذْ احتفظ لنا أحد الجغرافيين باسم أحد الأبواب لأحد الأسوار بمدينة قرمونة* حين قال" و في هذا السور القبلي باب يعرف بباب يرني إلى قرية بإزائه تسمى يرني"[2]. لنبتة شائعة في بلاد المغرب و الأندلس يحفر على عروقها فتقلع وتطحن منها رغيفا لسد الرمق[3] . كما أنه ثمة إشارة مهمة وردت عند ابن الأبار بقوله "فاستبد تميم بالمملكة ودخل إليه القضاة والفقهاء ووجوه القواد والأجناد وقد برز إليهم من الطاق"[4]،نلاحظ أن ابن الأبار احتفظ لنا بكلمة غريبة عن العربية والمتمثلة في "الطاق" واستنادا إلى المعاجم التي اهتمت بجمع التراث الأمازيغي أنّها لفظة بربرية تعني النافذة[5]، ويبدو أن ابن الأبار لم يكن ليحتفظ لنا بهذه الكلمة- ولاسيما أنه مؤرخ أندلسي معروف بعدائه للبربر- فإما أن الكلمة كانت متداولة في الأوساط العربية

1- سحر السيد عبد العزيز سالم، الجوانب الإيجابية والسلبية في الزواج المختلط في الأندلس(دراسة سياسية،أدبية،إجتماعية)، مجلة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، تنسيق: محمد حمام، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط ، سلسلة ندوات ومناظرات رقم: 48،ط1، 1995،ص46.

*- مدينة بالأندلس في الشرق من إشبيلية ، بينها وبين استجة خمسة وأربعون ميلا/ الحميري، الروض المعطار، ص158

2- الحميري، نفس المصدر،ص 159.

3- ابن ليون،اختصارات من كتاب الفلاحة (نص أندلسي من العصر المرابطي مستخاص من أصل فلاحي مفقود لمحمد بن مالك الطنغري)، دراسة وتحقيق: أحمد الطاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2001،ص99.

4- ابن الابار، الحلة السيراء،ج2،ص22.

5- شعبان بوغريسة، قاموس أمازيغي عربي، دار السعادة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر ص 198.

الأندلسية فحسبها المؤرخ أنها كلمة عربية، أو أن المؤرخ اعتمد على مؤرخ بربري في تدوين هذا الخبر وحافظ على أمانة الخبر ولاسيما أن محقق الكتاب أشار إلى هذه العبارة بقوله" لم أفهم المراد بهذه العبارة، وابن الأبار لا يكتب شيئا إلا عن تدقيق، والمفهوم من العبارة أن تميم بن المعز كان بعيدا عن أبيه، وأنه تخوف عندما جاءه خبر موت أبيه من أن يكون الخبر خدعة، ولهذا فقد كلموه من خارج قصره، فلما اطمأن إلى صحة الخبر برز إليهم من الطاق"[1]

كما أن ابن ليون احتفظ لنا بالعديد من المصطلحات البربرية المستعملة في مجال الفلاحة ومن الإشارات التي تؤكد لنا ذلك منه قوله:" وقيل أن النخلة إذا غرست في الصلح وهو **اذقة** و يقال له اللوقة مع ربعها زبلا جاءت صالحة"[2] ويشير أحمد الطاهري أن لفظة أذقة: كلمة بربرية أمازيغية تقال لصنف من التراب الأحمر الذي يستخرج بالحفر في أماكن وجوده، عادة ما يستخرج في صناعة الفخار[3]. ومنها أيضا " ويعقد اللبن من الشجر لبن التبن ولبن الخرشف وعساليج الشرقيق وهي **تاغدوت**"[4] ومصطلح تاغدوت : كلمة بربرية تعني خصلة عشب أو نبات[5]، ومن المصطلحات البربرية الفلاحية في قوله:"ولا تزرع الزوان وهو الشيلم و هو ما ينبت في القمح وكثيره يكسر ويقول له البرابر **أيد"**[6]. ومن بين الألفاظ البربرية المغربية التي غزت الكتابات الأندلسية لدينا لفظة "بريح"، التي يشير إليها المختصون أنها لفظة بربرية معناها المنادي[7]، حيث ورد عند صاحب الأندلس بقوله:"فقام البريح بقرطبة ألا يبقى بها أحد من بني أمية وأن لا يسترهم أحد و لا يكنفهم"[8]، إن عثور مثل هذه الأدلة وأن كانت ضئيلة جدا ما يؤكد أن الطوبونومية البربرية التي أطلقت على كثير من المواقع في بلاد الأندلس لم تقتصر على أسماء قبائل فقط، كما أن

1- الحلة السيراء، ج2،هامش المحقق ،ص23
2- اختصارات من كاتب الفلاحة، ص92.
3- اختصارات من كاتب الفلاحة، ص92.
4- نفسه، ص130.
5- نفسه،ص 130.
6- نفسه، ص112.
7- شعبان بوغريسة، المرجع السابق، ص 66
8- تاريخ الأندلس، المصدر السابق، ص 249.

المصطلحات البربرية لم تقتصر على أسماء القبائل فقط كما ادعى ليفي بروفنسال. غير أنه لا نريد أن يدفعنا الحماس لهذا الإستنتاج، لإعتقاد الدراسة أنه غير كافي في الحسم في هذه المسألة مما يتوجب تناولها من زاوية أخرى.

فما هو ثابت ولا يختلف حوله إثنان، أن الحروف التي نطقت بها العرب هى ثمانية وعشرون حرفا "وقد يكون لأمة من الحروف ما ليس لأمة أخرى"[1]، والبربر كغيرهم من الأمم يختصون بحروف غير موجودة في لغة الضاد، كالكاف المتوسطة المحصورة بين الكاف الصريحة والجيم والقاف في حروف العرب[2]،ويمضي ابن خلدون بشرح هذا الحرف البربري بمثال توضيحي كاسم" بلكين" فأضعها كافا و أنقطها بنقطة الجيم واحدة أو القاف[3]، واخترنا هذا الحرف لأنه لأنه أكثر ما يجيئ في لغة البربر حسب قول ابن خلدون[4]، لكن إذا راعى هذا المؤرخ المغربي هذه النقطة وحمل على عاتقه مهمة عدم تغيير لغة القوم؛ فما هي الإستراتجية التي اتبعها وتعامل معها المؤرخون الأندلسيون في شأن لغة البربر؟.

وبقراءة متأنية ومتبصرة في الأدبيات الأندلسية نجد أن المؤرخين لم يولوا اهتماما فيما يخص لغة البربر، بل اتبعوا سياسة الإقصاء نحوهم وخير دليل على ذلك ما ورد عند ابن حيان حين يقول" فخرج عليهم الفاسق عبد الرحمن بن مروان بمن معه من المشركين، فأوقع بهم في موضع يعرف بالبربرية، فصبر له المجاهدون، فقاتلوه قتالا شديدا"[5]. نلاحظ من خلال النص أن ابن حيان قد اكتفى بعبارة "في موضع يعرف بالبربرية"، فهو لم يزودنا باسم المكان البربري الذي جرت فيه أحداث هذه المعركة، ونشك أنه كان جاهلا بحقيقته، ولاسيما أن المؤرخ

1- مقدمة ابن خلدون،ص 44.
2- نفسه، ص 44.
3-نفسه، ص45.
4- نفسه، ص45./* ضرب ابن خلدون أمثلة أخري في حروف البربر التي ليست في اللغة العربية و منها في فصل تسمية زناتة و مبنى هذه الكلمة بقوله" فاعلم أن أصل هذه اللفظة التي هي زناتة من صيغة جانا و نطقهم بهذه الجيم ليس من مخرج الجيم و السين وأميل إلى السين، و يقرب للسمع بعض السفير، فابدلوها زايا محظة لاتصال مخرج الزاي بالسين،فصارت زانات، و حذفوا الألف التي بعد الزاي تخفيفا لكثرة دورانه على الألسنة./ العبر، المصدر السابق،ص180
5- المقتبس، محمود علي المكي1973،ص384.

معروف بتدقيقه في ذكر تفاصيل أخباره، ولعل موقفه هذا ما هو في الحقيقية إلا تغييب متعمد للعناصر الإخبارية التي تحتمل الإفصاح عن اسم المكان البربري، ولم يشأ ابن حيان إيراده في هذا الخبر، ولاسيما أن المصادر التي احتفظت بنقولات ابن حيان أكدت بدورها أن المؤرخ كان يعتمد مثله مثل غيره من المؤرخين[1] في أن يستقي روايات خبرية من أصل بربري في توثيق أخباره ونلمس ذلك من خلال هذه العبارة التاريخية "قال عبد الرحمن بن عون ا في مختصره لتاريخ ابن حيان : حكى سعيد المرابط قال لما انهزمنا من عقبة البقر ووصلنا إلى قرطبة لنحمل عيالنا وأهلينا ... وعبرنا النهر أسفل الزهراء وهو كبير فقدنا فيه من عيالنا وأبنائنا وأتباعنا خلقا."[2]، فموقف ابن حيان دليل على تعصب ومحاولة إقصاء وتهميش كل ما له علاقة بجنسهم وثقافتهم، كما أن هذه الحادثة تكررت ولكن هذه المرة بإعطائها طابع شرعيا دينيا ، إذ ورد في إحدى المسائل الفقهية عند ابن رشد "عمن قال لا يحتاج إلى لسان العرب* هل يلزمه شيء فرد بجوابه: إنه جاهل وعليه التوبة وإنه لا يصح شيء من أمور الديانة و الإسلام إلا بلسان العرب[3]"، ومن المهم هنا أن نعقد مقارنة بين النازلة، وما ورد على غرارها عند أحد الفقهاء المغاربة الذي سأله أحد السائلين عمن لا يعرف العربية هل له أن يدعو بالبربرية في صلاته، فأجاب: بأن ا أعلم بكل لغة[4].

1- أمثال ذلك ابن حزم في جمهرته، ص 500

2- أبو بكر بن العربي، شواهد الجلة والأعيان، المصدر السابق ص377.

*- اهتم أحد المؤرخين بجمع الألفاظ الغير العربية الواردة في القرآن الكريم ، و منها ما ورد في القرآن باللغة البربرية و عل سبيل المثال: في قوله تعالى من سورة عبس الآية 31.﴿ و أبا﴾ أنه الحشيش بلغة البربر وذكر بعضهم أن " القنطار" بلغة البربر ألف مثقال من الذهب و الفضة / جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي ، المتوكلى فيما ورد في القرآن باللغات : الحبشية والفارسية والرومية والهندية والسريانية والعبرانية والنبطية والقبطية والتركية والزنجية والبربرية ، تحقيق: عبد الكريم الزبيدي ، دار البلاغة ، بيروت، ط1، 1408هـ - 1988.،ص152.

3- مسائل أبي الوليد ابن رشد (الجد) ، تحقيق: محمد الحسن التيجنتاني، منشورات دار الأفاق الجديدة، المغرب،ط،1992،مج1،ص476-477.

4- أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المغرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1401هـ - 1981م، ج1، ص186./ يمكن مراجعة الجزء الرابع، ص300.

ورغم محاولة السلطة الأموية أن تحتوي الأجناس المكونة للمجتمع الأندلسي من خلال فرض اللغة العربية عليهم بطريقة كانت استبدادية إلى حد ما.

ونلمس هذه السياسة من خلال المحنة التي تعرض إليها أحد العلماء اللغويين في القرن الرابع الهجري جراء كلمة عامية نطق بها نقلت عنه[1]،إلاّ أننا لا نعدم من الإشارات رغم سياسة الإقصاء والتحامل والمضايقات أن الأندلس كانت تشهد ازدواجية في اللغة من طرف كل الأجناس فكثير منها لا يعرف التحدث باللغة العربية[2]،وما يؤكد هذه الظاهرة التساؤلات التي كانت تصل العلماء حول هذه المسألة فتمام بن عفيف بن تمام الواعظ المتوفي سنة 451هـ كان يقول إذا سئل عمن لا يحسن العربية: إذا أعربتم أعمالكم، ما ضركم كلامكم"[2]، وقد يستدل بهذا النوع من الأسئلة على الأصل الإثني للسائلين.

كما أن هذا النص يوضح أن العربية كانت محصورة فقط في مجال العمل والإدارة، وبالتحديد في منطقة قرطبة باعتبارها قاعدة الأندلس وأم المدائن ومستقر الخلافة ودار الإمارة[3]، و الدراسات تؤكد استمرارية الاختلافات اللغوية على الصعيد الإقليمي[4]، والبربر ليسوا بمنأى عن هذه الاختلافات، فمنطقة فحص البلوط التي تشير المصادر أنها منطقة آهلة بعناصر بربرية[5]، فابن حزم يقول عنها أيضا "سمع لغة فحص البلوط وهي ليلة واحدة من قرطبة يقول إنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة"[6]

وعلى صعيد آخر استفاد أحد الباحثين من النصوص التاريخية المتناثرة في المصادر التاريخية، فيما يخص وضعية اللغة البربرية في المغرب الأقصى خلال العصر الوسيط، ومن أهم النتائج التي توصل إليها فيما يبدوا أن عامل اللغة فضلا عن دور الدعوة الدينية والعصبية القبلية في قيام الدول لها دور كبير في نجاح أو

1- ابن بشكوال، المصدر السابق، رقم02، ص21.
2- ابن بشكوال، المصدر نفسه، رقم13،ص113.
3- الرشاطي و ابن خراط الإشبيلي، الأندلس في إقتباس الأنوار، المصدر السابق ص179.
4- أحمد الطاهري، عامة قرطبة، المرجع السابق، ص 172.
5- ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق،ج1،ص492.
6- ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق لجنة من العلماء، دار الحديث، ط1، 1984، مج1،ص31.

فشل الثورات والحركات، فهو يؤمن أن زعماء الدعوات الدينية والحركات الإصلاحية المغربية فطنوا إلى نجاح حركاتهم مرهون بمدى تواصلهم اللغوي مع فئات الجماهير أو العصبيات القبلية التي تشكل خزانا بشريا يمدها بكل أشكال المساندة والدعم[1] وما يؤكد ذلك فشل ثورة لثائر يدعى عبد الرحمن، وهو من سلالة ملوك القاهرة الفاطميين، إذ باءت الثورة التي قادها في مراكش لهذا السبب " فلم يزل ينتقل في قبائل البربر من موضع إلى موضع، وفي ذلك كله لا يستقيم له أمر ولا تثبت عليه جماعة، أوجب ذلك كونه غريب البلاد واللسان لا عشيرة له، ولا أصل بالبلاد يرجع إليه[2].

ألا يعقل أن يكون بربر الأندلس قد عاشوا وضعية مشابهة خصوصا أن المصادر احتفظت لنا بالعديد من الثورات التي قام بها البربر في بلاد الأندلس كانت تحت قيادة زعامات من أصول بربرية آمن بشرعية هذه الثورات أغلبية العناصر البربرية ولاسيما في شرق الأندلس[3]، ومما شجع على تبني هذه الفكرة هو أن عبد الرحمن الداخل لم يكن ينتصر على مناوئه من العرب لـولا فطنته على أهمية استعمال الحيلة عن طريق اللسان لإنجاح ثورته من خلال دعوته لمواليه من البربر "مثل بني خليع وبني وانسوس وغيرهم، وقال لهم: خاطبوا بني عمكم و عظوهم وأعلموهم أنه إذا تغلب العرب وقطعوا دولتنا، فلا بقاء لهم معهم[4]".

ولا يساورنا الشك في مدى احتفاظ البربر بلغتهم الأم فضلا عن اللغة العربية مع استغلالها في الوقت المناسب في بلاد الأندلس من خلال توظيفها في مجالات تمرير الخطابات فيما بينهم ولاسيما أيام الحروب[5]، وما يزكي هذا القول الإيماءات

1- إبراهيم القادري بوتشيش، اللغة الأمازيغية في المغرب الأقصى خلال العصر الوسيط، ضمن كتاب حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2006، ص69.

2- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المصدر السابق، ص465.

3- على سبيل الذكر ، ثورة شقيا بن عبد الواحد المكناسي سنة 153هـ، و فتنة البربر بشنتبرية سنة 150هـ/ ابن عذاري، المصدر السابق،ج2،ص54.

4- إبن القوطية، المصدر السابق،ص 39./ أخبار المجموعة،

5- فيما يخص هذه الفكرة قالت العامة:" براني و يطلب معاني"/ مجموع أبو يحي عبيد ا الزجالي، المصدر السابق،ج2،رقم565،ص220./ براني: لفظة بربرية معناها خارج وفي هذا المثل تعني غريب / شعبان بوعريسة، ص82.

العابرة التي احتفظت لنا بها بعض المصادر ومنها ما ورد عند ابن حيان عن هزيمة ابن القط سنة288هـ لما خذلته البربر حين قال" فلما رأى الفاسق زغلل بن يعيش ورجال نفزة ما فتح ا لهذا الداعي من هذه الهزيمة فحسدوه عليها وقالوا بينهم إن تم لهذا الرجل هذا الفتح العظيم وانصرف على ما قبلنا لم نسكن بلادنا معه وخرجنا عنه من أجله وإذا لم تمكنا منه الفرصة فهلم فلنقر عليه الهزيمة **فتنادوا بشعارهم** وولوا بنودهم راجعين"[1]،ومنها أيضا ما ورد عن قصة المهدي المرواني مع البربر"... أن نادهم بعض شيوخهم بالبربرية : الخيل، الخيل فاتكؤوا بالرماح على خيول الكفرة فنكسوهم"[2]، كما ورد عل لسان محمد بن مالك الطنغري مع أحد وزارء البربر أنذاك بقوله: فتكلم الوزير سماجة باللسان البربري مع عبيده، فرجعوا مسرعين...إلى أن أتاه عبده بوعاء فيه جبه لسرة دراهم"[3]، وما عثور على هذه الأدلة في فترات زمنية مختلفة إلا دليل على أن اللغة البربرية كانت مجالاً للتداول بين الأوساط البربرية. وأبو حامد الغرناطي وعى جيدا أهمية اللغة عندما قال" معرفة اللسان زيادة إنسان فكل لسان إنسان"[4]

على العموم لا نستطيع أن نغفل أو نتجاهل أهمية الخطاب بلغة الأم وتأثيرها في حشد الهمم والحث على القتال، ولعل أهم حدث نختم به في هذا المقام خطبة طارق بن زياد التي لا يشك الدارسون أنه قالها باللسان البربري[5]، بحكم أن الخطبة التي احتفظت لنا بها المصادر تعد قطعة أدبية فريدة من نوعها يعجز طارق بن زياد البربري الأصل على صياغتها، كما يعجز جنوده البربر الذين دخلوا الإسلام حديثا على فهمها ، فمنطقي جدا أن يخطب طارق بن زياد في جنوده بلسان البربري.

1- ابن حيان،المصدر السابق، نشرة ملشورم،ص136.
2- ابي بكر بن العربي، المصدر السابق،ص379.
3- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة،مج2،ص183.
4- تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص58
5- عصام محمد شبارو، الاندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود(91-710/897-1492)،دار النهضة العربية،بيروت،ط1،2002،ص74.

ولكن أليست خطبة طارق التي وردت في المصادر التاريخية بتلك الصيغة البيانية الفصيحة التي حشدت همم البربر[1] هي نفسها أو لها علاقة بـ:" **تـاصوكيت**" المعروفة عند البربر والتي زودنا بها ابن خلدون ببعض المعلومات عنها عندما قال: "يتقدم الشاعر عندهم أمام الصفوف ويتغنى فيحرك بغنائه الجبال الرواسي، ويبعث على الإستماتة من لا يظن بها و يسمون ذلك تاصوكيت وأصله كله فرح يحدث في النفس فتنبعث عنه الشجاعة كما تنبعث عن نشوة الخمر بما حدث عنها من الفرح[2]. ولعل سر شجاعة البربر فضلا عن فنونهم القتالية التي عرفوا بها خطبة أو غناء تاصوكيت هذا لما له من وقع في نفسية البربر.

أشكال التعريب عند البربر:

طبقة العلماء:

لا أحد يستطيع أن ينكر الكفاءة العالية التي أظهرها العلماء من ذوي أصول بربرية في تلقنهم اللسان العربي، وبراعتهم في أدائه وخير مثال على ذلك الخطبة الشهيرة التي ألقاها منذر بن سعيد البلوطي[3]، ومناسبة هذه الأخيرة أن أحد الخطباء بهره هول المقام، فعجز عن الكلام،فلما رأى ذلك منذر بن سعيد قام من ذاته "فوصل افتتاح أبي علي لأول خطبته بكلام عجيب وفصل مصيب يسحه سحا كأنما يحفظه

1- التي يقول في مطلعها:" أيها الناس، أين المفر؟ البحر من ورائكم، والعدو أمامكم، وليس لكم وا إلا الصدق والصبر، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته، وأقواته موفورة، وانتم لا وزر لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم، وإن امتدت بكم الأيام على افتقادكم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهبت ريحكم، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم، فادفعوا عن أنفسكم خًذلان هذه العقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة، وإن انتهاز الفرصة فيه لمكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت، وإنّى لم أحذركم أرخص فيها النفوس إلا وأنا ابدأ بنفسي". ابن قتيبة أبو محمد عبد ا بن مسلم، ت 276هـ-889م)، الإمامة والسياسة، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ/1997م، ص237/المقري، المصدر السابق، ج1، ص240-241.

2- مقدمة ابن حلدون، ص130.

3- هو منذر بن سعيد بن عبد الملك بن عبد الرحمن بن قاسم بن عبد ا البلوطي ثم الكزني، ينسب في البربر في فخذ منهم يقال لهم: كزنة، كان خطيبا،بليغا ،شاعرا،بصيرا بالجدل،منحرف إلى مذهب أهل الكلام، ولي القضاء لعدة مناطق منها ماردة ،منطقة الثغور الشرقية، ثم قضاء الجماعة بقرطبة إلى أن توفي سنة 355هـ ابن الفرضي، المصدر السابق،ص404-405./ الخشني محمد بن الحارث بن أسد (ت 361هـ/971م)، قضاة قرطبة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري واللبناني، القاهرة، بيروت، ط2، 1989م، ص37/ حسين مؤنس، شيوخ العصر في الأندلس،الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1986،ص65.

قبل ذلك بمدة و بدأ من المكان الذي انتهى إليه أبو علي البغدادي[1]،حتى وصف أنه كان أخطب أهل زمانه[2]، ولعل العامل الأساسي الذي ساعد على اكتساب معارف جليلة في علوم اللغة العربية هو الرحلات المشرقية التي كان يقوم بها هؤلاء العلماء الذين هم من أصول بربرية من أجل دراسة اللغة العربية آدابها[3] والمصادر التاريخية لا تبخل علينا بمعلوماتها في هذا الموضوع، فعباس بن ناصح المصمودي * الذي تردد بالحجاز طالبا للغة العرب، يسلك في أشعاره مسالك العرب القديمة[4]، وسهل بن سهل الذي قيل نسبه في البربر*، كان حافظا للإعراب[5]، وسكتان بن مروان المصمودي* الذي كان حافظا عالما باللغة[6]، وعبد الرحمن بن موسى الهواري *الذي كان فصيحا، ضربا من الإعراب[7]، ولعل مثل هذه النماذج وغيرها المبثوثة في المصادر التاريخية هي التي شجعت بيار قيشار على القول" أن فئة العلماء من البربر كانت الأسرع إلى التعريب[8].

1- اقتباس الأنوار ، المصدر السابق، ص39.

2- الزبيدي، المصدر السابق،ص295/ اقتباس الأنوار،ص37.

3-عبد الواحد ذنون طه، أهمية الرحلات العلمية بين المشرق والأندلس، ضمن دراسات أندلسية،المرجع السابق، ص195./ الشاذلي بويحي، مساهمة الأفارقة في الحياة الثقافية بالأندلس في عصر الطوائف والمرابطين، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد20،1981،صص7-47.

*- عباس بن ناصح بن تلتيت المصمودي الثقفي الشاعر الشاعر، من أهل الجزيرة، رحل به أبوه صغيرا إلى العراق فلقي الأصمعي وغيره من علماء البصريين والكوفيين استقضي على شذونة والجزيرة في عهد الحكم بن هشام، وكان له حظ من الفقه والرواية توفي سنة / ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس،ج1، ص 504.

4- الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق: سالم مصطفى البدري،منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999،ص 382 / ابن الفرضي، رقم:881،ص239،238.

*- سهل بن ابراهيم بن سهل بن نوح بن عبد ا بن خمار، من موالي بني أمية ، من أهل استجة، يعرف بابن العطار، كان فاضلا زاهدا ذكيا عالما بمعاني القرآن توفي سنة 319هـ/ ابن الفرضي، نفسه، رقم 576، ص236.

5- نفسه ،رقم،578،ص161.

*- هو سكتان بن مروان بن حبيب بن واقف بن يعيش بن عبد الرحمن ابن مروان بن سكتان المصمودي، من أهل شذونة يكنى أبا مروان، كان حافظا عالما باللغة ، حافظا للفرائض، متواضعا توفي سنة 346هـ/ نفسه، رقم 586، ص341-342.

6- ابن الفرضي، المصدر نفسه،رقم 588،ص163.

*- عبد الرحمن بن موسى الهواري، من أهل استجة رحل في أول خلافة الإمام عبد الرحمن بن معاوية، فلقي مالك بن أنس، قدم استجة و استقضي عليها أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم/ نفسه، رقم 776، ص439.-440.

7- نفسه، رقم778،ص212

8 - Pierre Ghichard , OP.cit,p243.

رغم هذه الحقائق المثبتة في المصادر التاريخية،إلاّ أننا نشك في أن هؤلاء العلماء، الذين هم من أصول بربرية قد يكونوا فقدوا لغتهم الأم بصورة نهائية، فلا يعقل أن نتصور أن يكون كل عالم من أصل بربري اغترف من ينابيع علوم اللغة العربية، قد فقد لغته الأم؟.

ولم تكن الدراسة لتجرأ على مثل هذا القول لولا استئناسها بنص رغم عرضيته إلا أنه على جانب كبير من الأهمية- لم يوظف من قبل الدارسين حسب علمنا- ورد عند ابن عذاري على لسان أبو العباس المذحجي بقوله: "إن يونس القائم بدين برغواطة أصله من شذونة من جهة وادي برباط، وكان قد رحل إلى المشرق في عام 251هـ مع عباس بن ناصح، وزيد بن سنان الزناتي صاحب الواصلية، وبرغوث بن سعيد التراري وجد بني عبد الرزاق، ومناد صاحب القلعة المنادية، آخر ذهب عني اسمه، فأربعة منهم فقهوا في الدين، ادعى يونس صاحب برغواطة النبوة، فنزل بين هؤلاء القوم، وعلم ضعف عقولهم وكثرة جهلهم،أظهر ديانته، ودعا إلى نبوته، وسمي من اتبعه برباطي، ثم أحالوه بألسنتهم، ردوه برغواطي"[1].

إن الإفادة التي نخرج بها من هذا النص، أن هذا المدعي، أندلسي الأصل والموطن من نسب بربري، رحل إلى المشرق آنذاك لطلب العلم مع خيرة الطلبة الذين تبحروا في علوم اللغة العربية ونعني بذلك عباس بن ناصح السابق الذكر، مما يحيل على التفكير أن ناصح يتكلم بالبربرية أيضا رغم هذه المؤشرات إلا أنهم مازلوا يحتفظون بلغتهم الأم بدليل النبوة التي شرعها هذا المدعي لأهل برغواطة، صحيح أن النص لا يفصح عن طبيعة اللغة التي خاطب بها يونس هذا أهل برغواطة إلا أن البكري يزودنا بإشارة مهمة مفادها أن أهل برغواطة يتكلمون بالبربرية فقط[2]، كما أن الحكم

1- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، تحقيق: ج.س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة ، بيروت،ط2،1980،ج1، ص225-225.

2- المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونسن 1992، ج2، ص818

الحكم المستنصر(350-366هـ)، استعان بمترجم يدعى عيسى بن داود المسطاسي للتفاهم مع رسول كان قد أرسله إليه أحد البرغواطيين سنة 963/352م[1].

يبدو أنه مهما تعمقنا في الموضوع بوجهات نظر مختلفة، إلا أنه لا يمكن أن نعترض على أن اللغة العربية قد أتت أكلها عند فئة العلماء من ذوي الأصول البربرية، وهناك من الدارسين من أولوا اهتماما بهذا الموضوع[2].

طبقة العامة:

ولكن هذا التعريب الذي طال الفئة المثقفة من البربر في بلاد الأندلس، هل طال الشريحة الثانية ونعني بذلك العامة من البربر؟ وإن طالها التعريب هل كان بنفس الكيفية والمفعول الذي مس فئة العلماء؟

خصوصا أن العامة غير فئة العلماء ولنا من المؤرخين ما يوضح مقدار جهل العوام وضعف عقولهم مقارنة بالعلماء بقوله "وما يفهمه العلماء، ويدركونه بعقولهم يتراءى للعوام من وراء الستر"[3]. كما أن الصورة التي احتفظت لنا بها المصنفات المغربية الأندلسية حول عامة البربر لا تبشر خيرا فهم في نظرها إلا برابر أغتام جهال طغام[4] أو أنهم قوم من أهل الشر والفساد[5]، في حين أن المقري يقر على لسان الحجاري " أن مؤلفي هذا الأفق طمحت هممهم عن التصنيف في النوادر والتنكيتات والتركيبات وأنواع المضحكات"[6]، إلا أننا لا نعدم من الإشارات وبعض النوادر

1- ابن عذاري، المصدر السابق، ج1،ص223.

2- يمكن العودة إلى الفصل المتعلق بالحركة العلمية للبربر في كل من دراسة عبد القادر بوباية، ص 194-235 ومحمد حقي ص 241-271، المرجعين السابقين./ مليكة عدالة، الإسهامات العلمية للبربر في الأندلس من خلال كتاب "تاريخ علماء الأندلس" لابن الفرضي، مذكرة ماجستير مرقونة، قسم التاريخ جامعة وهران،2010، 92–133 / جاج عبد القادر يخاف، الإسهام الفكري للبربر بالأندلس على العهد العامري إلى نهاية وجود حكم المرابطين 371–539، مذكرة ماجستير مرقونة، قسم التاريخ جامعة وهران، ص43-112.

3- أحمد بن محمد مسكويه، تهذيب الأخلاق، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت ، ص 134.

4- القاضي النعمان، المصدر السابق،ص/*- طغام: طغم، الطغامة: أراذل الطير، وأتباع الواحدة طغامة للذكر والأنثى وهي أيضا أراذل الناس وأوغادهم، تقول العرب للرجل الأحمق طغامة، ضعف الحلم، معناه لا عقل له ولا معرفة، وهم أوغاد الناس ودناءتهم التطغم التجاهل/ لسان العرب، المصدر السابق،ج3،ص285.

5- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص54/ ابن حيان، المقتبس، تحقيق المكي، ص07.

6- المقري، المصدر السابق،ج3،ص156.

متهمة العامة في عقولها واصفة إياها بالجهل وعدم إدراكها لبعض الأمور اللغوية ومنها " أن أحد النحويين يعرف عنه أنه كان كثير النوادر، كان يقرأ عليه بربري جعد الشعر قبيح الوجه، فوقف يما على: قل إن كان للرحمن ولد فأنا... فقال: لأي شيئ با لحسن وجهك، وطيب شعرك[1] ؟

وحكاية زطرزون البربري* الذي سأل يوما المنصور بن أبي عامر(366-399هـ)، عن سبب قتله لابنه عبد ا ؟ فأجابه بإجابة محنكة في قولة: "لا يسوءك، ذلك فلو لم أفعل لقتلني، ما كان من ولدي؟ وبهذا اتهمت أمه زكانت أمة سوء، وقد قالوا أن الأرحام الردية تُفسد الذرية، فقال الجاهل زطرزون: كذا يا مولاي فحرام أمه وحرم أبي، فخجل المنصور وقال: شقينا بهذا الملعون في حياته وبعد موته، وعلم ما كان عليه زطرزون من جهالة؛ فاعرض عنه"[2] وإن كان أحد الباحثين حذا رأيا مخالفا لهذه النادرة، وينفي صفة الجهالة عن هذا الشخص[3]. فإن صح تحليله فهو يتوافق وقول أحد المؤرخين "وهم رعاع* همج إن قُلت لا عقول لهم كنت صادقا وإن قلت لهم أشياء شبيهة بالعقول كنت صادقا"[4]. بل أن أبا بكر الطرطوشي يحذر من مغبة تفقه العامة في أمور الدين بقوله " إن تفقه الرعاع فساد الدنيا، وتفقه

1- ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، المصدر السابق، ج1، ص 166.

*- يشير ابن عذاري أنه رجل من أعيان البربر واسمه الكامل زطرزون بن نزار البرزالي/ نفسه، ج2، ص285.

2- ابن عذاري، نفسه ، ص 285.

3- ناقش المسألة من الجانب اللغوي فهو يرى" أنه لأمر غريب فعلا أن يوصف هذا البربري بالجهل وهو على العكس من ذلك ، إذ أن كلامه يدل على تمكن كبير من اللغة العربية ، فبالعودة إلى المنجد نجد أن استعماله لنفس الكلمة أي حرام و حرم تدل على معرفة كبيرة بمعانيها ، فهي تدل في كلتا الحالتين على نفس المعنى وهو " ضد الحلال " ، يريد بذلك أن المنصور قد ارتكب فعلا مضادا للحلال من خلال مجامعته لأم عبد ا ونفس الأمر بالنسبة لهذه الأخيرة ومع ذلك فهو يوصف بالجاهل رغم كونه من أعيان البربر/ بوباية عبد القادر، ص260.

*- الرع السكون، والرعاع : الأحداث ، و رعاع الناس : سقّاطُهم و سفلتهم. و في حديث علي ، رضي اله عنه : و سائر الناس همج و رعاع./ أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1997، ج3، ص87.

4- أبي حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة، صححه و ضبطه: أحمد أمين و أحمد الزين، منشورات المكتبة العصرية دار مكتبة الحياة، بيروت، ج1،ص205.

السفلة* فساد الدين"[1]، وما ظهور مثل هذه النصوص في الأدبيات الأندلسية ما هو في الحقيقة إلا لإقصاء العامة من حلبة الثقافة على حد قول أحمد الطاهري[2]، رغم أهمية هذا العامل وما له من أهمية شديدة الفعالية في تغييب العامة بما فيها البربر من الكتابات التاريخية للعصر الوسيط؛ إلا أن القراءة المتواصلة والواعية التي ترتكز على رصد المتغيرات والثوابت، والتطور والسكون في تاريخ المجتمعات، تعكس لنا جانبا آخر يوازي فكرة الإقصاء، فما هو معلوم، وبناء على ما قيدته المصنفات التاريخية، أن الأندلس تمثل وجهة عسكرية اقتصادية بالدرجة الأولى، فطبيعة تكوينهم طبيعة عسكرية تهدف لحماية الإسلام والدب عن الثغور، ووجهة أيضا في نفس الوقت لتحسين مستواهم المعاشي، فالعلم واللغة والفصاحة والرقي الحضاري لم تكن مسطرة في ذهنية العوام من البربر وهذا واقع قيدته المصادر، فالمصنفات التاريخية، رغم تحاملها عليهم إلى حد ما إلا أن ما هو ثابت في ثناياها على مختلف مراحل تواجد البربر في بلاد الأندلس، كانت تثني على خصالهم العسكرية التي يتميزون بها ومنها ما نقله ابن حيان عبد الرحمن الناصر (300-350هـ)، عندما قال" انظروا إلى انطباع هؤلاء القوم على خيولهم فكأنهم الذين عناهم الشاعر بقوله:

فكأنما ولدتْ قياما تَحتَهم   وكأنهم ولدوا على صهواتها

ما أعجب انقيادهن كأنما تفهم كلامه"[3].

كما أن البربر في حد أنفسهم خواصهم وعوامهم يفتخرون بسيفهم لا بشيء آخر، والأمثال الشعبية التي صدرت من العوام أثبتت هذه الميزة، إذ قالت العامة:" لا حر

*- سفل: السفْل و السفل والسفول والسفال والسفالة، بالضم: نقيض العلو و العلْو و العلُو و السفلى : نقيض العليا ، والسافلة : نقيض العاليظ والسفالة، بالفتح: النذالة، وسفلة الناس غوغائهم./ ابن منظور، لسان العرب،ج3،ص

1- الحوادث و البدع ، تحقيق: محمد الطالبي، تونس، 1959،ص72.

2- أدب لحن العوام ببلاد المغرب قراءة و تقويم، مجلة التراث المغربي التوثيق و القراءة، منشورات الكلية ندوات 4، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، أفريل1991، ص433

3- ابن حيان ، المقتبس، تحقيق الحجي، ص193.

إلا زناتي ولا فرس إلا مكلاتي"[1]، ولكنها في الوقت نفسه قالت عن البربري "لا حوا في الدار ولا حمو في الحضار"[2]، ويبدو أن حتى العامة فيما بينها تتفاضل في درجات التعلم، ولم تكن هذه الشريحة الاجتماعية أن تصدر مثل هذا الحكم في حق العامة من البربر، لولا تبدل أوضاعها ومواكبتها للتطور العلمي والثقافي في بلاد الأندلس من خلال الاهتمام الذي أولاه الخلفاء ولاسيما الحكم المستنصر(350-366هـ) في حق أوساط العامة فاتخذوا "المؤدبين يعلمون أولاد الضعفاء والمساكين القرآن حوالي المسجد الجامع وبكل ربض من أرباض قرطبة"[3]، كما "حبس الحكم حوانيت السراجين بقرطبة على المعلمين لأولاد الضعفاء"[4].

فبناء على هذه الإشارات تتجلى لنا الوضعية المتدينة للمستوى العلمي والثقافي لعوام البربر في بلاد الأندلس نتيجة العوامل سالفة الذكر، فلا يمكن أن نقارن درجة تعريب العلماء منهم بعوامه، كما أن اللغة العربية كانت متداولة في المجال الإداري تقريبا. والبربر كما سبق الإشارة إلى ذلك لا يمتهنون إلا مهنا حقيرة، صحيح أن اللغة العربية تمثل آنذاك عنصر توحيد معادل للإسلام[5]، باعتبارها لغة القرآن فـي المقام الأول ولغة السلطة الحاكمة، ما من شأنهما أن يعطياها من المكانة كي يتهافت على تعلمها وتداولها مختلف الأجناس المكونة للمجتمع الأندلسي خاصتهم وعامتهم بما فيهم البربر، ولكن لا يمكن أن نتصور بناء على العوامل السالفة وعوامل أخرى نقدمها في أوانها أن البربري من العامة مهما بلغ من التعريب، فلا يمكن أن يصل تعربه إلى درجة اللغة التي يتحدث بها العامة من العرب الأقحاح. قد يعترض معترض على هذا القول ويقول أن حتى العامة من البربر في بلاد الأندلس لا يتيسر لها أن تتحدث باللغة الفصحى، إلاّ أن المصادر التاريخية تشير إلى العكس وخير

1- الزجالي ، المصدر السابق، ج2 رقم،1983،ص480.
2- المصدر نفسه، رقم،1998،ص483.
3- ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص240.
4- ابن حيان، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، ص207/ ابن عذاري، نفسه، ج2، ص249.
5- سلمى خضراء الجيوسي، الشعر في الأندلس، مجلة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز الدراسات للوحدة العربية،بيروت،ط1998،1،ص477.

مثال على ذلك الإشارة التي وردت عند أحد الجغرافيين عن سكان مدينة شلب* بقوله:"سكان قراها عرب من اليمن وغيرها وهم يتكلمون بالكلام العربي الصريح ويقولون الشعر وهم فصحاء نبلاء خاصتهم وعامتهم"[1].

إن اللغة العربية بالنسبة للبربر كانت مجرد وظيفة أو وسيلة لتخاطب مع الآخرين إذا اقتضى الأمر لا غير، فلم تكن متغلغلة ومتجذرة في كيانهم، وحتى يستقيم أمر البحث في هذه الحالة نستدل بالأبيات الشعرية التي وردت عن بن هانئ الأندلسي ومناسبة هذه الأبيات أنه قصد جعفر بن علي الأندلسي ملك الزاب من المغرب الأوسط، فوجد بابه مغمورا بالشعراء، وعلم أن وزيره وخواصه لا يتركون مثله يقرب من ملكهم، فتحيل بأن يتزي بزي بربري وكتب على كتف شاة مجرود من اللحم[2]:

الليل لَيْـلٌ والنـهـار نَهـَار
والبـغْلُ بغْلٌ والحمار حمار
و الديك ديك والدجـَاجةُ زوجـه
وكلاهما طير لـه منقـار

فضحك الوزير وأراد أن يطرف الملك به، فلما دخل عليه وعدل عن ذلك الشعر، وانشد قصيدته الجليلة التي وصف بها النجوم[3]، إن صحت هذه الصورة فهي تعكس مدى سطحية اللغة العربية التي كان يتكلم بها البربر والأندلسيون، غير غافلين عن هذه الظاهرة ويدركون جيدا أن العوام من البربر لا يتذوقون الكلام الفصيح والشعر الرفيع ولعل هذا راجع لجفاء وحدة طباعهم[4] ، وكثيرا ما كانوا يعيبون هذه الظاهرة

*- شلب: مدينة بقبلي مدينة باجة و لها بسائط فسيحة و بطائح عريضة/ الحميري، المصدر السابق، ص106.
1- الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 266.
2- ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج2، ص80.
3- ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج2، ص80
4- ابن أبي زرع علي بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبي عمر الفاسي (ت في النصف الأول من ق8هـ/14م) ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1999م، ص 27.

ويتبين لنا ذلك من خلال الأبيات الشعرية التي خلفتها المصادر التاريخية ومنها ما تمثل بها محمد بن شخيص*، هاجيا بقوله[1]:

كُلمـَا جِئتهم لأنْشد شعـرِي
طَمعا من نُـوالِهـم بِاليسيرِ

فَكأنني وضعتُ فُلكـَة بـُوق
في فَمي أو ضغَطتُ أنبوب كير

وحتى لا نتكهن بأمور استنتاجية استنباطية، نتصفح التبيان للأمير عبد ا بن بلقين آخر أمراء بني زيري بغرناطة[2]، المسمى في المصادر التاريخية بـ"التبيان عن الحادثة بدولة بني زيري[3]، فرغم أن هناك من المؤرخين أشاد باللغة التي كتب بها هذا الأخير كون أن الأمير تربى في بيت بربري محض[4]، إلا أننا نجده قد استشهد بالكثير من الأمثلة الشعبية المتداولة في بني جنسه، والتي يبدو فيها أثر الترجمة واضح إلى حد كبير على لسان القواد البربريين مما حذا بالقول لأحد الباحثين بوصفهم بأنهم كانوا أميين أو أشبه بالأميين منهم فهما بأهل العلم، ومن هنا رأيناهم يخرجون الأمثال الشعبية في مواقف التي كان بعض معاصريهم من ملوك الطوائف الأندلسيين كالمعتمد بن عباد يتمثلون فيها بأبيات الشعر الرفيع[5].

وقد يكون من الأهم محاولة الكشف عن اللغة العربية التي كان يتخاطب بها البربر في حياتهم اليومية في بلاد الأندلس، فمن خلال الإشارات الضئيلة التي احتفظت لنا بها المصادر، يتضح لنا بجلاء أن البربر كانوا يتحدثون لغة عربية فاسدة، كثيرا ما كانت تثير سخرية المؤرخين الأندلس، ومنها ما ورد عند ابن

---

*- هو محمد بن شخيص بن مطرف بن شخيص، أبو عبد ا : كان من أهل الأدب المشهورين، ومن أيان المقدمين، متصرفا في القول، سالكا في أساليب الجد و الهزل، مات قبل الاربعمائة/ الحميدي، المصدر السابق، رقم :144، ص95.

1- أبو عبد ا محمد بن الكتاني الطبيب، التشبيهات من أشعار أهل الاندلس (ت نحو 420هـ/ 1030م)، تحقيق: إحسان عباس، دار الشروق، بيروت والقاهرة، ط2، 1981،ص242.

2- تحقيق: أمين توفيق الطيبي، منشورات عكاظ، الرباط، 1998.

3- أبو الحسن علي بن عبد ا الجذامي المالقي النباهي، تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا، تحقيق: صلاح الدين الهواري، الدر النموذجية المطبعة العصرية، بيروت، ط1، 2006،ص107.

4- التبيان، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص43.

5- محمد بنشريفة، تاريخ الأمثال و الأزجال في الأندلس و المغرب- ج1،ص76.

الخطيب بقوله: "لا يقتل الزلطان إلا الزلطان"[1]، كما أنها في نفس الوقت كانت تثير استياءهم وامتعاضهم، إزاء ما آلت إليه اللغة العربية، فقد ورد عند ابن حزم " ونحن نجد العامة قد بدلت الألفاظ في اللغة العربية تبديلا وهو في البعد عن أصل تلك الكلمة كلغة أخرى ولا فرق...وإذا تعرب البربري، فأراد أن يقول الشجرة قال السجرة"[2]، فيتبين لنا من خلال هذه الإشارات أن البربر كانوا يطبعون كلامهم بلكنتهم البربرية التي تميزهم عن غيرهم من الأجناس المكونة للمجتمع الأندلسي، والتي لا يستطيعون أن يتخلون عنها بسهولة، ويعزى ذلك إلى الحروف التي تختص بها هذه اللغة والتي ليست موجودة في الأبجدية العربية، كما أن التنظيم الأسري لدى البربر له دور كبير في مدى إرتباط الفرد بلغته الأم، ومما يعضد هذا القول ما يفيدنا به أحد الباحثين، الذي يقول:"إن المرأة البربرية استطاعت أن تحافظ أكثر من الرجل على لغتها بحكم قلة إتصالها بالعالم الخارجي[3]، كما لنا أن نقدر عاملا ثالثا لا يقل أهمية عن العاملين السابقين، وهو القرب الجغرافي بين المغرب والأندلس حيث لا يفصل بينهما "إلا روحة راكب، أو دلْجةُ قارب"، ولعل هذا القرب له تأثير إيجابي على نفسية البربر الذي يولد لهم الحنين كي يبقوا متمسكين دائما بلغتهم الأم ولكنتهم وإن طالهم التعريب، وأغلب الظن أن الرحلات العلمية[4]، التي كان يقوم بها العلماء ذوي الأصل البربري لم تكن إلا من أجل التخلص من هذه اللكنة التي كانت تلازم البربر في كلامهم.ولعل الباحث محمد شفيق كان محقا لما قال"أن التحولات الثقافية

1- ابن الخطيب، أعمال في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفصال، دار المكشوف، بيروت، 1956، ص121.
2- الإحكام في أصول الأحكام، المصدر السابق، ج1، ص34.
3- محمد حسن، الاصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي، مجلة المستقبل العربي، مجلة المستقبل العربي، السنة8، العدد72، فبراير1985،ص115./ من المفيد أن نشير إلى الدراسة القيمة التي تصدت إلى مسألة التعريب في بلاد المغرب الأقصى Chaker.Slimene.Données sur la langue bérbére a travers les textes anciens.Revue de l’Occident Musulman et de Mediterranée.N°31 ,1981
4- الشاذلي بويحي، مساهمة الأفارقة في الحياة الثقافية بالأندلس في عصر الطواءف والمرابطين، حوليات الجامعة التونسية(كلية الأداب والعلوم الإنسانية)، العدد 20، سنة 1981، ع.ص 7-41.

أشبه بشيئ بالتحولات الجيولوجية التي يتغير بمفعولها شكل التضاريس، لا يمكن الرواسب الطارئة على السطح أن تخفي إخفاء كليا القواعد الصلادة القديمة"[1]

مناقشة فكرة الأسماء المعربة للبربر في بلاد الأندلس:

ومن جهة أخرى، في الحجة التي إعتمدها دعاة التعريب التام للبربر في بلاد الأندلس والتي تمثلت في إتخاذ أسماء عربية لهم رغبة في التعرب[2]، لجديرة هي أيضا بالوقوف عندها، وقبل مناقشة هذه الأسماء، علينا أن نُذكّر بطبيعة الشريحة التي خصت بها هذه الأسماء، فبإطلالة عارضة في المصادر التاريخية ولاسيما كتب التراجم منها[3]، يتبين لنا أن هاته الأسماء العربية التي زودتنا بها المصادر تخص شريحة معينة من العنصر البربري، فالمصادر أفادتنا بأسماء عربية لعلماء من أصول بربرية الذين كانوا بدورهم أسرع إندماجا لظروف أهلتهم لذلك سبق تناولها[4]، في حين أن الشريحة الثانية والتي تمثل القطاع الأكبر والمتمثلة في العامة،فالمصادر التاريخية ضربت صفحا عن ذكر أخبارها إلا ما ورد بكيفية عفوية في بعض المصادر، وقبل أن نمضي في تتبع المسألة، ثمة إشكال جدير بالطرح:

هل اتخاذ الأسماء العربية من قبل البربر في بلاد الأندلس يقتضي بالضرورة تعريبهم التام؟. وحتى يكون التساؤل أكثر عمقا وموضوعية وحتى يصل بنا إلى أبعد حدود التحليل في المسألة نعيد صياغته بالطريقة التالية:

إلى أي مدى يمكن أن نجعل من ظاهرة اتخاذ الأسماء العربية للبربر في بلاد الأندلس مقياسا علميا لتعريبهم وبالتالي فقدانا للغتهم الأم؟

ألا يمكن أن نسلم أن اتخاذ الأسماء العربية للبربر هو استجابة لضغوط اجتماعية أو مجاراة لتقليد إسلامي سائد آنذاك ؟ حتى وإن افترضنا أن غالبية البربر الذين هم في بلاد الأندلس يتسمون بأسماء عربية.

1- محمد شفيق، اللغة الأمازيغية مجال توارد، المرجع السابق، ص7.
2- حسين مؤنس، فجر الأندلس،ص395-396.
3- على سبيل المثال: تاريخ علماء الأندلس لإبن الفرضي، الصلة لابن بشكوال.
4- يمكن العودة إلى الصفحات السابقة من البحث.

فيجب أن نضع في حسباننا أن تبنيها لهم هو إخلاص للدين الإسلامي الذي هو لسان حاله اللغة العربية، وخير دليل على ذلك أنه مجرد إعلان البربر إسلامهم أقبلوا على الأسماء العربية، فاتخاذ الأسماء العربية لم يقتصر على فترة زمنية دون سواها، ومن المؤكد أنه تم تبنيها قبل تعلم اللسان العربي ودخولهم في عملية التعريب وندعم هذه الفكرة بنص توضيحي ورد على لسان صالح بن أبي صالح[1] في نسب طارق بن زياد فاتح الأندلس بقوله:" طارق بن زياد بن عبد ا بن رفهو بن ورفجوم بن ينزغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو"[2]، فإذا كان طارق بن زياد ولد بعد عملية دخول الفاتحين لبلاد المغرب الأقصى، فلنا أن نتوقع أن أبوه أو على الأقل جده قد ولد قبل الفتح ونشر الإسلام بسنوات عديدة، فمن المنطق أن أساميهما كانت بربرية في الأصل، لكنها تغيرت استجابة للنداء الإسلامي، خصوصا أن الإسلام عمل على تغيير الأسماء المستهجنة،" فخيرها ما حمد وعبد"

فمن غير المعقول أن نتصور أن كل من حمل إسما عربيا يكون بالضرورة فاقدا للغته البربرية، والعكس صحيح، فأمير المرابطين يوسف بن تاشفين رغم أن سلالته تحمل أسماء بربرية باستثناء شخصه الذي يحمل اسما إسلاميا معربا إلا أن الدراسات التاريخية تفيدنا بأن يوسف لم يكن يعرف اللسان العربي وكان يستعين بمترجمين له في تسيير شؤون سلطته[3]، كما أن ابن الأبار احتفظ لنا بترجمة مفيدة وإن تجاوزنا الفترة المحددة للدراسة ولكن الهدف أن نؤصل لهذه الظاهرة فقط، فهو يعرفنا بأحد العلماء من أصل بربري،بقوله:" أحمد بن عبد الرحمن بن علي الباري الهواري المتوفي سنة 542هـ، أنه من أهل قرطبة، كان إذا سئل عن شيئ كأنما

1- عن تفاصيل هذا المؤرخ يمكن العودة إلى موارد ابن عذاري للباحث عبد الواحد ذنون طه، إبن عذاري شيخ مؤرخي المغرب العربي، المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2005، ص51.
2- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2،ص7.
3- القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الإجتماعي، ص135./ غارسية غومس، الشعر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1956، ص55.

جوابه في طرف لسانه...إلا أنه لم يكن له طبع في الفتوى، ولا معرفة له بلسان العرب"[1]، وما إيراد مثل هذه النماذج في المصادر التاريخية إلا تأكيدا على أن اتخاذ الأسماء العربية هو انتماء للإسلام بالدرجة الأولى وليس بهدف التعرب.

كما أن المصادر التاريخية احتفظت لنا ببعض الأسماء المحلية البربرية لعلماء من البربر وإن كانت قليلة خصوصا أنها ظهرت في فترة مهمة من تاريخ البربر في بلاد الأندلس التي تشير الدراسات على انصهارهم الكلي وفقدان معالم خصوصيتهم المغربية ومنها "سكتان بن مروان المصمودي التوفي سنة ست وأربعين وثلاثمائة"[2] و"ملحان عبد ا بن ملحان المتوفي سنة أربعين و ثلاثمائة"[3] و"سرواس بن حمود المتوفي سنة ثلاثمائة وواحد و تسعين"[4]

كما أنه يمكن لنا أن نتصور رغم تبني البربر لأسماء عربية لكنهم في نفس الوقت يحتفظون بأسمائهم البربرية في أوساطهم ولعل المصادر لا تهتم أو تأنف عن ذكرها إلا ما ورد عرضا ونستشف هذه الفرضية من خلال ما ورد على لسان أبي بكر محمد بن القوطية على أحد أسماء علماء البربر بقوله: هو محمد بن سعيد بن أبي سليمان، واسمه وارشكين من بني يطفت من نفزة وهو المعروف بحمدون واللقب بالأصمعي" فنلاحظ أن هذه الترجمة المتشعبة الأسماء تحتفظ باسمها المحلي" وارشكين" في وسطها النفزي البربري، فمن إزدواجية الأسماء إلى إتخاذ الأسماء المركبة أي بربرية عربية، ومنها الترجمة التي السالفة الذكر المتعلقة بترجمة "ملحان عبد ا "

ولنا أن نخمن أن الطبقة المغمورة من البربر في بلاد الأندلس قد احتفظت بأسمائها البربرية في بلاد الأندلس، صحيح لا نستطيع أن نجزم بصفة قطعية عن نسبة الأسماء البربرية للعامة هل كانت ضئيلة أم كثيرة إلا أنه لا نستطيع تجاهلها

1- ابن الأبار، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي أبي علي حسين بن محمد(594-1120)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة و بيروت،ط1، 1989، ص34-35.
2- ابن الفرضي، المصدر السابق، رقم: 588، ص163./ اقتباس الأنوار، المصدر السابق، ص 15.
3- ابن بشكوال، المصدر السابق، رقم، 531، ص 196.
4- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص 773.

وإلا فإنه لم يكن يتسنى للقارئ معرفة الأمثال التي خص بها البربر لولا أسمائهم البربرية ومن الأسماء المعروفة في بلاد الأندلس لدينا" حمو، حسو، ترقوت، زطرزون"[1]

كما أن البربر ليسوا فقط المسؤولين عن تغيير أسماءهم بمحض إرادتهم الشخصية، وإنما كان للولاء دور كبير في التحكم في مثل هذه الظاهرة، فغالبا ما كان الأسياد هم الذين يتحكمون في تغيير أسماءهم، ولعل الفرد كان يصل إلى مرحلة متقدمة من العمر، ويتغير اسمه استجابة لما استجد في حياته نلمس هذا الواقع من خلال ما ورد عند ابن حيان بقوله:" كان ناصح والد الشاعر المنتمي في ثقيف عبدا لمزاحمة بنت مزاحم بن محمد الثقفي الجزيري، اسمه يدرفْ، فاشترته مولاته هذه وسمته ناصحا"[2]، كما أن الموالي استغلوا لائحة من الأسماء و أطلقوها على أنفسهم قصد التزلف أو إثبات شرعيته في تولي المناصب[3]، غير أن السلطة الأموية لم تكن غافلة عن هذه الظاهرة، بقدر ما كانت تشجع سياسة الإنفتاح كما سبق الإشارة إلى ذلك، إلا أنها في الوقت نفسه كانت تعمل على الحد من انحلالها، من خلال تكريس سياسة التمايز والتفرقة حتى في الأسماء إذ ورد على لسان ابن حيان "أنه تسمى جماعة من موالي الخلفاء بأسماء العرب، فأنكر ذلك عليهم الأمير بفضل أنفته، وأكد فيه نهيه"[4]. إن في هذا ما ينم عن الدور الفعال للسلطة الأموية وتحكمها في الوضع من خلال المنع والحد من عملية الانحلال الجارف لغير الاجناس العربية بما فيها البربر موضوع الدراسة. إلا أن ما هو واضح أن الأسماء المحلية البربرية في بلاد الأندلس كانت قليلة وضئيلة جدا مقارنة ببلاد المغرب للعوامل التي سبق تناولها وأيضا إلى عامل آخر لا يقل أهمية عن سابقيه هو عامل الاستهزاء والسخرية من البربر و بالتالي السخرية من أسمائهم إن سنحت الفرصة

1- يراجع الصفحات السابقة من البحث

2- المقتبس، محمود علي المكي، س2،ص234.

3- صالح أبو دياك ، الجيش في الأندلس زمن الإمارة و الخلافة الأموية الثانية، مجلة دراسات تاريخية، تصدر عن لجنة كتابة تاريخ العرب، جامعة دمشق، العددان 77- 78، كانون الثاني، حيزران، 2003، ع.ص 75-127، ص 87.

4- ابن حيان ، المقتبس، محمود علي المكي، 1973، ص50.

لذاك ولعل الأبيات الشعرية التي هجا بها إبراهيم بن فطن المهري الجزري عباس بن ناصح الثقفي المصمودي ويوري به في أبوته باسمه البربري الأصل يذرف" خير شاهد على ذلك بقوله[1]:

بني يذرف* لا تَلهجوا بهجائنا
فَإنكُم أخفى دبيبا مـن الـ در
بني يذرف عدواْ اْلكَلاَم فإنكُم
بقية أهلَ النوك* واْللؤْمِ وَ الكُفْرِ
سواْء علَينَا ما طَراْ من هجاِئكُم
ونَبة* تَيسٍ بين عسفَاْن* فَالبحرِ

فالأبيات الشعرية تقدم لنا نقدا لاذعا لأسرة آل ناصح و تحذيرها لهم بأن لا يتكلموا بكلام العرب وتعتبر أن أي كلام يصدر منهم ما هو في الحقيقية إلا صياح التيوس . يبدو أن اللغة البربرية شكلت قطاعا جد مهشما في عقلية المجتمع الأندلسي ولاسيما أنها تندرج ضمن الخصوصيات الاجتماعية للبربر في بلاد الأندلس ولاسيما أن دعاة التعريب التام يركزون على نقطة مهمة بقولهم: فالبربر لم يكن هناك ما يحول بينهم وبين الاندماج، لا عصبية ولا لغة مكتوبة"[2]، إن هذه المسألة من النقاط الأساسية التي يعتمد عليها دعاة التعريب التام في مسألة إقصاء اللسان البربري من حلبة الثقافة إلا أن هذه المسألة أثارت الكثير من الجدل في الفترة الوسيطية فيما يبدو وكان المؤرخ الرقيق من أكثر المدافعين على اللسان البربري حيث احتفظ حسن الوزان بقوله "تحدث الكاتب الإفريقي الرقيق إذا كانت للأفارقة كتابة خاصة أم لا،

1- ابن حيان، المقتبس، محمود علي المكي، س2، ص235.

*- يشير ابن حيان أن لعباس هذا عدد كثير ذو شرف و نباهة وعلم، ينتفون من الرق، ويزعمون أن يذرف جدهم من أوربة شلاش/ ابن حيان، نفس المصدر، ص 235.

*- نوك: النوك، بالضم: الحمق والأنوك: الأحمق، وجمعه النّوكى، والنواكة: الحماقة/ لسان العرب، ج6، ص244.

*- نبب: نب التيس ينب ونبيبا ونُبابا، و نبنَّب صاح عند الهياج. و قال عمر لوفد أهل الكوفة ، حين شكَوا سعدا: لِيكلمني بعضكم، و لا تَنبوا عندي نَبيب التيوس أي تصيحوا./ لسان العرب، ج6، ص124.

*- عسف: العسفُ: السير بغير هداية و الأخذ على غير الطريق و العسفُ: ركوب الأمر بلا تدبير و لا روية عسفان: موضع و قد ذكر في الحديث، قال ابن الأثير : هي قرية جامعة بين مكة والمدينة، و قيل: هي منْهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة/ لسان العرب، ج4،ص355-336.

2- حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص396.

وانتهى إلى القول بأنه كانت لهم كتابة، وأن من أنكر ذلك يمكنه أن ينكر أيضا وجود لغة خاصة بهم، وأضاف أنه من المستحيل على شعب ذي لغة أن يستعمل كتابته حروفا أجنبية"[1]، رغم ما لأهمية لهذا النص في دفاع المؤرخ عن الكتابة البربرية التي كانت موجودة في غابر الأزمنة، إلاّ أن هيمنة النمط الشفهي على اللغة البربرية على التراث المكتوب يبقى سيد الموقف. مما كان له أثر سلبي على جميع جوانب الواقع التاريخي للبربر في الكتابات الوسيطية.

التأثير المذهبي في الخصوصية الاجتماعية للبربر:

ولعل تبني المذهب المالكي من طرف الأندلسيين كان له دور في الحفاظ على فكرة التعايش والتجاور التي نوهنا بها سابقا، بل أن له أثر كبير في ترسيخ هذا المعطى الاجتماعي، كون أن المذهب المالكي فضلاً عن المعطيات السياسية التي يتوفر عليها والتي شجعت على تبنيه[2] .

فإن الأحكام والقواعد الاجتماعية ويأتي في مقدمتها الأخذ بالعرف* الذي يعتبر من أصول المالكية المعتمدة ويعد فقهاء المالكية من المتشبثين به، وبما جرى العمل به بل هناك من يقر في أجوبته على المسائل الفقهية بأن "العرف يقضي على الأصل"[3]، الذي كان له أثر كبير في تنظيم العلاقات والخصوصيات الاجتماعية لدى كل جماعة إثنية خصوصا إذا اعتبرنا أن هذا الأخير أي العرف، يمثل في هذه

1- ليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ص 39.

2- يعود الإعتناق الرسمي للمذهب المالكي في بلاد الأندلس إلى سنة 170هـ، على عهد الخليفة هشام بن عبد الرحمن بن معاوية/ من الدراسات التي أولت عناية بالموضوع لدينا: امحمد بن عبود، التاريخ السياسي و الإجتماعي لإشبيلية في عهد دول الطوائف، مطابع الشويخ، تطوان، 1983، ص127-128./ محمد الروكي، المغرب مالكي لماذا؟، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الرباط، 2003،ص53./ عباس الجراري، أسباب إنتشار المذهب المالكي، ضمن أعمال ندوة الإمام مالك، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الرباط، افريل، 1980./ فرحات الدشراوي، مظاهر من الصراع المذهبي بالأندلس في عهد الإمارة والخلافة، المجلة العربية للثقافة، السنة 14، العدد 27، 1994، صص 9-34.

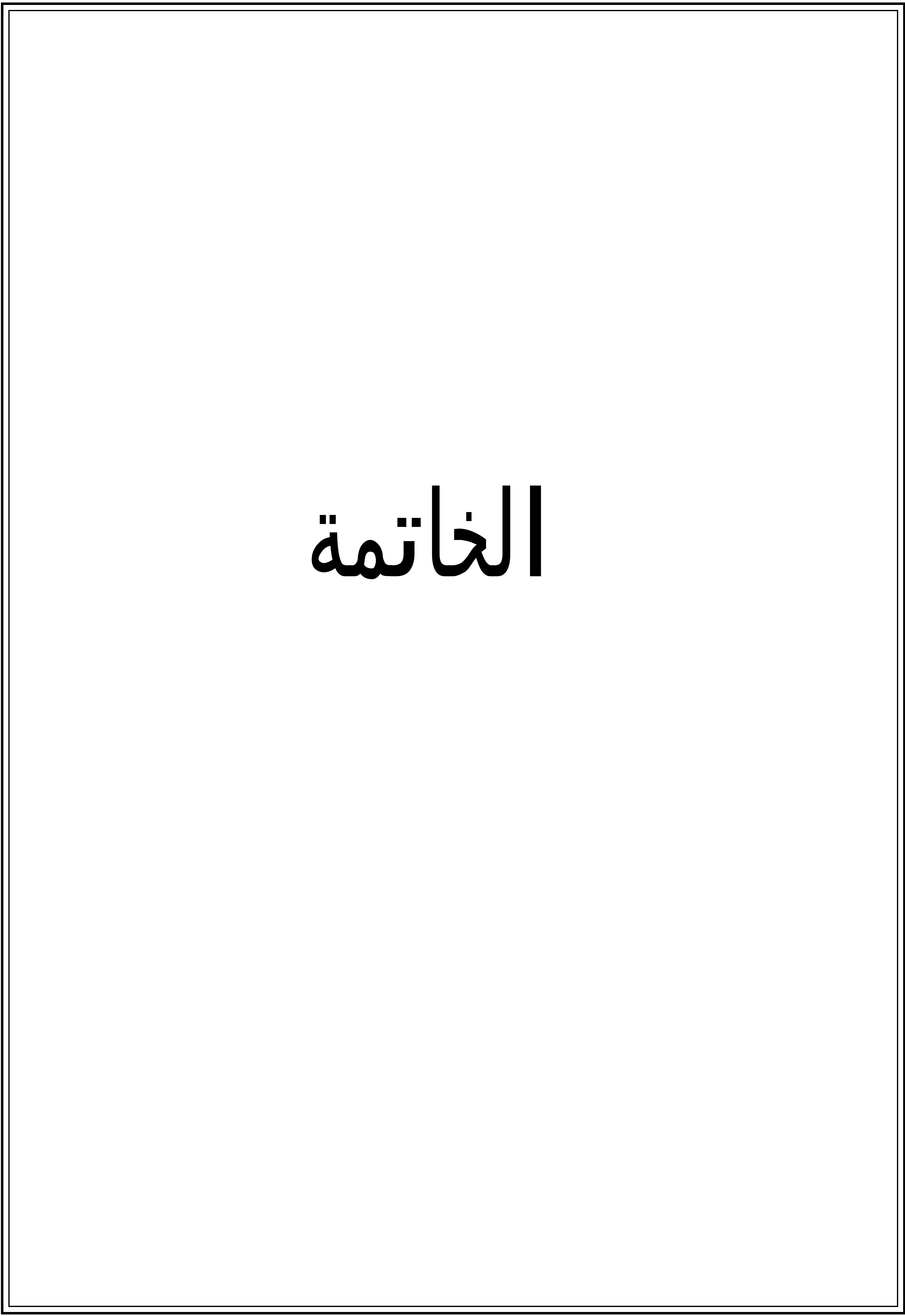
*- العرف هو الطرق العامة المشتركة التي ينظر إليها على أنها أكثر صدقا و سلامة من العادات الشعبية، ومن مميزاته أن أنه يعطي وثوقا للفرد كما يفرض عقابا صارما في حالة الإعتداء عليه،لأن المحتمع ينظر إلى إعتداء على العرف على انه مصدر خطر/ محمد عاطف،دراسات في علم الإجتماع القروي، دار النهضة العربية، بيروت،1967،ص266.

3- أبي القاسم أحمد بن ورد التميمي(ت540هـ/1146)،أجوبة ابن ورد الأندلسي المسماة بـ: الجوابات الحسان عن السؤلات ذوات الافنان، دراسة وتحقيق: محمد الشريف، جامعة عبد الملك العدي، المغرب،ط1،

الحالة محيطًا للتنشئة الاجتماعية، يمتاك الفرد بواسطته خصائص الجماعة والهوية التي ينتمي إليها، ولعل الامتثال ببعض الأحكام الفقهية الصادرة عن المذهب المالكي وقراءتها قراءة اجتماعية ستساعد على توضيح هذه الفكرة كون هذا الأخير يحافظ على الأعراق السائدة بين الأجناس وهذا ما شجع الأندلسيين على تبنيه على المستوى الاجتماعي فيروى عن علي بن يونس بن عياض الليثي رضي اله تعالى عنه أنه قال" كنت جالسا عند مالك فجاء قوم من أهل المغرب، فسألوا فقالوا: "ما تقول في الصلاة بالتاكمة؟"؛ فوصفوه له فلم يفهمه، فقالوا لي: كنت أحدث من في المجالس سنا "قم" فقمت، فربطوه علي كما يفعلون في بلادهم، فقال لهم مالك: لِم تفعلون هذَا؟ فقالوا: نجمع فيه الحشيش من الزرع فتحضر الصلاة، فقال مالك: إذا كنتم إنما تفعلون هذا لمنافعكم فتحضركم الصلاة، فتصلون به هكذا ما أرى به بأسا إن شاء ا "[1]، وعليه فإن الدراسة تؤمن إلى حد كبير بأن الليونة الفقهية التي يمارسها الفقه المالكي في بلاد الأندلس، والتي تتجسد من خلال بحثها عن حلول للمشكلات الاجتماعية التي يطرحها الفرد من رقعة جغرافية تضم خليطًا من الأجناس يتفق أحيانا، ويختلف في الكثير من الأحيان من حيث الذهنية والمزاج والديانة والأصل العرقي.

2008م، المسألة رقم69،ص125./ في رواية أخرى " العرف عندنا يقوم مقام الشرط" / أبو القاسم، خلف بن أبي فراس القَروي (ق 4هـ)، كتاب أكرية السفن، دراسة وتحقيق: عبد السلام الجعماطي، منشورات جمعية تطاوين، مطبعة الخليج العربي، تطوان، ط1، 2009، 46.

1- رياض النفوس، المصدر السابق،ج1،ص292. استعنا بنص مغربي يجسد الظاهرة اجتماع على اعتبار عدم وجود في المصادر التي اطلعنا عليها، ومع ذلك فإنه لا يطرح إشكالية بين المغرب والأندلس لأنهما يمارسان نفس الوحدة المذهبية.



الخاتمة

قبل الكشف عن أهم النتائج المتوصل إليها من خلال دراستي الموسومة بـ" جوانب من الحياة الاجتماعية للبربر من الفتح إلى دخول المرابطين"، سنذكر بالإشكال الرئيسي الذي ظل قائما طوال صفحات البحث، ما مدى اندماج وانصهار البربر في المجتمع الأندلسي؟ وما مدى محافظتهم على خصوصيتهم وملامحهم الاجتماعية على مستواهم المعيشي وذهبيتهم في بلاد الأندلس؟

وبناء على هذه الإشكالات تم التوصل إلى مايلي:

لقد شكل البربر عنصرا مهما في فتح الأندلس ونشر الدين الإسلامي بفضل الجوازات والهجرات التي كانوا يقومون بها، ومن خلال عرض مواطن البربر في بلاد الأندلس اتضح أن هؤلاء توزعوا واستقروا في مختلف جهات الأندلس، ولا تخلو منطقة من ساكنة بربرية مما يمنح مشروعية دراسة العنصر البربري في بلاد الأندلس على المستوى الاجتماعي.

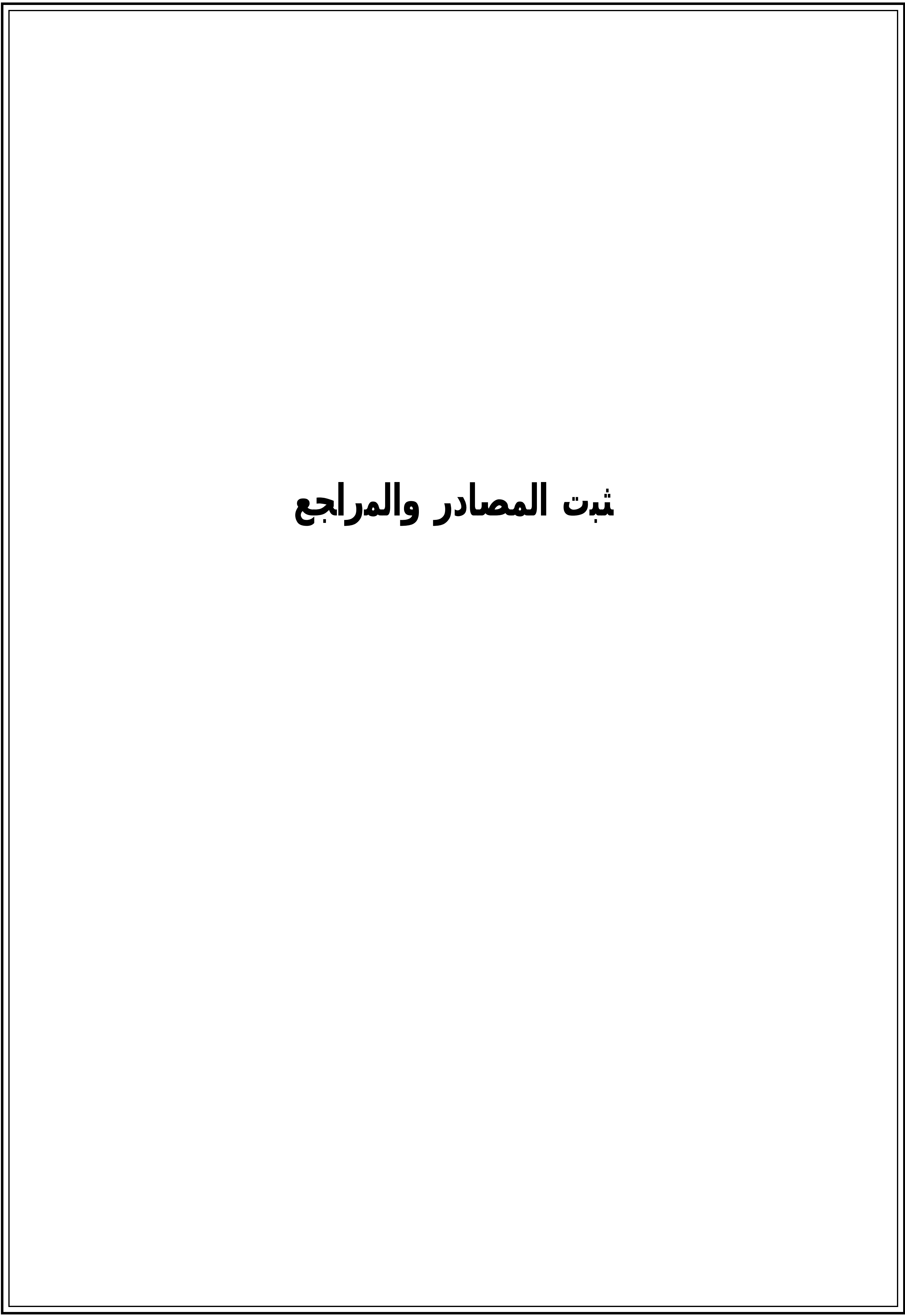
إن منظور المصادر التاريخية ولاسيما الأندلسية قدمت صورةً عن البربر اتسمت بالكثير من التحقير والإذلال الذي انتقدته وجردته من إنسانيته واتهمته في مختلف مجال حياته الدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، مما كشف على أن المؤرخ العربي بصفة عامة والمؤرخ الأندلسي بصفة خاصة اتصفت كتاباته بغياب عقلية نقدية وفاحصة للأخبار التي يقدمها حول عنصر البربر، حتى أصبحت خاصة من خصائص كتاباته ،درج عليها الباحثون واعتادوا عليها.

كشفت الدراسة من خلال تطورات وتداعيات البنى الاجتماعية للبربر في بلاد الأندلس وطبيعة علاقاته مع الأطراف الأخرى المكونة للنسيج الثني الاجتماعي عن وجود هوة وشرخ كبيرين على المستوى الاجتماعي الذي ترك لنا انطباعا على أن بنيته الاجتماعية لن تلتئم وتلتحم مع العناصر الأخرى، مما أمكن على الوقوف على معايير التصنيف العرقي والثني، الذي شكلت منعطفا حاسما في تحديد وضعيته وذهني تجاه ذاته وتُجاه الأطراف الأحرى التي تقاسمه الانتماء إلى هذه الأرض ومختلف شروط الحياة.

كشفت الدراسة أن نخبة صغيرة من البربر استطاعت أن تواكب التطور الحضاري الذي شهدته الأندلس، وأن تتصدر قمة الهرم الاجتماعي على المستوى السياسي والاقتصادي، وأن تخترق البنية الاجتماعية من خلال تقمصها الهوية الأندلسية إلا النظرة الدونية والحساسية الزائدة والأنفة والكبرياء التي يتميز بتا الشخصية البربرية حالت أن تحدث ذلك الاندماج والذوبان المطلق، فرغم تميزه بعدة معايير كجاه المال والعلم والسلطة...إلخ إلا أن بقي ينظر له كبقية بني جلدته الذي حافظ على خصوصيته ومقوماته والتي لم تؤرخ له المصادر إلا نادرا من خلال تبنيها سياسة الإقصاء والتغييب جولة.

كشفت الدراسة أن المتغير الثني في الأندلس كان حاضرا في بلاد الأندلس في مختلف فتراته، وأن مسألة الوحدة السياسية والسلطة المركزية لم تكن بالضرورة مشروطة بانصهار واندماج كل العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي، وفترة ملوك الطوائف كانت كفيلة برصد هذه الظاهرة، وعليه فلا يمكن تغييب العصبية في المجتمع الأندلسي ولاسيما أنَ أساس بنيته الاجتماعية قائمة على المتغير الثني.

كشفت الدراسة عن بعض جوانب الحياة الاجتماعية للبربر والتي بدا فيها محافظتهم على تنظيماتهم القبلية، ومبدأ النعرة العصبية للحفاظ على هذا النظام وإن تطور في هيكلته من خلال سيطرة بعض الأسر عليه والتحكم في زمام تسييره، كما تم تسليط الضوء على بعض ملامح العلاقات الداخلية للبربر من خلال الكشف عن وضعية المرأة البربرية في بلاد الأندلس وطبيعة العلاقة التي تربطها مع الرجل سواء كان أخا أو زوجا أو خالا أو عما...الخ، كما تم الكشف عن طبيعة النشاطات التي كان يمارسها وتحديد خصوصيته من مأكل وملبس، ولسانه ومدى تعربه أو محافظته عليه، والتي بدت فيها أن المظهر الاجتماعي والثقافي لم يبرز بصورة جلية كل عناصر الاختلاف العرقي في البنية الاجتماعية الكبرى، إزاء شح المادة وإعراض وأنفة المؤرخين على ما كل هو بربري، ومساهمته المتواضعة وبساطتها التي بدا فيها قوة النموذج العربي.



ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا: المصادر المخطوطة:

صالح بن عبد الحليم المصمودي، تقاييد تاريخية متنوعة، نسخة مصورة بالخزانة الحسنية، رقم 10894.

مجهول، مفاخر البربر ضمن مجموع رقم ك 1275 الخزانة العامة الرباط.

المصادر المطبوعة:

ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي (ت668هـ/1269م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج3، دار الفكر، بيروت، 1956م

ابن أبي زرع علي بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبي عمر الفاسي (كان بقيد الحياة سنة 726هـ/1326م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1999م

ابن الأبار أبو عبد ا محمد بن عبد ا بن أبي بكر القضاعي البلنسي(ت 658هـ/818م)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار المعرفة، الدار البيضاء، د.ت.

ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985م

ابن الأبار، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي أبي علي حسين بن محمد(594هـ/1120م)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة وبيروت،ط1، 1989م.

ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري (ت 630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، ج4، مراجعة وتعليق نخبة من العلماء دار الكتاب العربي، بيروت، ط5، 1985م.

ابن الأحمر إسماعيل ، النفحة النسرينية واللمحة المرينية، تحقيق عدنان محمد آل طعمة، دار سعد الدين، دمشق، 1992م.

ابن الأحمر إسماعيل بن يوسف الأنصاري، روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1423هـ - 2003م.

ابن الأحمر إسماعيل بن يوسف(ت 808هـ/1405م)، بيوتات فاس الكبرا، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك مسعود(ت578هـ/1182م) ، الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية ، بيروت، ط1، 2003م.

ابن بلقين أبو محمد عبد ا باديس(ت بعد 488هـ/1095م)، كتاب التبيان، تحقيق أمين توفيق الطيبي، منشورات عكاظ، الرباط، 1995م.

ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد ا محمد بن عبد ا بن سعيد، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1980م.

ابن الخطيب لسان الدين(ت 776هـ/1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1423هـ - 2003م.

ابن الخطيب لسان الدين، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام أو تاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت،1956م.

ابن الخطيب لسان الدين، الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق : إحسان عباس ، دار العربية للكتاب، بيروت، 1983م.

ابن الزبير الغرناطي أبو جعفر بن إبراهيم(ت 708هـ - 1309م)، صلة الصلة، ج1، تحقيق: عبد السلام الهراس والشيخ سعيد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية الإسلامية، مطبعة فضالة، المملكة المغربية، 1413هـ - 1993م.

ابن الشباط التزري محمد بن علي(ت 681هـ/1282م)- وصف الأندلس وهو قطعة من كتاب صلة السمط وسمة المرط- تحقيق أحمد مختار العبادي- المعهد المصري للدراسات الإسلامية- مدريد- 1971م.

ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد ا العامري(ت 543هـ/1148م) ، شواهد الجلة والأعيان في مشاهد الإسلام والبلدان، دراسة وتحقيق محمد يعلي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية والوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1996م.

ابن الفرضي الحافظ أبو الوليد عبد ا بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي (ت 403هـ/1013م)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1983 و1984م.

إبن القوطية أبو بكر بن محمد (ت 367هـ/927م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

ابن الكتاني أبو عبد ا محمد الطبيب (ت نحو 420هـ/1030م)، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عباس، دار الشروق، بيروت والقاهرة، ط2، 1981م

ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد سعيد القرطبي الأندلسي (ت 456هـ/1063م)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق لجنة من العلماء، دار الحديث، ط1، 1984م.

ابن حزم الأندلسي، الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى، تحقيق إحسان عباس، مكتبة دار العروبة، القاهرة، 1960م.

ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، راجع النسخة نخبة من العلماء ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ/2001م.

ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تحقيق: سعيد محمود عقيل، دار الجيل، بيروت، د.ت.

ابن حيان أبو مروان خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان القرطبي (ت 469هـ/1076م)، المقتبس في أخبار بلاد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، 1965م.

ابن حيان القرطبي، المقتبس في تأريخ رجال الأندلس، نشر وتحقيق ملشورم أنطونية، بولس كتنر الكتبي، باريس، 1937م.

ابن حيان القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973م.

ابن حيان، المقتبس، ج5، نشر وتحقيق: بدرو شالميتا، ف. كورينطي، م.صبح، المعهد الإسباني العربي للثقافة كلية الآداب بالرباط، مدريد، 1979م.

ابن حيان، كتاب المقتبس، السفر الثاني، تحقيق محمود علي مكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1422هـ،2001م.

ابن خاقان أبو نصر الفتح(ت 529هـ/1135م)، تاريخ الوزاراء والكتاب والشعراء في الأندلس، تحقيق: مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط2، 2007م

ابن خلدون عبد الرحمن (ت 808هـ/1406م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمان والسعودية، د.ت.

ابن خلكان شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر(ت 681هـ/1281م)، وفيات الأعيان وبناء الزمان، دار الثقافة ، بيروت، د.ت.

ابن رزين التجيبي أبو الحسن(النصف الأول من القرن الأول من ق7هـ/13م)، فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، تحقيق محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1984م.

ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد القرطبي(ت 595هـ/1198م)، تلخيص الخطابة، تحقيق: محمد سليم سالم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1967م.

ابن رشد، فتاوى ابن رشد، تقديم وتحقيق وجمع وتعليق المختاربن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.

ابن رشد، مسائل أبي الوليد ابن رشد (الجد) ،مج1، تحقيق: محمد الحسن التيجنتاني، منشورات دار الأفاق الجديدة، المغرب، ط، 1992م.

ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى المغربي (ت 685هـ/1286م)، المغرب في حلى المغرب، ج1،ج2، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م

ابن سماك العاملي(كان بقيد الحياة بعد 1417/820م)، الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1979-1980م.

ابن شهيد أبو عامر أحمد بن عبد الملك (ت 426هـ/1034م)، الديوان، جمع وتحقيق يعقوب زكي، مراجعة محمود علي مكي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د ت.

ابن عبد الحليم صالح(كان بقيد سنة 712هـ/1312م)، كتاب الأنساب، تحقيق: محمد يعلي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1996م

ابن عبدون أبو عبد ا محمد بن أحمد التجيبي(ت النصف الأول من القرن 6هـ/12م)، رسالة في القضاء الحسبة ضمن ثلاث رسائل أندلسية في أداب الحسبة والمحتسب، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية بالقاهرة، 1955م.

ابن عذاري المراكشي أبو عبد ا محمد(كان حيا سنة 712هـ/1312م) ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1،ج2،ج3، تحقيق: ج.س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط1980،2م.

ابن غالب محمد بن أيوب الغرناطي الأندلسي(ت أواخر ق 6هـ/12م)، قطعة من كتاب "فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس"، نشر لطفي عبد البديع- مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة- المجلد الأول، الجزء الثاني، ربيع الأول 1375هـ- نوفمبر 1955م.

ابن فرحون برهان الدين إبراهيم بن علي بن أبي القاسم (ت 799هـ/1396م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.

ابن قتيبة الدينوري أبومحمد عبد ا بن مسلم(ت 276هـ-889م)، الإمامة والسياسة، تعليق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ/1997م.

ابن ليون التجيبي أبو عثمان سعيد بن أبي جعفر(ت 750هـ/1349م)، اختصارات من كتاب الفلاحة (نص أندلسي من العصر المرابطي مستخاص من أصل فلاحي مفقود لمحمد بن مالك الطنغري)، دراسة وتحقيق: أحمد الطاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2001م.

ابن مرزوق التلمساني(ت 781هـ/1379م)، المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا خيسوس بيغرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، ج3، ج5،دار صادر، بيروت، ط1، 1997م.

إبن ورد التميمي أبو القاسم أحمد(ت540هـ/1146م)،أجوبة ابن ورد الأندلسي المسماة بـ: الجوابات الحسان عن السؤلات ذوات الأفنان، دراسة وتحقيق: محمد الشريف، جامعة عبد الملك العدي، المغرب،ط1، 2008م.

أبو الخير الأشبيلي (كان بقيد حياة في أوائل القرن 6هـ/12م)، عمدة الطبيب في معرفة النبات، تحقيق محمد العربي الخطابي، أكادمية المملكة المغربية، الرباط، 1990م

أبو مدين الفاسي(كان بقيد الحياة في القرن الثاني عشر)، مجموع أبو مدين الفاسي المنشور بـ تاريخ الأمثال والأزجال، تحقيق: محمد بنشريفة، منشورات وزارة الثقافة دار المناهل، الرباط،2006م.

الإدريسي أبو عبد ا بن محمد بن عبد ا الشريف(ت 564هـ/1168م)، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

البكري أبو عبيد عبد ا بن عبد العزيز الأندلسي(ت 487هـ/1094م)،المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب، نشر: دي سيلان، الجزائر،1911م

البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي(من أهل ق 6هـ/12م)، أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1986م.

التميمي أبي عبد ا محمد بن عبد الكريم الفاسي (ت603هـ/1206م)، كتاب المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، ج2، تحقيق: محمد الشريف، منشورات كلية الأداب، تطوان،2002 م

التوحيدي أبو حيان(ت 399هـ/1008م)، الإمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه: أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات المكتبة العصرية دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

ثانيا: المصادر المطبوعة:

الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر(ت 255هـ/868م)، البيان والتبين، ج2، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، بغداد، 1950م

الجاحظ أبو عثمان، التاج في أخلاق الملوك، تحقيق باشا أحمد زكي، المطبعة الأميرية،ط1، القاهرة، د.ت

حسن بن محمد الوزان الفاسي(ت بعد 957هـ/1550م)، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983م.

الحميدي أبو عبد ا محمد بن أبي نصر فتوح(ت 488هـ/1095م)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، شركة الأنصاري للطباعة والنشر، ط1، 2004.

الحميري أبو عبد ا محمد بن عبد ا بن عبد المنعم(ت 727هـ/1326م) ، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إ.ليفي بروفنصال، دار الجيل، بيروت، ط2، 1988م.

الخشني محمد بن الحارث بن أسد (ت 361هـ/971م)، قضاة قرطبة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري واللبناني، القاهرة، بيروت، ط2، 1989م

الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق: سالم مصطفى البدري،منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999م

الراغب الأصفهاني أبو القاسم حسين بن محمد (ت502هـ/1108م)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

الرشاطي أبو محمد (ت542هـ/1147م)، وابن خراط الإشبيلي(ت 581هـ/1185م) ،الأندلس في إقتباس الأنوار واختصار الأنوار، تحقيق إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1990م

الرقيق أبو إسحاق بن القاسم(ت بعد 420هـ/1031م)، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: عبد ا العلي الزيدان ، عز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990م.

الزبيدي أبو بكر محمد بن الحسن (ت 379هـ/ 989م)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1973م.

الزجالي أبو يحي عبد ا (ت694هـ/1294م) ، رى الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص و العوام، المنشوربـ" تاريخ الامثال والأزجال في الأندلس والمغرب، تحقيق: محمد بنشريفة، منشورات وزارة الثقافة، دار المناهل، الرباط، 2006م.

الزهري أبو عبد ا محمد بن أبي بكر (ت أواسط القرن6هـ/12م) ، كتاب الجعرافية، تحقيق محمد حاج صادق، المركز الإسلامي للطباعة، د.ت.

السقطي أبو عبد ا محمد بن أبي محمد المالقي الأندلسي(ق6هـ/12م)، في آداب الحسبة، المطبعة الدولية، باريس، 1931م

السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر(ت 911هـ/1505م)، المتوكلى فيما ورد في القرآن باللغات: الحبشية والفارسية والرومية والهندية والسريانية والعبرانية والنبطية والقبطية والتركية والزنجية والبربرية، تحقيق عبد الكريم الزبيدي، دار البلاغة، بيروت، ط1، 1408هـ -1988م.

السيوطي جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط2، 1399هـ/1979م

الشنتريني أبو الحسن علي بن بسام(ت 542هـ/1147م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ،1998م

الضبي، أبو جعفر أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة ،(ت 599هـ/1202م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت 310هـ/ 922م)، تاريخ الرسل والملوك، ج8، تقديم ومراجعة صدق جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ط1، 1418-1998م

الطرطوشي، أبو بكر محمد بن محمد الوليد(ت 520هـ-1126م)، الحوادث والبدع ، تحقيق: محمد الطالبي، تونس، 1959م.

عبد الملك بن حبيب، كتاب التاريخ، دراسة وتحقيق: خورخي أقوادي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ومعهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1991م.

العذري أبو العباس أحمد بن عمر ابن أنس الدلائي(ت 478هـ-/1085م)، نصوص على الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الأثار والبستان في غرائب البلدان إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965م.

عياض القاضي أبو الفضل بن موسى اليحصبي(ت 544هـ-/ 1149م) ، ترتيب المدارك في معرفة أعلام مالك،ج1، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1998م.

الغرناطي أبو حامد عبد الرحيم سليمان بن ربيع القيسي، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

القاضي النعمان أبو حنيفة محمد بن حيون التميمي المغربي (ت 363هـ-/973م)، المجالس والمسيارات، تحقيق: الحبيب الفقي وإبراهيم شبوخ، محمد اليعلاوي،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1997م.

القَروي أبو القاسم، خلف بن أبي فراس (ق 4هـ-/10م) ، كتاب أكرية السفن، دراسة وتحقيق: عبد السلام الجعماطي، منشورات جمعية تطاوين، مطبعة الخليج العربي، تطوان، ط1، 2009م

القزويني زكريا بن محمد بن محمود(ت 682هـ-/1283م)، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1979م

القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي(ت 821هـ-/ 1413م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، تقديم: فوزي محمد أمين، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب الخدوية، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، 2005م

المالكي أبو عبد ا بن محمد (ت 453هـ-/1061م) ،كتاب رياض النفوس في كبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم و نساكهم من سير أخبارهم و فضائلهم وأوصافهم، ج2، تحقيق: بشير البكوش ومراجعة: المطوي محمد العروسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت1983م

مجهول (من أهل القرن ق6هـ-/12م)، كتاب الإستيصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م

مجهول(من أهل ق6هـ/12م)، أنواع الصيدلة في أنواع الأطعمة (الطبيخ في المغرب والأندلس)، تحقيق: عبد الغني أبو العزم، منشورات مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2003م.

مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم ا والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، بيروت، القاهرة، ط2، 1989م

مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية(من أهل ق9هـ/15م)، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1979م.

مجهول، تاريخ الأندلس(من أهل ق9هـ/15م)، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية- بيروت، 2007م.

مجهول، فتح الأندلس، تحقيق لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1994م.

مجهول، مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الدار البيضاء، 2005م

المراكشي عبد الواحد محي الدين بن علي(ت 647هـ/1250م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العلمي، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط7، 1978م

المراكشي، أبو عبد ا محمد بن محمد بن عبد الملك(ت 703هـ/1303م)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، القسم الأول، تحقيق: محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

مسكويه أبو علي أحمد بن محمد(ت 421هـ/1030م) ، تهذيب الأخلاق، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت .

المقري أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ/1631م) نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.

المقري التلمساني أبو العباس أحمد- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - تحقيق يوسف طويل ومريم قاسم طويل- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1415هـ -1995م.

النباهي أبو الحسن علي بن عبد ا الجذامي المالقي (ت 793هـ/1390م)، تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق: صلاح الدين الهواري، الدار النموذجية المطبعة العصرية، بيروت، ط1، 2006م

هيرودوت، أحاديث هيرودوت(487/489-425 ق.م) عن الليبيين (الأمازيغ)، ترجمة وتعليق وشرح: مصطفى أعشي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2009م.

الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي(ت 914هـ/1508م) ، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ -1981م

ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد ا الرومي البغدادي(ت 626هـ/1228م)، معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1404هـ -1984م

اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت284هـ/897م) ، كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1408 هـ -1988م.

اليوسى الحسن بن مسعود (ت 1102هـ/ 1690)، المحاضرات في الأدب واللغة، تحقيق محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1402هـ/ 1982م.

ثالثا: قائمة المراجع والدراسات العربية والمعربة:

أحمد أمين، ظهر الإسلام،دار الكتاب العربي، بيروت- ط5، د. ت

أرسلان شكيب، الحلل السندسية في أخبار والآثار الأندلسية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م

إسماعيل محمود، سوسيولجيا الفكر الإسلامي، ج1، دار الثقافة، دار البيضاء، ط1، 1980م

أنخل قنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، تعريب حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955م .

بدر أحمد، تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري(عصر الخلافة)، دمشق، 1974م

بن سودة بن عبد القادر عبد السلام المري، دليل المؤرخ المغرب الأقصى، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، 1997م

بن عبود امحمد، التاريخ السياسي والاجتماعي لإشبيلية في عهد دول الطوائف، مطابع الشويخ، تطوان، 1983م

بن عبود امحمد، جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، ط2، 1999م

بنشريفة محمد ، تاريخ الأمثال و الأزجال في الأندلس و المغرب

بوتشيش إبراهيم القادري، أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي من منتصف القرن الثالث الهجري حتى ظهور الخلافة (250هـ-316هـ)، منشورات عكاظ، 1992م

بوتشيش إبراهيم القادري، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2006م

بوتشيش إبراهيم القادري، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1998م

بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية (أدوارها، مواطنها، أعيانها)،ج1،ج2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 1999/ 2000م

الجابري محمد عابد، فكر ابن خلدون، العصبية والدولة (معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط7، 2001م

جبرون امحمد، الفكر السياسي في المغرب والأندلس في القرن الخامس الهجري في تشكل الهوية السياسية في المغرب وتكريس الفتنة في الأندلس، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2008م

الجراري عباس، أسباب إنتشار المذهب المالكي، ضمن أعمال ندوة الإمام مالك، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، افريل، 1980م

جعيط هشام، تأسيس الغرب الإسلامي (القرن الأول و الثاني هجري/ السابع والثامن ميلادي)، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2004م

الحجي عبد الرحمن علي ، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92-897هـ(711-1492م)، دار القلم، دمشق،ط5، 1997م

حقي محمد، البربر في الأندلس(دراسة لتاريخ مجموعة إثنية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية 92هـ/710م-422هـ/1031)، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2001م

حمدي عبد المنعم محمد حسين، ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990م

خلاّف عبد الوهاب ، قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر – الخامس الهجري(الحياة الإقتصادية والاجتماعية) ، تونس، 1984م

دحماني شريفة محمد عمر ، العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية و البربرية في جنوب الأندلس في عصر ملوك الطوائف ، مؤسسة شباب الجامعة ، إسكندرية، 2006م

دوزي رينهارت ، تاريخ مسلمي اسبانيا، ترجمة: حسن حبشي، ج 1،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1414هـ - 1994م

ذنون طه عبد الواحد ، دراسات أندلسية، دار المدار الإسلامي، بيروت،ط1، 2004،

ذنون طه عبد الواحد، الفتح والاستقرار العربي في شمال إفريقيا والأندلس، المدار الإسلامي، ط1، 2004م

الروكي محمد، المغرب مالكي لماذا؟، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الرباط، 2003 م

رينهارت دوزي ، ملوك الطوائف و نظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة كامل كيلاني، مطبعة البابى الحلمي وشركاه، ط1، القاهرة، 1351هـ -1933.

الزركلي خير الدين ، الأعلام، دار العلم للملاين، بيروت، ط8، 1989.

السامرائي خليل إبراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت/ 2004، ص 420

شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي والبشير سلامة، الدار التونسية، ط3، 1978م.

شبارو عصام محمد ، الاندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود(91-897/710-1492)، دار النهضة العربية، بيروت،ط1، 2001.

شعبان بوغريسة، قاموس أمازيغي عربي، دار السعادة للطباعة و النشر و التوزيع

شفيق محمد، اللغة الأمازيغية بنيتها اللسانية، منشورات الفنك 2000، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999

شفيق محمد، الدارجة المغربية مجال توارد بين الأمازيغية والعربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،1999،ص56.

الطاهري أحمد ، الفلاحة و العمران القروي بالأندلس خلال عصر بني عباد ، مركز إسكندرية لكتاب، 2004، ص67.

الطاهري أحمد ، دراسات ومباحث في تاريخ الأندلس عصري الخلافة والطوائف، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1993
الطاهري أحمد، أدب لحن العوام ببلاد المغرب قراءة وتقويم، مجلة التراث المغربي التوثيق والقراءة، منشورات الكلية ندوات 4، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، أفريل1991.
الطاهري أحمد، عامة قرطبة في عصر الخلافة، منشورات عكاظ ، الرباط، 1989،
عاطف محمد ،دراسات في علم الاجتماع القروي، دار النهضة العربية، بيروت،1967،
العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربي، بيروت، د. ت
عبد الواحد ذنون طه، إبن عذاري شيخ مؤرخي المغرب العربي، المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2005
عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1318هـ -1968.
عبد الوهاب حسن حسني ، بسائط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، تقديم: المطوي محمد العروسي، مكتبة المنار، تونس، ط2، 1970.
عنان محمد عبد ا ، دول الطوائف منذ تأسيسها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988
غرسية غومس، الشعر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1956
قزيحة رياض ، الفكاهة في الأدب الأندلسي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1418هـ -1998م، ص 276.
كربخال مارمول، إفريقيا، الترجمة عن الفرنسية: محمد حجي محمد زنيبر، محمد الأخضر،أحمد التوفيق، أحمد بنجلول، دار النشر للمعرفة، الرباط، 1984،
لقبال موسى، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية النشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981،
مؤنس حسين، شيوخ العصر في الأندلس. الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1986
مؤنس حسين، فجر الأندلس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، محمد شفيق، المعجم العربي الأمازيغي، ج2، أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة معاجم، الرباط، 1996،
مؤنس حسين، موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1416.

محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب ج1،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس،الرباط، 1404هـ -1983م

النجار عبد المجيد عمر ،عوامل الشهود الحضاري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 1990،
الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، ترجمة حمّادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992.

رابعا: الرسائل الجامعية:

بوباية عبد القادر، البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، 300-422هـ/ 912-1031م، رسالة دكتوراه دولة، مرقونة، جامعة وهران، 2002م.
بوخاري عمر، الإمارات البربرية الصغرى في جنوب الأندلس على عهد ملوك الطوائف، مذكرة ماجستير مرقونة، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2009م.
جاد الرب عبد القادر محمد، الوضع السياسي والاجتماعي لغرناطة في القرن الخامس الهجري، إشراف عبد الهادي التازي، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ الوسيط، الرباط، 1996-1997م.
حاج يخلف عبد القادر، الإسهام الفكري للبربر بالأندلس العهد العامري إلى نهاية وجود حكم المرابطين 371-539هـ/981-928م، رسالة ماجستير مرقونة، جامعة وهران، 2010م.
زيدور حميد، البربر بين المعارضة والمولاة في عهد الإمارة الأموية بالأندلس 138-316هـ/756-928م، مذكرة ماجستير مرقونة، نوقشت بجامعة وهران أكتوبر 2009م .
عدالة مليكة، الإسهامات العلمية للبربر في الأندلس من خلال كتاب "تاريخ علماء الأندلس" لابن الفرضي، رسالة ماجستير مرقونة، جامعة وهران، 2010م.
لواتي دلال، عامة القيروان في العصر الأغلبي 184-296هـ / 800-908م، رسالة ماجستير مرقونة، جامعة منتوري قسنطينة، 2002م.

خامسا: المجلات والمقالات:

بن عبود امحمد، التجديد المنهجي والمجتمع الطائفي،مجلة التراث المغربي والأندلسي التوثيق والقراءة، منشورات الكلية ندوات4، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، أفريل، 1991
الجيوسي سلمى خضراء، الشعر في الأندلس، مجلة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز الدراسات للوحدة العربية،بيروت،ط1، 1998م.
حسن محمد، الأصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي، مجلة المستقبل العربي، مجلة، السنة8، العدد72، فبراير1985م.

الدشراوي فرحات ، مظاهر من الصراع المذهبي بالأندلس في عهد الإمارة والخلافة، المجلة العربية للثقافة، السنة 14، العدد 27، 1994م

السيد عبد العزيز سالم سحر، الجوانب الإيجابية و السلبية في الزواج المختلط في الأندلس(دراسة سياسية، أدبية، اجتماعية)، مجلة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، تنسيق: محمد حمام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، سلسلة ندوات ومناظرات رقم: 48،ط1، 1995.2001

الشاذلي بويحي، مساهمة الأفارقة في الحياة الثقافية بالأندلس في عصر الطوائف والمرابطين، حوليات الجامعة التونسية (كلية **الآداب** والعلوم الإنسانية)، العدد 20، سنة 1981، ع.ص 7-41.

شفيق محمد، التعريف باللغة البربرية، مجلة أفاق، يصدرها اتحاد المغرب العربي، ع2، 1964م.

صالح أبو دياك، الجيش في الأندلس زمن الإمارة و الخلافة الأموية الثانية، مجلة دراسات تاريخية، تصدر عن لجنة كتابة تاريخ العرب، جامعة دمشق، العددان 77-78، كانون الثاني، حيزران، 2003، ع.ص 75-127.

عويس عبد الحليم ، دراسة في أجناس الحضارة الإسلامية " البربر" ، مجلة كلية العلوم الإنسانية، المملكة العربية السعودية، الرياض، ع3، 1979

قيشار بيار، التاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين (من بداية القرن الثامن إلى بداية القرن الثالث عشر)، ترجمة: مصطفى الرقي، مجلة الحضارة العربية في الأندلس، جمع سلمى الجيوسي، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1999.

سادسا: المراجع الأجنبية:

CAMPS (GABRIEL), Les berbères, mémoire et identité, Éditions Errance, collection des hespéridés, 1987.

De Felipe Helena- Identidad y Onomastica de los Bereberes en al Andalus- CSIC- Madrid- 1997.

de Felipe Helena. Familias de ulémas de origen bereber en Al-Andalus .Actas des 1 coloquio Hispano Marroqui de ciencias historicas. Madrid.1992.

de las Cagigas Isidro – Minorias ethnico (religios de la edad media los mozarabes) –c.s.i.c- Madrid-1948.

Gautier Émile Félix. Les siècles obscures du Maghreb. Payot. paris.1927.

GUICHARD PIERRE, « Les Arabes ont bien envahi l'Espagne », in Annales, . Économie, civilisation et Sociétés, N° 6, Années 1979

GUICHARD PIERRE, Structures sociales et orientales et occidentales dans l'Espagne Musulmane, Mouton, Paris, 1977.

فهرس الموضوعات